أشرف مصطفى توفيق

النسوية التى فجرت الحرملك

على هامش التجربة المصرية

Imprint
Any brand names and product names mentioned in this book are subject to trademark, brand or patent protection and are trademarks or registered trademarks of their respective holders. The use of brand names, product names, common names, trade names, product descriptions etc. even without a particular marking in this work is in no way to be construed to mean that such names may be regarded as unrestricted in respect of trademark and brand protection legislation and could thus be used by anyone.

Cover image: www.ingimage.com

Publisher:
Shams Publishing
is a trademark of
Dodo Books Indian Ocean Ltd., member of the OmniScriptum S.R.L Publishing group
str. A.Russo 15, of. 61, Chisinau-2068, Republic of Moldova Europe
Printed at: see last page
ISBN: 978-620-3-91257-9

Copyright © أشرف مصطفى توفيق
Copyright © 2022 Dodo Books Indian Ocean Ltd., member of the OmniScriptum S.R.L Publishing group

FOR AUTHOR USE ONLY

أشرف مصطفى توفيق

النسوية التى فجرتالحرملك

على هامش التجربة المصرية

FOR AUTHOR USE ONLY

Shams Publishing

FOR AUTHOR USE ONLY

أشرف مصطفى توفيق

النسوية التى فجرتالحرملك

FOR AUTHOR USE ONLY

النسوية التى فجرت الحرملك

على هامش التجربة المصرية

FOR AUTHOR USE ONLY

أشرف مصطفى توفيق

مصطلح " النّسويّة" :

هو المقابل العربيّ للمصطلح الانجليزيّ **Feminism** ، ويشير إلى الفكر الّذي يعتقد أنّ مكانة المرأة أدنى من تلك الّتي يتمتّع بها الرّجل في المجتمعات الّتي تضع كلا الجانبين ضمن تصنيفات اقتصاديّة أو ثقافيّة مختلفة(1).(فالمرأة في نظر النّسويين لا تعامل بقدم المساواة ولا تحصل على حقوقها في مجتمعاتٍ تنظّم شؤونها وتحدّد أولوياتها وفق رؤية الرّجل واهتماماته، لا لشيئ سوى أنّها امرأة؛ وبالتالى تصبح المرأة كلّ شيئ لا يميّز الرّجل، أو كلّ ما لا يرضاه لنفسه فالرّجل يتّسم بالقوّة والمرأة بالضّعف، والرّجل بالعقلانيّة والمرأة بالعاطفيّة، والرّجل بالفعل والمرأة بالسّلبيّة، وما إلى ذلك ذلك المنظور يقرن المرأة في كلّ مكانٍ بالسّلبيّة وينكر عليها الحقّ في دخول الحياة العامّة وفي القيام بدورٍ في ميادين الثّقافة والسّياسة والاقتصاد كما الرّجل وبالتّساوي معه، ومن هنا يمكن القول مجدّدا: إنّ النّسويّة حركة تعمل على تغيير هذه الأوضاع لتحقيق تلك المساواة الغائبة، وهي لا تزعم أنّ النّساء يمتلكن الحقيقة، بل تحاول القول إنّ الرّجال لا يستأثرون بها وتصرّ النّسويّة على أنّ هذا الظّلم ليس أمرًا ثابتًا أو حتميّا، وأنّ المرأة تستطيع أن تغيّر النّظام الاجتماعيّ، الاقتصاديّ، والسّياسيّ عبر العمل الجماعيّ، وبالتّالي فإنّ مساعي النّسويّة ترمي إلى تحسين وضع المرأة في المجتمع.

FOR AUTHOR USE ONLY

على سبيل المقدمة

عملت مع الأستاذ حسن عامر الذي كان يشرف على مكتب الأنباء الكويتية في القاهرة، مكتب جميل بالعجوزة يطل على النيل.تبناني الرجل وبعين فاحصة كان يطلب مني الأعمال التي تجمع بين (البحث والصحافة) فهو يريد أن ندخل الأرشيف ونعاود البحث والتنقيب عن القديم في الدسك الصحفي ثم نبعثه خلقاً آخر برؤية جديدة الخبر الطازج كان موهبته،فهو لا ينتظر الخبر بل يصنعه؟!

وهو تأتيه الفكرة ويقول : (دوروا وقوللي هل هذه الفكرة حقيقية، أو أضغاث أحلام ؟!)

وفجأة استدعاني (حسن عامر) وقال خذ هذه الأوراق إنها أرشيف (أمينة السعيد) ادرسه وأذهب لتذكرها به، فقط ذكرها به وستسمع العجب ؟! وبعد يومين جاءني تليفون منه، عدل الفكرة ووضع (قضية المرأة) كعنوان فوقها،قال أدير جدلاً بين أمينه السعيد،وسهير القلماوي حولها..سلام؟!

أما سبب التعديل أنه قرأ هذه العبارة لمصطفى أمين: انقسمت الجامعة إلى حزبين،حزب ينتصر للآنسة سهير القلماوي الطالبة بالسنة الثالثة بكلية الآداب،وتلميذه طه حسين المفضلة ،وحزب ينتصر للآنسة أمينة السعيد الطالبة بالسنة الأولى بقسم اللغة الإنجليزية

.. وتركني الاستاذ حسن عامر لحيرتي!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وجاءت البداية هكذا صدر كتاباً استفزازياً من عنوانه ومن ورقته الأولى للأخيرة الكتاب يدين الحركة النسائية المصرية وعنوانه "الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار" وقال لى رئيس التحرير حسن عامر اعمله عرض،وكان الأستاذ مهتم بتقديم مادة الكتب ذاتها بملاحق الجريدة سواء نقدا أوعرضا، ويقال أنه ورث ذلك الاهتمام من مدرسة الأستاذ "محسن محمد" فى جورنال الجمهورية.

ولخصته ونشرناه فى الملحق الأدبى: يقول فيه المؤلف: "كانت الدعوة إلى هتك الحجاب وتقييد الطلاق ووقف تعدد الزوجات هي إحدى النغمات التي عنى بها المستعمر وراح ينشرها لأضعاف المسلمين والقضاء على سر تفوقهم ثم استشهد بما قاله "طلعت حرب" إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم لغاية في النفس ضد الإسلام،وأنه لذلك لم يكن عجباً أن تكون الحركة النسائية في مصر. وهي تهدف في جوهرها إلى تغيير النظام الاجتماعي للأسرة – المسلمة – وثيقة الصلة بهذا الاستعمار حتى أن "درية شفيق" أسست حزب (بنت النيل) ومجلتها الشهيرة التى بنفس الأسم، من أموال السفارة البريطانية في مصر! بل أنه يتهم قاسم أمين من أنه تلقى تعليمات في صالون الأميرة نازلي فاضل الوثيقة الصلة باللورد كرومر المعتمد البريطاني بوضع كتابه (تحرير المرأة) وهو في نفس الوقت يعتبر صالونها ضد الآداب والتقاليد الإسلامية حيث سمح بالاختلاط فيه والسهر حتى ساعات متأخرة من الليل!! ثم أنه يدين الاتحاد النسائي المصري الذي كونته هدى شعراوي **1924** لأنها ابنة "محمد سلطان باشا" الذي كان يرافق جيش الاحتلال في زحفه على

FOR AUTHOR USE ONLY

العاصمة أيام ثورة عرابي وبعد فشل هذه الثورة،بل أنها وضعت فرية غريبة غريبة حينما سمحت لنفسها أن تحمل اسم زوجها شعراوي باشا كالغربيين دون أبيها وأنه يعتقد أن هذا مقصود حتى لا يتذكر أحد مأساة أبيها ضد عرابي !! وأنه لا يعرف سر الاهتمام الإعلامى الأجنبي وقتها بهذا الاتحاد المحلي الصغير حيث (حضرت د/ ديدت زعيمة الاتحاد النسائي وأعلنت مناصرة الحركة المسائية المصرية!!) ثم بدأت نغمات قاسم أمين تظهر جلية عام **1949**حين كونت د/ درية شفيق حزباً نسائياً وتطرف حزبها حتى وصل إلى المطالبة بإلغاء تعدد الزوجات وإدخال القوانين الأوروبية الخاصة في الطلاق لمصر،وخاصة القوانين الفرنسية بحجة أن القانون المصري يأخذ في معظمه بالتشريع الفرنسي !!وأن الغرب يعرف أهمية مصر بدليل أنه بعد ظهور تنظيم هدى شعراوي المصري وتنظيمها النسائي ظهر الاتحاد النسائي العربي يحمل مبادئ قاسم أمين وينقل نقلاً عن الاتحاد النسائي المصري !!

FOR AUTHOR USE ONLY

وبهذا الكتاب الساخن ذهبت لدار الهلال وطالبت **أمينة السعيد** أن ترد وقد انفعلت بشدة

وقالت: هذا الكاتب مكانه مستشفى المجانين، لأنه يهذي بكلام لا يصدقه عاقل وليس لديه أقل معرفة بتاريخنا – فأنا عاصرت د. درية شفيق[1]وأعرف أخلاقها ومبادئها وهى لا يمكن أن تقبل معونة من أي

---

[1] درية شفيق أعطت حياتها لقضية المرأة وأصدرت مجلة (بنت النيل) و (المرأة الجديدة) وحدث في سنة **1954** أن اعتصمت في نقابة الصحفية وأضربت عن الطعام مطالبة ضباط الثورة (بحق المرأة في الانتخاب) وفوجئت السلطات المصرية في **6** فبراير **1957** بـ درية شفيق تدخل

جهة أجنبية وخاصة إنجلترا أو أمريكا كما يقول هذا الكتاب لسبب إنها لم تكن تجيد الإنجليزية، لأن ثقافتها فرنسية حيث فضت سنوات طويلة في جامعة السوربون. ونالت شهادة الدكتوراه من هناك، ثم إنها لم تكن جاهلة بالإسلام أو المرأة في الإسلام فرسالتها الفرنسية موضوعها "المرأة في الإسلام" وقد أثبتت أن حقوق المرأة في الإسلام سابقة وأضعاف حقوقها في أي دين آخر ، بل يكفي د/ درية شفيق إنها عام 1954 كانت واحدة من أهم عشر سيدات في العالم .

قلت لها : ولكن دكتوراه السوربون عن الإسلام ليست حجة علينا ، إنها من اشراف أساتذة مستشرقون وبخاصة أن درية شفيق تحمل شهادة في الآدب الفرنسية (الليسانس من السوربون) بباريس ولا أحد يعرف لماذا اختارت هذه الرسالة بل إن لديها مغالطات عن المرأة المسلمة بدليل طلاقها من الصحفي الكبير أحمد الصاوي محمد،حينما رفضت قوامته عليهما في الخروج والدخول حتى ضاق زرعاً بها وطلقها.. أنها لم تكن تطالب بحقوق المرأة في الإسلام ولكن تطالب بحقوقها في فرنسا

FOR AUTHOR USE ONLY

السفارة الهندية بالزمالك وتعلن الاعتصام والإضراب عن الطعام حتى الموت وتصدر بياناً، ولم يغفر لها عبد الناصر ذلك واتهمتها مراكز القوة بالجنون ولولا تدخل (نهرو) الذي طلب السماح لها بالذهاب إلى منزلها وترك السفارة دون القبض عليها وتم تحديد إقامتها في شقتها بالزمالك وضغط على زوجها الثاني د/ نور الدين رجائي فانفصلا .. وتركت (درية) وحيدة .. حتى حينما تغيرت الدنيا ومنحت المرأة حق الانتخاب ودخلت نائبات مجلس الأمة والشعب (البرلمان) وعينت وزيرة وأكثر نسى الناس اول من طالب بذلك ...وظلت درية شفيق شبه مسجونة في شقتها بالدور السادس بعمارة وديع سعد بالزمالك لا تزور أحد ولا يزورها أحد وكتبت (16 كتاباً) في عزلتها لم يكشف أحد عنها شيء !! وفي 20 سبتمبر 1975 لم يعرف أحد كيف ماتت وجدوا جثتها تحت شرفتها .. وقد سقطت من الطابق السادس .

قالت : هل تريد من المرأة بعد أن تتعلم وتحصل على الدكتوراه أن تجلس لتعد العجة لسي السيد، إذا كانت القوامة للرجال فإنها لها شروطها ثم إن العمل للمرأة لا ينكره الإسلام، إننا بحاجة أن يتحرر الرجل وليس المرأة، ولأن (قضية الصاوي ودرية شفيق) لا تزال تعيش بيننا

أنت نفسك تكمل في نفس الطريق .

قلت: كيف؟!

قالت: لقد عرف الصاوي .. درية شفيق وهي (ستار) ومشهورة وصاحبة حزب ورضى عن ذلك وتزوجها عليه،وبه، ولم يرى فيها عيب أو فضيحة ولكنه على طريقة سي السيد طلقها !! المفزع أنني أجد هذه الأفكار الظلامية تعشش في رؤوس عدد لا يحصى من نساء الجيل الجديد تقول سأدرس وأقعد في البيت بعد الزواج !! هذه الأفكار الرجعية من الرده الدينية في الاجتهادات التي بلانا بها زمن التطرف والتيارات الدينية..

أما إذا كانت الأميرة (نازلي فاضل) استطاعت أن تستقطب(قاسم أمين) (والشيخ محمد عبده) وكل عظماء ومفكري مصر، بل وتخرجهم عن الملة كما يقول هذا المجنون صاحب الكتاب فدعني أرفع لها قبعتي !!

وإذا كان الكتاب الساخن قد اغضب أمينة السعيد فانفعلت معه وخرجت أعصابها وارتفعت نبرات صوتها حادة،متحدية، فانى استطعت أن اعيد لها ابتسامتها بالكلام عن الأدب

FOR AUTHOR USE ONLY

قلت لأمينة السعيد:الذين يحبون الأدب من أمثالي يشعرون بالألم لأنك أخلصت للصحافة على حساب الأدب وبخاصة أن روايتك الوحيدة "الجامحة" ومن عنوانها كانت بداية الأدب الروائي النسائي ؟!

قالت:اصدرت رواية (الجامحة) في **1946** وكنت وقتها أسير على مقولة "أميرة"بطلة الرواية:(أما أنا فقد رسمت مستقبلي،ولن أغير منه خطا) وقد حول أستاذي مصطفى أمين نشاطى الأدبى للصحافة، وتنبأ أنني سأكون صحفية كبيرة وبدأت الكتابة بدون اسم وكتبت عن المرأة في أول موضوع لي من خلال "حمام سباحة الحريم في فندق سان ستيفانو برمل الإسكندرية"وفوجئت بأن أسرار الدولة على لسان السيدات في الحمام وبخاصة أنه كان فيهن زوجات وزراء وكانوا لا يعومون وإنما هناك حبل يتعلقن به وهات يا رغي !! وأحدث الموضوع ضجة في الدولة والتهمتني الصحافة للأبد حتى أني لم اجد وقتاً لأكتب سيرتي الذاتية كما طالبتني بذلك"لطيفة الزيات"؟! ولكن عيني لم تغب عن كتابات المرأة الأدبية.

.. واستمر الحوار، معى، ومعهما، بطريقة "حسن عامر".

الملفات التى جمعناها نواجهها بها

قالت أمينة السعيد :الرئيس عبد الناصرلم يعارض أن أصبح عضو مجلس إدارة دار الهلال وأذكر عندما أصدر وزير العدل في الستينات قانوناً خاصاً بالمرأة "الناشز" وضرورة وضعها في بيت الطاعة أن دفعت من جيبي مبلغاً استأجرت به عدد من" الأوتوبيسات" و كان معي حوالي **2000**سيدة وذهبنا إلى مجلس الأمة وقتها في مظاهرة سليمة وكان الرئيس الراحل رحمه الله أنور السادات هو رئيس المجلس وعندما أبلغوه بالمظاهرة

FOR AUTHOR USE ONLY

طلب حضور قائده المسيرة فأخذوني له،ودخلت عليه فقال لي"أنت مين يا شاطرة" فقلت له :أمينة السعيد الصحفية بالمصور، وحضرت ومعي النساء لتحتج على قانون (بيت الطاعة) فقال لي"ماذا ستفعلن لو تم إلغاء القانون ؟" قلت له : سنهتف لكم من قلوبنا ونعرف انكم أحراراً لا تضنون بالحرية على المرأة..فقال" وماذا لو تم إقرار القانون " قلت له : اطلعوا لنا بره وشوفوا هنعمل فيكم إيه ؟! وضحك السادات ولم يغضب وقال : أعدك بأننا سوف نعيد النظر في القانون وقد كان وتم إلغاؤه بالفعل.وفي الثمانينات.عيني رئيسة لمجلس إدارة دار الهلال فكنت أول سيدة بذلك القرار ترأس مجلس إدارة مؤسسة صحفية كبيرة .وقبلها أول رئيسة تحرير لمجلة(حواء)،إلا ان خلافاً وقع لا أعرف سببه،كنت ضمن رؤساء مجالس الصحف في طائرة الرئيس المتجهة إلى أمريكا وجلس يتحدث عن(معاهدة كامب ديفيد)وقال: أن لديه معلومات موثوق بها أن السعودية ستوافق على المعاهدة ولكني قلت له : إن معلوماتي تؤكد أن السعودية سترفض المعاهدة. وثار الرئيس ثورة عارمة وشديدة أخرجتنى عن وقارى وقالت للرئيس: لا تصدق حملة المباخر !! وغضب على والقانى من رئاسة تحرير المصور ومجلس إدارة الهلال،وصدر قانون بإحالة الصحفيين للمعاش في" سن الستين"..و اعتقد إنى المقصودة بالقرار. و طبق على.

.. ولأن الاستاذ قال: أدير جدلاً بين أمينه السعيد،وسهير القلماوي.

فقد ذهبت لها وبخاصة أن هناك بينها وبين ابى صلة قرابة من بعيد،حتىأن مدافنا كانت واحدة،وسبحان من له الدوام.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولم ينتاب د/سهير القلماوي، شيئا من كتاب "الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار"وعلقت بشكل غير مباشر

بقولها: المؤسف أن عشرات الكتب من هذا النوع تزحم أرفف مكتباتنا وتباع على الأرصفة ليست في قضية المرأة وحدها بل في الدين والسياسة وهي كلها مليئة بالافتراءات وإذا منع كتاب منها قامت الدنيا ولم تقعد مع انه ليس كتاباً وإنما مرض اجتماعي وقد قلت أكثر من مرة إن الهدف هو " تأسيس عقل المرأة وليس تذكير هذا العقل "..

بمعني أن أجعلها مؤمنة بوطنها وأن تكون قضيتها كالرجل قضية هذا المجتمع كله بلا تجزئة أما الكثيرات فلا يزلن على سياسة تذكير عقل المرأة أي جعل قضيتها خاصة ومتعلقة بالرجل وسائرة وراء كل ما يفعله ويريده. أنها قضية هامة ولكنها واحدة من قضايا متعددة في مجتمعنا،ولا يحق أن أعزلها عن القضايا الأخرى فهناك قضية الفقر،والتخلف و.. وبطريقة الفصل،والتجزئة (على الفقراء أن يجعلوا قضيتهم مع الأغنياء هى المطالبة بأكل الكافيار) والحديث عن قضية المرأة فقط يهمش كل القضايا الأخرى وهذا تقليد للغرب،والحقيقة أنه لا توجد قضية للمرأة في الشرق وقد منحها الإسلام الكثير (حق الملكية والاسم والميراث والذمة المالية المنفصلة ونظم لها العلاقة مع الرجل (هي لها دور ورسالة – وهو له دور ورسالة) وهما يتكاملان ولا يتصارعان إن هذا واضح حتى في الطلاق ..فالطلاق في الغرب صراع لأن هناك ذهاب للأبد، يقتسمان كل شيء أما عندنا فيبقى على الزوج واجب النفقة، وواجب الرعاية للأولاد، لأنه ذهاب ولكنه ليس للأبد !!

FOR AUTHOR USE ONLY

قلت لها:ولكنك رغم ذلك توليت رئاسة اتحاد المرأة العربية لفترة طويلة وكما يقول كتاب"الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار" إن هذا الاتحاد صورة لما أنشأته هدى شعراوي وإنه تكريس لكتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) بل هو الشكل المعاصر للنسوية الغربية ؟!

قالت : نعم توليت هذا المنصب منذ 56 وحتى توقيع اتفاقية كامب ديفيد سنة 79 وعلقت عضوية مصر فيه ، فكان لابد أن أتركه ولم يكن يضم إلا 16 دولة عربية فقط ولم تكن لنا اهداف ولا خطوات(إلا تقارب البلدان العربية عن طريق المرأة) لا أفكار قاسم أمين ولا هدى شعراوي

قلت لها: عملت مع هدى شعراوي وتوليت رئاسة تحرير مجلة المصرية وهي مجلة الاتحاد النسائي المصرى فكيف تكوني رئيسة لمجلة هذا الاتحاد ولا تؤمني بقضية المرأة الخاصة ؟!

قالت:مع الأسف بعض كتاب التاريخ يذكرون ذلك..والحقيقة إني رفضت رئاسة تحرير هذه المجلة،ولم أتول هذا المنصب فالسيدة "هدى شعراوي" طلبت ذلك ولكنني رفضت لعدة أسباب أهمها أن المجلة كانت هي التي تصدرها ومعنى ذلك أنني أعمل لد يها وأنا لا أعمل لدى أفراد إطلاقاً ،صحيح أن المجلة كانت تصدر عن الاتحاد النسائي..ولكن هذا الاتحاد يتبع السيدة هدى شعراوي هي ومجموعة معها..وهي التي أسسته وتولته ..وتنفق عليه .. لقد اقتربت وأدركت بأنه اتحاد (هدى شعراوي) وليس اتحاد المرأة ؟!

قلت لسهير القلماوي: مجموعتك القصصية (حكايات جدتي) يؤرخ بها للقصة القصيرة النسائية فماذا بعد ؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

قالت:نشرت المجموعة القصصية عام 1935 وذلك بعد تخرجي مباشرة وقبل رسالة الماجستير،حيث تسرد الجدة ذكرياتها على الحفيدة،وبذلك تنحصر الحكايات بين الثنائي الراوي والمستمع،وتركز الذاكرة التاريخية في حكايات جدتي على حياة النساء اللواتي بقين قابعات في منازلهن في أوقات الحرب.والأمر يقترب جداً مما فعلته بعد ذلك،وتخصصت فيه أدب (ألف ليلة وليلة) ومثلما كانت الجدة تسلى الحفيدة (فألف ليلة) في حقيقتها أكثر من (200 كتاب) تروي قصص كانت تروى لتسلية الملوك والحكام وعلى ذلك فليس فيها الخصائص الشعبية مثل أبو زيد الهلالي فهي لم تكن ولم يعرف إنها كانت تروى على ربابة.بل أؤكد أن صورة "شهر زاد الجنسية مقحمة على النص العربي" ومع الأسف الذين كتبوا عنها،ومنهم توفيق الحكيم أكدوا هذا المفهوم المغلوط،فشهريار استبقى شهر زاد ليس لأنها جميلة ولا للجنس،وانما لغرامه بالحكايات الغريبة لشهرزاد.ولم أستمر في الكتابة لظروف العمل العلمي والأكاديمي ولأن كتابات جيلي توقفن عند مشكلة اضطهاد الرجل للمرأة.

FOR AUTHOR USE ONLY

قلت : هل لك حكاية مع حكام مصر المحروسة؟

قالت سهير القلماوي: عيني الرئيس أنور السادات مرتين في البرلمان مرة وهو اسمه مجلس الأمة ومرة واسمه مجلس الشعب،وليس بذلك علاقة بين السيدة جيهان وعلاقتي بها: " فجيهان شخصية نسائية هامة ويمكن أن يؤرخ بها لنجاحات كثيرة للمرأة في مصر، ولقد قلت لها حينما تشاورت معي في أمر تعديل قوانين الأحوال الشخصية بأني لست متخصصة ولكني أعتقد أنه يجب ألا يكون الطلاق سهلاً ، فليس كل خلاف يمكن أن يجعل

أسرة كاملة تتأرجح لكلمة وأننا علينا أن نعمق أنه أبغض الحلال عند الله،وقد كانت رؤيتها في تعديل القوانين لصالح الأسرة والطفل . وتم التعديل عن طريق رجال الدين ولم يكن به تجاوز وإنما نقل من مذهب لمذهب، وقد قيل وقتها من الفقهاء أن المعايير الشرعية تجعل الطلاق لا يقع إلا خلال ثلاث سنوات وليس فوري وخاصة إذا ما كان هناك حكم من أهله وحكم من أهلها.

وحينما سكتت ذكرتها بأنها أستاذتها والمشرفة على رسالتها، بل أني لمحت من بعيد إلى كتاب صدر لحسن عزت الضابط الثائر صديق السادات والمتزوج من أحدى قريبات(جيهان السادات)[2].

وقالت: الرسالة موجودة في الجامعة ويمكن الرجوع إليها،ثم أن مناقشتها كانت علانية وفي التليفزيون ولا يمكن التضحية بقواعد وأصول الجامعة تحت أي ظرف من الظروف ثم إن هناك من هن أقل في الشخصية والاستعداد والبحث وحصلن على الدكتوراه في الجامعات.فالدكتورة اعترف بأن الطالب يعرف طريقة البحث العلمي وكيفية الإلمام بموضوعية وجيهان تدرسُ الآن في جامعات أمريكا ،فلم نجاماها بل هى التى رفعت رأسنا.. وقد ظلت علاقتي بها حميمة طوال الوقت حتى في عز غضب الرئيس السادات على، وكانت تزورني في المنزل وأهدتني كتابها "سيدة من مصر"واعترف بأنها قدمت للمرأة المصرية الكثير ، فقد عدلت قانون

FOR AUTHOR USE ONLY

---

[2] الكتاب هو " العمالقة والأقزام السبعة " وقال فيه إنما حصلت على أسرع ماجستير عام 1979 ثم تراخت المساعدات بعد وفاة السادات فلم تحصل على الدكتوراه إلا عام 1986 أي بعد 8 سنوات وقال إن كل من ساعدها حصل على مكافأة سخية !!

الأحوال الشخصية واستطاعت أن تحصل على 30 مقعد للمرأة في البرلمان المصري، ولكن فور وقوع زوجها انقلبوا عليها وأهانوها وشنعوا عليها حتى اتهموها بالزواج مرة آخرى !!

أشرف توفيق

FOR AUTHOR USE ONLY

فى الأولة.. د. هدى وصفى؟!

- المرأة تكتب لتقول: لا..لا على القيود البالية ، ولا لطغيان الرجل ،ولا لاستبداد الرجولة ، ثم يجب أن تقول لا لضعف الأنوثة ! وأعتقد أن أنسب تسمية لهذا الاتجاه الادبي ، هو : أدب الأظافر الطويلة – أدب الخربشة " أنيس منصور .

هذه المرة حملت أسئلة وتساؤلات،وأوراقا ووثائق ،وارتحلت إلى معبد ثقافي جميل في القاهرة حيث موعد مع إحدى العرافات التي تملك تعويذه مستقبلية لهموم المرأة،مع ناقدة واساتذة وصاحبة نظرية فيما تكتبه المرأة..تقابلت مع د. هدى وصفي في مسرح الهناجر !!

ويمكن تقسيم الكتابات العربيّة النّسويّة إلى ثلاثة مراحل وفق ما يرى د. حسين المناصرة، مستعيرًا هذا التّوزيع من رامان سلدنوجوليا كريستيفا في حديثهما عن أطوار الكتابة النّسويّة الغربيّة، وهي:

1. كتابة المرأة بوعي قلم الذّكورة في عصور ما قبل النّهضة، ومثالها الخنساء وليلى الأخيليّة ورابعة العدويّة وولاّدة بنت المستكفي.

2. كتابة الأنثى الباحثة عن التّحرّر والمساواة، ومثاله معظم رائدات النّهضة، والكثير من الرّوائيّات والشّاعرات ما بين الحربين العالميّتين الأولى والثّانية، حيث برزت كتابة المرأة معاناتها الذّاتية ومطالبتها ببعض حقوقها برومانسيّة " مؤدّبة "غير متمرّدة أو ثائرة.

3. الكتابات النّسويّة العربيّة المحاربة للسّلطة الأبويّة، والّتي لم تبلغ مستوى الكتابات الغربيّة في التّطرّف، ومثالها كتابات كوليت خوري، ونوال السّعداوي وغادة السّمان، وسحر خليفة، وليلى العثمان، وفاطمة المرنيسي

FOR AUTHOR USE ONLY

وقالت د. هدى : المرأة لا تعامل الكتابة بحرية مثل الرجل ومثل رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم ..لأنه حتى أفعالها المتحررة .. تجد تبريرها

الرخيص في أن ما حدث رد فعل لقهر وقع عليها..فالمرأة حتى في الكتابة تعامل كصدى..كرد فعل حتى القوانين الموجودة تعيد في للأذهاب أفكاراً سلفية : كقبول الزوجة الثانية وحق الرجل في منع أمرأته من العمل والتأكيد على قيم عودة المرأة للمنزل فالمرأة هي حاملة الثقافة والقادرة على التأثير في الصغير ومن ثم يعتمد عليها في إعادة صياغة الكون فهي التى تقول للصعير: (أمنا الغولة) وهي التي تقول له:(لا تخاف الظلام)المرأة هي الوعاء الأول للثقافة والمفاهيم التراثية..ونحن لانطالب إلا المساواة الحقيقية !!

- الحركة النسوية التحررية بدايتها في مصر .. والبلاد العربية بداية ذكورية ، فقد بشر بها الطهطاوي "في تخليص الإبريز" ورسم طريقها قاسم أمين في كتابيه "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة" !!
- وقالت د. هدى الحركة النسوية المصرية كانت جزءا من استقلال الوطن ولم يكن تحرير المرأة إلا جزءا من سياق اجتماعي للاختلاف مع الغرب والخروج ضد المستعمر ، واعترف بأن الدعوة بدأت ملتبسة سواء أكان ذلك بحسن أو سوء نية . ففى 1923 حدث حادث مهم في حياة الحركة النسوية وهو خلع الحجاب الذي قامت به هدى شعراوي وكان مطلباً استقلالياً ضد المستعمر الانجليزي ، وليس مطلباً أنثوياً بالمساواة بالرجل،كما ظن بعد ذلك! وجاء مع أحداث ثورة 1919 وما تلاها.. لكن

FOR AUTHOR USE ONLY

هناك تاريخ آخر مهم في تاريخ المرأة وهو 1972 حينما صدر كتاب "المرأة والجنس" لنوال السعداوي هنا كان من الواضح ان المرأة تريد أن تعلن أنها كائن مساو للرجل ويجب العناية به ، يشعر كالرجل تماماً وهذا فعل أنثوي ليس له رائحة رجولية .

- قلت لها : هل تتذكرين يا دكتورة أن الحركة النسوية كانت حركة هوانم .. وأرستقراطية ولم يكن لها جذور شعبية ؟! .
- قالت د. هدى :كل الحركات النضالية والثورية تبدأ كأفكار أرستقراطية عند المثقفين ولكن يستفيد منها باقي المجموع ..والحركة المصرية النسائية كما قلت كانت ضمن سياق اجتماعي لمحاربة الانجليز (فدعوة تحرير المرأة) كانت معاكسة تماماً لما هو موجود في الغرب وقتها ولم تكن تقليد لها. بل إن قاسم أمين كان يريد أن يثبت أن الإسلام يضع المرأة في مرتبة أعلى من الغرب. ويقال : إنه اشترك معه الشيخ محمد عبده في كتابه "تحرير المرأة" ولكن المرأة استجابت فيما بعد وقامت بالدور الآخر في تأكيد الدعوة لحرية المرأة .

FOR AUTHOR USE ONLY

- **لماذا قيمة المرأة الفرنساوية هي التي سادت فى حركة تحرير المرأة ؟! سواء حينما كتب الطهطاوي أو قاسم أمين او حينما خرج كتاب نوال السعداوي (المرأة والجنس) وقتها قيل : إنها متأثرة بكتاب "سيمون دي بوفوار " " الجنس الثاني" ؟!**

- **قالت د. هدى: هذا يرجع للسياق التاريخي فمعروق أن "محمد علي" استعان بالجنرالات الفرنساويين بعد هزيمة نابليون وأن انجلترا اعتبرت ذلك ضدها ، وإن مصطفى كامل فعل نفس الشيء مع فرنسا وعلاقته بـ " جوليت أده ".. فالثقافة الفرنسية كانت جزءا من مقاومة الاستعمار الإنجليزي ، لأنه كان يعتقد أن إنجلترا وفرنسا أعداء !!..ولو رجعت لثلاثية نجيب محفوظ مثلا رأيت أن "سي السيد " أو أحمد عبد الجواد يتمنى انتصار هتلر على انجلترا،سياق اجتماعي ضد هذا الاحتلال الذي جثم علينا أكثر من سبعين سنة بالطبع مس هذا حركة تحرير المرأة كجزء من حرب تحرير الوطن كله**

- **قدمت لها صور المؤتمرات الخاصة بالمرأة من عام 1975 وما تقدمت به المرأة من أوراق وطالبت به بيوتوبيا جسدية ..**

FOR AUTHOR USE ONLY

- قالت: النبرة العالية ورد الفعل الشديد دليل على مدى القهر الانثوي الذي تعرضت له المرأة فجاء ما قالته من مطالب ومن حدة..بل إنه أصبح هناك نقد يسمى" بالنقد النسوي " وكانت النبرة عالية للغاية بل إن الموقف الفكري كان منقسما في هذه الفترة ولكن بدأت المسائل تقترب من التوازن مع بداية الثمانينات وبخاصة فى (مؤتمر نيروبي **1985**) والنظر للأمر بأنه ليس صراعا مع الرجل وإنما لابد من التعايش مع البشر والتقارب بين الرجل والمرأة بدأ ينظر لقضية المرأة في إطار ثقافي لتقريب الأفكار وتكييف الظروف،وجعل المساواة سهلة في العلاقات بين البشر..ولكن مع ظهور العقدة الاقتصادية والغنى والفقر والشمال والجنوب وغضب الطبيعة وجدنا أشياء أخرى.المرأة في شمال أفريقيا تترك سيادتها في بلادها لتعمل أي شيء في بلاد أخرى (كأعمال الخدم مثلا)؟! وفي آسيا فالمرأة في آسيا وبخاصة في الهند والصين في حالة يرثى لها وتعمل بسهولة فى الدعارة؟! وفي مصر ظهر الزواج العرفي بين فتيات قاصرات وكهول وبالتالي أصبحت المرأة تنظر لمشكلتها بشكل مختلف..وبشكل متصل بمشاكل مجتمعها.وشعرت بأنها ليست وحدها في مأزق،بل الرجل الآن هو الذي في مأزق أشد ومن هذه النظرة الجديدة جاءت

FOR AUTHOR USE ONLY

العناية بالمرأة وبالثقافة وظهرت أفكار جديدة (كتهذيب المتوسط) .

- قلت لها مقاطعا : أية حكاية المتوسط ؟!
- قالت: إن الغرب يخاف من البحر المتوسط ففي الشمال أغنياء وفي الجنوب فقراء فأصبح الأغنياء يخافون ثورة الفقر ولهذا بدأ التدخل لتهذيبه، فهو بحر طول عمره حروب ودماء ..وجاء ذلك في شكل تكافل اجتماعي عن طريق مراكز ثقافية .وعن طريق العناية بالمرأة .
- قلت لها : انت تدركين معي أن كل شيء بثمن وأن المرأة يلعب بها الآن كاستقطاب عالمي تغلفه الثقافة !
- ضحكت د. هدى وقالت : إن الغرب برجماتي لأقصى درجة إنه ينظر إلى علاقة الطفل بثدي أمه بأنها علاقة جنس ومتعة (مثلما قال فرويد) فكيف لك أن تعتقد بغير ذلك .. في أمور الفلوس والاقتصاد ؟
- قلت لها : أنت عرافة تعرف تقرأ خطوط الكف والفنجان للمرأة فماعلاقة النوية بالأدب النسائى؟
- إن مصطلح الأدب النسوي الذي شاع في الغرب ينطلق من نظرة عنصرية يلغي كل جوانب إبداع المرأة ويحصرها فقط في مُحيط

FOR AUTHOR USE ONLY

الأنوثة، رغم أن هذه الأنوثة هي جزء أصيل من ذات المرأة تضفي عليها بعضًا من الخصوصية في الكتابة، ولكنها ليست كلها ذات المرأة المبدعة، فذات المرأة المبدعة مثل الأرض تنبت كل الزروع وأنواع الزهور وعطورها المختلفة والمتنوعة في جمالها الأخَّاذ.فهو مصطلح في جوهره مرتبط بالحركة النسوية،وسعيها لتحصيل مكاسب خاصة بالمرأة في نضالها ضد الرجل، وتعود أصوله إلى أطروحات خارج سياق الأدب، تمامًا كمفهوم الأدب الواقعي أو الأدب الإسلامي أو التحرري، أو غيرها من المفاهيم التي تفصل الموضوع عن الشكل، فتصنيف ما تبدعه المرأة من نصوص تحت مسمى الأدب النسائي قد يحد من مساحات إبداعها ويُحددها في أُطرٍ، ويُبعدها من انفتاحها الإنساني الخالص إلى حريم سُلطان الأدب الذي يُهيمن عليه المبدعون الرجال. نعم هناك مواقف وقصص تكون فيها الكاتبة أقدر على التعبير عن المرأة، كما يكون المبدع الرجل أكثر قدرة على التعبير عن عالم الرجال غير أن الكاتب يوسف إدريس برع في وصف عوالم النساء، كما برعت مي زيادة في إثبات قدراتها في تحدي هيمنة كتابات الرجل.لكن القضايا الإنسانية واحدة يتفاعل بها الجنسان، وتظل لدى طرفي المعادلة بعض الخصوصيات، فبينما يبدو الرجل

FOR AUTHOR USE ONLY

جريئًا في البوح عن العاطفة والحب، نجد البوح لدى المرأة الشرقية يأخذ صيغًا غير مباشرة ويغلفها العفة والخجل،لكنهما يكتبان معًا وبنفس القدر من الموهبة عن حاجات الإنسان فضاءات للحرية والعدل والرحمة.

FOR AUTHOR USE ONLY

هل للنسائية أسبقية على الوطنية؟!

(إذا كنت ترغب في قول شيء ما اسأل الرجال؛ إذا كنت تريد فعل شيءٍ ما، اسأل امرأة.) ***مارجريت تاتشر***

أعطى سعد زغلول للنساء حرية عريضة إذا ما كان الأمر مرتبط (بالوطنية) وترددت خطواته معهن إذا تعرض الأمر لثورة أخرى أردن أن يخوضنها تحت مظلة الوطنية مرتبطة بذواتهن،وعندما خرجت النساء فى مظاهرات ثورة 19 وسقطن شهيدات،لم يعد مقبولاً من سعد زغلول تأجيل

النسائية وتفضيل الوطنية لذا فقد ابتعد النساء بشكل ملحوظ عند وضع تحرير المرأة تحت مظلة التحرير الوطنى، طالما أنه يؤجل الهدف الأول (النساء) إلى حين تحقيق الهدف الثانى (الاستقلال) وكما تقول المستشرقة (مارجو بدران): إن طرح سؤال هل يتعين على المرأة إعطاء النسائية أسبقية على الوطنية؟! كان يحمل فى طياته صيغة إدانة تفرضها السلطة الأبوية وتفرض على المرأة اختيار بين أمرين، ويفرض عليها عبئاً قومياً ووطنياً،ويلح على تاريخها الطويل الذى تعودت من خلاله على تفضيل الآخرين على نفسها،ويدعوها إلى القيام بتضحيات وتأجيلات لا نهائية،ويثير الإحساس بالذنب لدى اللائى يفضلن ذواتهن ونسائيتهن ودون الحكم على التجربة فإن الدرس المستفاد أنه عندما تتعايش الوطنية مع النسائية،فمن المفيد التحرى عن البعد الوطنى للنسائية والبعد النسائى للوطنية مع أخذ العديد من الأسئلة فى تجربة سعد ونساء الوفد بعين الاعتبار فسعد زغلول زعيم مع مطالب الحريم!ولكنه زعيم أيضا ضد تطرف الحريم؟! هو مع حقوق المرأة العامة التى تهم كل النساء لكنه ضد نزوات النساء الخاصة، إنه لا يعتبرها تحرر وتقدمية،بل تخلف وعبودية] ويبدو أنه بسبب النساء قال سعد زعلول كلمته الشهيرة : مافيش فايدة!! فالزعيم سعد زغلول صاحب خطاب نهضة. وكان يمكن أن يتقدم الرواد المناصرين لقضية المرأة فى بلادنا. وكان يملك أدوات التقدم عليهم جميعاً (الثورة. الشارع. حزب الوفد. فصاحة اللسان. والخطابة) ولم يكونوا جميعاً بعيدين عنه أو بعيداً عنهم فهو أزهرى سافر للغرب كرفاعة الطهطاوى وتلميذ للشيخ محمد عبده. وصديق لقاسم أمين ومشارك ومعاصر لأحمد لطفي السيد, وهو من

FOR AUTHOR USE ONLY

القلائل الذين عاصروا الأميرة (نازلى فاضل) وجلسوا لصالونها.. وكان محل تقديرها وسرها، فهو محاميها الخاص!! ولذا فإنه لم يستغرب ويفتح فاهه من اصطلاح (النسائية) عند ظهوره علنياً (فى المحروسة عام 1899– معاصرا لكتاب " تحرير المرأة " لقاسم أمين– ..) هذا الإصطلاح الذى يعنى بمفهومة التحليلى " الوعى الناشئ عن الظلم الواقع على المرأة بسبب جنسها "..وبمعناه التطبيقى صراع المرأة للتحرر من القهر الاجتماعى أو السياسى الواقع عليها وأنشطتها النضالية المختلفة لدفع هذا القهر. ولكن الرجل كان مهموماً بقضية الوطنية. يبحث عن وصفة سحرية لثورة شعبية تسرق الاستقلال لبلاده من تحت عرش الخديوى ومن وراء ظهر دبابات الإنجليز كان يحلم بتفجير الشارع مدنياً وإن كان قد سبق له المشاركة فى ثورة عرابى التى فجرت الشارع. حيث قام الجيش بإنقلاب عسكرى على الخديوى، وبالطبع لم يغب عنه أهمية مشاركة المرأة فى هذه الوصفة السحرية الجديدة.ولكنه اعتقد أن النساء فى ثورته كصفية زوجته ،سيسرن خلفه وسيعطين لقضيته الوطنية أسبقية على قضيتهن النسائية.سيدفعن الثمن ولن يطالبن بالمقابل، سيرضين بالفتات ولن يخرجن عن دائرة القناعة. وكم كان واهماً!!

وقد أعطى سعد زغلول للنساء حرية عريضة إذا ما كان الأمر مرتبط (بالوطنية) وترددت خطواته معهن إذا تعرض الأمر لثورة أخرى أردن أن يخوضنها تحت مظلة الوطنية مرتبطة بذواتهن ولم يكن الأمر مع النساء يقبل ما قبلته (زوجته صفية) تضع البرقع الأبيض على وجهها فى منزلها فإذا سافرت إلى أوروبا فى الصيف.. خلعت الحجاب ومشت سافرة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

أعطى سعد زغلول للنساء حرية عريضة إذا ما كان الأمر مرتبط (بالوطنية) وترددت خطواته معهن إذا تعرض الأمر لثورة أخرى أردن أن يخوضنها تحت مظلة الوطنية مرتبطة بذواتهن،وعندما خرجت النساء فى مظاهرات ثورة 19 وسقطن شهيدات،لم يعد مقبولاً من سعد زغلول تأجيل النسائية وتفضيل الوطنية لذا فقد ابتعد النساء بشكل ملحوظ عند وضع تحرير المرأة تحت مظلة التحرير الوطنى، طالما أنه يؤجل الهدف الأول (النساء) إلى حين تحقيق الهدف الثانى (الاستقلال). وكما تقول المستشرقة (مارجو بدران): إن طرح سؤال هل يتعين على المرأة إعطاء النسائية أسبقية على الوطنية؟! كان يحمل فى طياته صيغة إدانة تفرضها السلطة الأبوية وتفرض على المرأة اختيار بين أمرين، ويفرض عليها عبئاً قومياً ووطنياً، ويلح على تاريخها الطويل الذى تعودت من خلاله على تفضيل الآخرين على نفسها،ويدعوها إلى القيام بتضحيات وتأجيلات لا نهائية،ويثير الإحساس بالذنب لدى اللائى يفضلن ذواتهن ونسائيتهن وفى هذا الوقت كانت النسائية كأتجاه عالمى تطبع الأشياء حتى الأدب ولذا تم التضحية بانتاج أدبى جيد لأنه لايخدم قضية النساء بالأتجاه نحو ذاوتهن

– مثل رواية (سيد العزبة) لعائشة عبد الرحمن (د/ بنت الشاطئ – 1942) لأن بطلة روايتها (سميرة) تقول : إذا كان هذا يرضي السيد فماذا علي من الناس؟

– وتم التضحية برواية جميلة آخرى رائدة لا يذكرها أحد وهي رواية (صابحة)لملك فهمي سرور (1948)؟ لأن شخصية صابحة – النموذج التقليدي للمرأة في علاقتها بالرجل لا تروقهن الآن!! فهي "تود أن تتزوج

FOR AUTHOR USE ONLY

رجلا يأمرها..لا ربيبا يطيعها..رجلا شرسا.. منفعلا غضوبا..ثائرا ناقما" وتقول: أنها كفء أن تتحمل كل هذا وترضيه ؟!

لقد تم رفض نوع معين من الكتابات! وفرض نوع معين آخر ؟ تقول الناقدة د. هدى وصفي إن قهر المرأة أوجد أدبا يسمى بالأدب النسائي حاولت المرأة فيه تخيل (يوتوبيا خاصة) حلم فلسفي بالمساواة مع الرجل على المستوى الإنساني .

وفى 16 مارس 1919وقبل خروج النساء فى مظاهرات وطنية احتجاجاً على نفى سعد زغلول والتصاقاً بثورته الوطنية دارت مكلمة حول الوطنية والنسائية كان طرفها النساء فى جهة بقيادة صفية زغلول وهدي الشعراوي، وأقطاب الوفد الذكور فى طرف آخر، ووصل الأمر بالذكور لحد رفض الدور الوطنى للمرأة !! وإذا بصوت "عبد العزيز فهمي" يعلو: إنى أعجب أن تقترح سيدة عاقلة مثل صفية هانم مظاهرة النساء فى الشوارع؟! ويذهب لبيت الأمة ويحاول أن يمنع ذلك ويعود خائباً فيقول فى اجتماع موسع بالحزب : أنه يخشى أن تكون النساء قد أصابهن نفى سعد بهزة أثرت على عقولهن!!

وظهرت عبارة لصفية زغلول قوية ومؤثرة: إن نساء مصر لسن أعضاء فى الوفد ولا توجد امرأة تمثلهن فى الوفد. ولهذا ليس من حق الوفد أن يصدر الأوامر إليهن..إننا نخرج التزاماً بقضايا بلادنا ولا نخرج لنؤيد سياسة حزب !! وهرول (عبد الرحمن فهمي) متطوعاً أن يقنع صفية هانم زغلول.نظراً

FOR AUTHOR USE ONLY

للعلاقة الوثيقة بينه وبينها، وقال لصفية زغلول عبارة غريبة: إن سعد زغلول قد جعل (بيت الأمة) لكل المصريين ولكنه بنى فى بيته الذى تعيشين فيه (سلاملك) يستقبل فيه الرجال من باب خاص بهم، بينما تدخل السيدات من باب آخر إلى صالونات خاصة بهن ولم يقل عبارة – الحرملك– فاتركى الحال على ما هو عليه الآن حتى يحضر سعد زغلول ويعيد تغيير الأبواب!! ولم ينم عبد الرحمن فهمي الليل!! إنه لم يستطع أن يفهم لماذا تريد أن تخرج المرأة بنفسها فى السياسة ؟!

وكان أكثر ما يزعجه موقف زوجة زعيمه سعد زغلول. إنها تريد أن يخرج النساء للشوارع فى الوقت الذى وقفت تحدثه من خلف الباب!!

إنه لم يرها بل سمع صوتها فقط ، فقط من وراء الحاجز!! ولولا أنه يعرفها ويعرف صوتها لاعتقد أنها غواية من الأخريات، فإن كيدهن عظيم ولكنه صوتها إنها صفية زغلول!! يعرف الصوت وقت الصفى،كما يعرفه وقت العراك ولذا سارعت هدي شعراوي بتقديم استقالتها من (لجنة نساء الوفد) واعتزرت عن الاستمرار عندما وجدت (سعد زغلول) غير مهتم بأن يكون النساء عضوات عاملات فى الحزب.

مكتفياً بأن يعملن منتسبات من خلف أزواجهن أعضاء الوفد " كتوابع للأزواج "!! رغم أن النساء عندما وقع الصراع بين عدلي وسعد. انضممن إلى سعد زغلول، حتى أن علي شعراوي باشا انضم إلى عدلى. وإذا به يفاجأ بزوجته هدي شعراوي تؤيد سعد وتهاجم خصومه ومنهم زوجها! آى

FOR AUTHOR USE ONLY

أنهن لا يتبعن فى مصالح الوطن إلا انفسهن.واعتقدت (هدي شعراوي) بأنه فى لحظات الخطر لا يبدى الرجل أى اعتراض لظهور المرأة بجواره ولكنه يغير نظرته إليها فيما بعد؟! وكونت اتحادها النسائي منفصلة بقضية النسائية،جاعلة الوطنية من خلال رؤيتها الخاصة كأنثى بدليل اهتمامها الواضح بأثار معاهدة 1936 وقضية فلسطين،وإن كان سعد زغلول قد أوضح بشكل مباشر للزعيمة الوفدية الجديدة التى تولت لجنة نساء الوفد بعد هدي شعراوي – منيرة ثابت– إنه لا ينكر حركة المرأة وحقوقها ولكنه يؤجلها – وإن التأجيل لا يعنى الإنكار وإنما يعنى الانشغال بما هو أولى– إنه شئ يشبه ما فعله عمر بن الخطاب فى عام الرمادة – أوقف أعمال نص قطع يد السارق ولكنه لم يكفر بالنص– وطالبها بأن تضع التحولات الوطنية والأعراف والميراث الاجتماعى فى الاعتبار ولكنها أتعبته أكثر من هدي شعراوي !

فهى صغيرة وحاصلة على ليسانس الحقوق من السربون وثائرة لحد التطرف لقد فاجأته سنة 1924 عندما ألف أول وزاة شعبية بقولها أنها وزارة لا تمثل الشعب؟! وسألها الزعيم لماذا؟! إنها أول وزارة يدخلها الأفندية.. وقالت له: وزارة بلا وزيره امرأة لا تمثل الشعب!!

وإذا بمنيرة ثابت تعارضه: أنا لم أتزوج بعد يا سعد بيه ولا ينوب عنى إلا امرأة..الرجل لايمثلنى فى البرلمان!! وأنبرت للزعيم بلسانها الطويل (التقاليد منعت الأفنديات أن يصبحوا وزراء، وأنت كسرت التقاليد الذكورية

FOR AUTHOR USE ONLY

وجعلتهم وزراء !! فلماذا لا تكسر التقاليد الأنثوية وتدخل المرأة البرلمان.؟ إنك رئيس وزراء ثورة). واعتقد سعد زغلول أنه غير العادات الشائعة.فإذا كان لا يجوز للمرأة أن تمشى وحدها فى الشارع يجب أن يتبعها خادم. فإذا كانت مع زوجها، تعمد أن يمشى أمامها، وتمشى هى خلفه.فإذا به يمشى مع زوجته ويخرج معها ويركباً الحنطور جنباً إلى جنب..ومما يذكر أن صورة الزفاف لسعد زغلول وصفية ظهر فيها العريس سعد جالساً على مقعد وكانت صفية واقفة وراءه! ولكن بعد الثورة بدأت صفية تظهر فى الصور الفوتوغرافية جالسة إلى جواره أو واقفة بجانبه.

وحدث أن رفع سعد الحجاب عن وجه أبنة الشيخ علي يوسف فى إحدى حفلات بيت الأمة وكرر ذلك مع الآنسة "فكرية حسنى" عندما ألقت خطاباً وعلى وجهها حجاب
فقال لها: تحملنا ألا نراكِ ولكن لا نسمع ما تقولين؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكنه لم يحتمل ما فعلته (منيرة ثابت) كيف يخرج رجل غريب مع آنسة غريبة فى الشارع جنباً إلى جنب؟! بل إنهما يتنزهان، ويجلسان فى الأماكن العامة؟! وفرض على منيرة والأستاذ عبد القادر حمزة "الزواج ؟! " مع أنهما كانا يعملان معاً فى جريدة واحدة؟! أنه فى الوفد لايسمح لايسمح بما فى جامعة السربون..

وبهت سعد زغلول من منيرة ثابت وهى تقول له : أنها موافقة على الزواج ولكن الأستاذ (عبد القادر حمزة) متزوج وعنده أولاد وهى لا تريد أن تكون لها ضرة.. إنها ضد تعدد الزوجات...والمعنى أنه عليه أن يطلق زوجته الأولى ؟! وقال لها سعد: لا تملكى تعديل نصوص القرآن يا منيرة وقالت له أنا أتحدث بالشريعة: (ولن تعدلوا)؟! وإذا بسعد يثور ويصيح إنك تفسرين القرآن بالفرنساوى الذى تجيديه !! العرب يعرفون التفسير الصحيح فلقد اعتقدت منيرة ثابت أن الأربع كلمات السحرية التى كررها (سعد زغلول) " الدين لله والوطن للجميع" قد حيدت الدين عن نظر طموحاتها النسائية وأن قبول الزعيم للسفور يعنى قبوله للتبرج، وأنه إذا كان قد سمح لزوجته بقلع اليشمك فإنه سيسمح للنساء ولها لخلع نصوص الدين!!وأسقط سعد زغلول (منيرة ثابت) من برجها العاجى ومن ثورتها الفائرة وزوجها رغما عنها برجل متزوج – ليقطع الالسنه عن أن تمسها بسوء – وقبلت أن تكون زوجة ثانية!!

FOR AUTHOR USE ONLY

لقد أقنعها سعد زغلول بأنه لم يخلع الجبة والقفطان ولكنه لبس فوقها الملابس الأفرنكى!! وأن تحييد الدين الذى يفهمه سعد الأزهري، الأفندي، الفلاح، الثائر، الزوج بلا ولد، الأب لكل الشعب، السرى، العلنى، المنفى، الحاضر. هو التمهيد لدولة مصرية خالصة لا يقتلع فيها الدين من القلوب ولكن يقتلع فيها (الباب العالى) من الحكم.دولة مدنية لا يتاجر فى سياستها باسم الدين وتهب حق المواطنة والتمثيل لمن يثبت صلاحه قبطى كان أم مسلم. إن عبارة الدين لله. إنما تعنى أن التقديس لله

وحده والناس جميعاً عبادة.ويبدو أن صفية زغلول كانت تقر سعد فيما ارتضاه فقضية المرأة متصلة بقضية وطنها ولا تنفصل عنه،فإذا قامت بدورها فى (الوطنية) فعليها أن تعود وتجلس فى بيتها، فقد رفضت من يقول لها أنها زعيمة الوفد بعد موت سعد. إنها تكمل رسالته ولا تعرف من أين تبدأ من بعد ما انتهى!!

ويعتقد البعض كما سجلوا فى كتاباتهم أن سفور صفية زغلول فى إطار النسائية ولكنها كانت تراه فى إطار الوطنية وثورة 19!! فلقد أدهش صفية زغلول أن (لجنة نساء الوفد) عند المقاطعة المدنية لكل ما هو إنجليزى من بضائع وتعاملات الذى قادته الثورة الزغلولية، يضع معظمهن (البودره) على وجوههن!!

وكانت إذا أرادت أن تصف فتاة بأنها مؤدبة قالت: إنها لا تشرب القهوة ولا تضع ساقاً على ساق! ..وأذهلها عندما رافقتها (فهيمة ثابت) فى سفرها لسعد زغلول فى منفاه عند مرضه بجبل طارق أن هذه المرأة الثورية التى تركت أسرتها وأولادها لتكون فى خدمتها وزوجها سعد لتقدمهما فى السن– تدخن السجائر!! وبدى وكأنها تعيد أفكارها عن المرأة الفاضلة والمرأة الثائرة؟!..فهى كانت تراهما امرأة واحدة، متجاهلة اختلاف الشروط بين الديناميكية والإستاتيكية؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

وحينما زارتها السيدة (فاطمة نعمت راشد) سنة 1941 أول مرة مرتدية بنطلون طالبه منها أن تكون رئيسة شرفيه لأول حزب نساء فى مصر أسسته نعمت راشد فى 1492،استغربتها جدا من شكلها ومن طلبها

صفية – لماذا لا تلبسين مثل النساء؟!

نعمت – تقصدين البنطلون.. إنه أكثر حشمة وحرية للمرأة العاملة.

صفية – ولكنه أكثر فتنة بالناس فى الشارع، المرأة لا ترتدى البنطلون إلا إذا خلع الرجل بنطلونه واعطاه لها!!

وانصرفت فاطمة نعمت قبل أن تكمل قهوتها..لقد سمعت منها أنها لم ترفض زوجه النحاس لأنها مطلقة وإنما لأنها تلبس البنطلون،وأنها لم ينطلق لسانها ضد امرأة بأنها سيئة السمعة.ولكن البنطلون يسئ لسمعة المرأة (إنه يصفها ويشفها) ويبدو أن بنطلون فاطمة هانم كان من أنواع الأسترتش !! وفى حزبها الخاص قالت فاطمة نعمت: لقد كبرت وخرفت صفية زغلول، زهبت لأكلمها عن أول حزب للنساء فى مصر فكلمتنى عن البنطلون الذى جعل النحاس يترك أخت القاضى مصطفى حسن ويتزوج بزينب الوكيل.أنها وقفت عند مسائل شكلية!!..وأسقطت المسائل الشكلية حزب فاطمة نعمت حينما رأت أن من حق المرأة أن تكون ضابطة فى القوات المسلحة!! لأن من حقها دخول كل الوظائف وسألوها إذن يمكن تكون مجندة وعسكرى ومقاتلة ولم ترد؟! .. ووزعت الجاتوه لتوقف الكلمات والأسئلة عن الألسنه!!

FOR AUTHOR USE ONLY

فهناك مرحلتان للوعى الوطنى النسائى:

- المرحلة الأولى (من نهاية القرن التاسع عشر وحتى ثورة 1919).
- المرحلة الثانية (من 1919 حتى 1923).

واستندت المرأة فى المرحلتين وتعكزت فيهما على الحداثة الإسلامية والحركة الوطنية التى بطابعها كانت مسلمة ولأن النسائية فى المرحلة الأولى كان لها مفهوم شرقى. (ففى هذه الفترة المبكرة ركزت المرأة على إعداد نفسها والجيل المقبل من النساء على حياة جديدة فى المجتمع، وذلك عن طريق التعليم الذاتى، والتعليم الرسمى فقد بدأت المرأة بالتحرك تدريجياً وبحذر شديد نحو الحياة العامة، بينما ظلت محتفظة بتقاليد العزلة، لتتجنب فقدان الاحترام والاستغلال الجنسى.) ولقد حذرت كل من: ملك حفنى ناصف. ونبوية موسي، من رفع الحجاب فى بداية القرن حتى لا تتعرض المرأة لمضايقات الرجال الذين لم يتعودوا رؤية المرأة المحترمة فى المدينة بدون حجاب.وفى عام 1910 ردت ملك حفنى ناصف على حديث لعبد الحميد أفندي،دعا فيه إلى رفع الحجاب وقالت: إننى مندهشة لدعوتك لنا برفع الحجاب فى الوقت الذى ما زلنا نتعرض فيه للحملقة الوقحة ولملاحظات غاية فى الإحراج عندما نسير فى الطريق!!

كانت النسائية التى تطالب بها المرأة فى هذه الفترة تختلف عن النسائية التى ينادى بها الرجل المتحرر،والتى يدعو فيها إلى وضع نهاية فورية لنظام الحريم

FOR AUTHOR USE ONLY

ورفع الحجاب،ولقد أصرت المرأة على تحديد جدول أعمال خاص بها، وتحديد أولوياتها، وعملياً كان على المرأة وليس على الرجل أن تواجه المجتمع الأبوى، ولقد رأت أن الوقت لم يكن مواتياً بعد.وفضلاً عن ذلك فإن السخرية الكامنة فى تلقى المرأة للأوامر من الرجل بالنسبة لتحررها، لم يكن خافياً عليها..لذا رأت ثورة 19 أهمية الاستفادة من الوعى الوطنى النسائى وأشراكها فى قضية تحرير بلادها وفى هذه المرحلة الثانية اشتركت نساء الوفد مع رجال الوفد كما أنهن حللن محلهم أثناء غيابهم. إن نجاح الوفد يرجع بدرجة كبيرة إلى التأييد الكبيرالذى كان يحظى به، فلقد لعبت نساء الوفد دوراً أساسياً فى تنظيم وتنسيق، وتوسيع نطاق التأييد للوفد وفى الأيام الأولى للثورة، عندما تم استبعاد الزعماء من الرجال على وجه السرعة من مسرح الأحداث حافظت النساء المصريات على الحركة متآججة وحشدن التأييد الوطنى من خلال تعبئة شبكات الاتصال بين السيدات فى كل أنحاء البلاد.فمنذ عام 1919وحتى عام 1922 مرت فترات طويلة كان فيها سعد زغلول ورجالات الوفد مبعدين بالإعتقال والنفى وحل محل الرجال النساء فى هذه الفترة ولعبن أدواراً رئيسية مثل الحفاظ على الروح المعنوية للشعب وتخطيط الاحتجاج،وإدارة الشئون المالية ومواصلة الاتصال بالزعماء الغائبين وسلطات الاحتلال،ووسائل الإعلام والخارج.

FOR AUTHOR USE ONLY

وشاركت المرأة كمناضلة فى الكفاح أثناء الثورة، بصفتها مواطنة مصرية وليس بصفتها امرأة.. وكما أن الوطنيين من الرجال قبلوا النضال الوطني للمرأة، عندما كان يروق لهم ذلك مثل مظاهرات المرأة والمقاطعة الاقتصادية على سبيل المثال تحت ظروف القهر وعندما كانوا يودعون السجون أو يرحلون إلى المنفى،ولكن عندما كانت العناصر الوطنية من الرجال لا تزال على مسرح الأحداث، ولها السيطرة على مقاليد الأمور، أهملوا وجهة نظر المرأة، ثم بعد الاستقلال حرموها كمواطنة من حقوقها السياسية المكتسبة حديثاً. وكان قد أصبح جلياً لرائدات الحركة النسائية خلال النضال الوطنى بعد ذلك أن وطنية الرجل تتسم بطابع السلطة الأبوية .وكانت تجربة المرأة مع سعد زغلول، تجربة مفيدة فقد وضح فيها أن الوفد يريد أن يذيب الحركة النسائية فى الحركة الوطنية،والحركة النسائية تريد أن تركب الوفد لتحقيق طموحاتها ولم يكن السؤال كيف يمكن وضع الوطنية والنسائية فى زجاجة واحدة؟! وإنما كان السؤال من يسبق الآخر فى الأولويات والتحرك الوطنية أم النسائية؟!

كما أن أبعاد الوطنية عن النسائية والنسائية عن الوطنية تجزئة لا طائل منها وسيخسر منها الطرفان.ولكن علينا أن نقرر أن حزب الوفد قبل أن يتعامل مع النسائية بالمفهوم الشرقى واقترب منها وحن عليها بأقصى مايحتمل – برغم أن النسائية بطبيعتها مفهوم غربى يتعين مقاومته باعتباره صورة من الاستعمار الثقافى – وأنه منذ عام 1922 أخذت النسائية

FOR AUTHOR USE ONLY

مظاهر غربية واضحة.وقد اعترفت المرأة حديثاً بذلك ففى بحث لمركز دراسات المرأة الجديدة 1995 عن (الحركة النسائية فى مصر) أقر البحث بأن من سمات هذه الحركة أثناء وبعد ثورة 19 وحتى 1952.

- الاتصال بالغرب الذى كان له أثره فى المقارنة بين أوضاع المرأة المصرية والغربية.
- تبنى التفسير المتقدم للدين فى مسألة النساء فى أغلب الأحوال.
- فك اللثام عن العادات التركية فى ملابس النساء التى وصلت لحد الاعتقاد فى عدم أصولها الدينية.

ولكن العمل النسائى كالعمل الحزبى فى مصر فى تلك الفترة أعتمد على النخبة والصفوة المثقفة وأنه باستثناء لحظات الاحتدام الثورى أثناء 1919 حيث اندفعت كتل النساء للمشاركة فى التظاهرات والاضرابات ظلت المساحة الأساسية للعمل للرائدات المثقفات وربما من طبقات بعينها. وكان مركزها الأساسى المدن الكبرى والعاصمة القاهرة. ولم تصل للريف المصرى ولم تتماس مع نساء الطبقات الفقيرة إلا من خلال بعض الخدمات

FOR AUTHOR USE ONLY

فقصة سعد مع النساء ليست قصة غرامية مشتعلة..ولا فضحية صحفية صفراء. ولكنها جزء من تراث شعب. وقصة مستمرة كانت ولا تزال موضوعا للحكى و الدراسة، وإن كان فيها كل ما يميز قصص النساء من تجازب وتنافر وعشق، وهجران.واحيانا التباس؟!

فسهد مستعد فى ذلك أن يضع رأسه على كفه. ولكنه لا يتجاوز ذلك ولا يتجاوب فيه!! وقد فعل ..وفقد وظيفة (وزير الحقانية)..من أجل حقوق الأميرة (صالحة هانم) فإحدى أميرات القصر الملكى وهى صالحة كريمة الأمير إبراهيم حلمي عم الخديوى عباس حلمي الثاني.تزوجت من دبلوماسى روسى مسيحى هو (فلاديمير يوركومنيش) وثارت ضجة حول هذا الزواج لأن الزوجة مسلمة، والزوج مسيحى.فأمر الخديوى بمحو اسمها من سجل أفراد أسرة محمد علي وتعيين قيم على أملاكها ليقوم بتقديم كشف حساب عنها كل عام لوزير الحقانية – والذى كان وقتها (سعد زغلول)– وشعر سعد بأن هناك مؤامرة على ثروة تلك المرأة وذلك لقيام القصر بالتدخل فى أقصاء أمها من الوصاية لصالح أبنائها من زوجها الأمير واعترض سعد على اختيار السرايا الأول (محمد باشا حسن) وقال أنه لص تاريخه لا يؤهله للوصاية – فاختار الخديوي حسن محرم وكيل وزارة الحربية الذى كان فى نفس الوقت يد اللورد كيتشنر الإنجليزى وعينه على القصر!! فلما راجع سعد زغلول هذا الحساب وجد فيه إجحافاً خطيراً فأمر بعزل حسين محرم وكان صديقاً حميماً لكتشنر.. وللسراى أيضاً..فلما شكاه تحدث إليه كتشنر بأنه لم يعمل حساباً لصداقة حسين محرم باللورد وأقصائه من وظيفة تدر عليه دخلاً..وطالب بعودته..وهو ما اعتبره سعد تدخلاً فى صميم عمله.. فاستقال.

وذات يوم سمع (مصطفي وعلي أمين) سعد يتحدث غاضباً عن سيدية اسمها (صفية) وبهت الطفلان.. إن سعد يهاجم صفية هذه بعنف ومرارة،

FOR AUTHOR USE ONLY

إنهما يعرفان أن ستهما اسمها صفية وهى زوجة سعد، وهو يحبها كل الحب، ويحترمها أشد الاحترام.. وإذا بالطفلين يبكيان فى وقت واحد حزناً لأن جدهما يشتم ستهما بهذه الألفاظ القاسية!

وتنبه سعد إلى بكائهما ودهش، وسألهما عما يبكيهما؟ فقالا فى صوت واحد: لأنك تشتم ستى! وضحك سعد طويلاً وضحكت صفية زغلول..

وقال سعد أنه لا يهاجم صفية زوجته وإنما يهاجم صفية السادات أرملة صديقه الشيخ علي يوسف! وكانت هذه هى أول مرة يسمع فيها الطفلان سعد يقسو فى الحديث عن امرأة!.. وكان سر قسوته أنه سمع أن أرملة صديقه أحبت بعد وفاته ممثلاً مغنياً اسمه زكى عكاشة، وأنها قد تتزوجه، وكان سعد ثائراً على هذا التصرف، فقد رأى فيه عدواناً على ذكرى صديقه الذى أعطى هذه المرأة اسمه ومجده وحياته فداست على كل هذا بالأقدام من أجل ممثل شاب!..وهاجمت سعد زغلول (نبوية موسي) و(منيرة ثابت) و(روز اليوسف) وقلن: إنها لم تخن زوجها ولكنها تتزوج بعد موته بـ7 سنوات. ثم أنه عندما مات زوجها علي يوسف كانت صفية السادات فى السادسة والعشرين!!

وقالت روز اليوسف: آلان زكي عكاشة مشخصاتي؟! ..

وقالت نبوية موسي:أخشى أن يفضل زعيم الوفد الطريقة الهندية فى التعامل مع الأرملة بعد موت زوجها.فنحرقها حية مع جثة زوجها الميت!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وقالت منيرة: إن سعد زغلول يريد وفاء المرأة بعد الموت– ولا يعترف بوفاء الرجل فى الحياة أين وفاء الرجل إذا كان له زوجة ثانية وثالثة ورابعة!!

ولكن سعد زغلول كرجل فلاح لم يتصور أن تنتهى قصة حب شهدها، هذه النهاية كان يعتبر أن (زكى عكاشة) نزوة. على صفية السادات عليها أن تعلو فوقها وتتخطاها!! ..كانت القصة التى أثارت سعد زغلول كل هذه الثورة، من الغرابة بمكان،فقد كان الشيخ علي يوسف فلاحاً فقيراً فى قرية بلصفورة فى الصعيد،وجاء إلى القاهرة ودرس فى الأزهر، ولكنه لم يستطع إتمام دراسته لشدة فقره. فعمل فى الصحافة. وبرز فيها. وأصدر جريدة المؤيد،وأصبح الصحفى الأول فى مصر. وكانت المؤيد تهاجم الإنجليز وتنشر مقالات مصطفي كامل. وكان سعد يساعد المؤيد مالياً عندما تقع فى صراعها مع الإنجليز. وأحب الشيخ علي يوسف الآنسة صفية السادات ابنة الشيخ السادات وهو عميد أسرة عريقة من الأشراف تنتسب إلى سلالة الحسين أحفاد النبى.وتقدم الصحفى الأول إلى الحسيب النسيب يطلب يد ابنته ووافق الأب فى أول الأمر ثم تدخل خصوم الصحفى الأول واقنعوا الأب بأنه لا يليق بكرامة أسرة السادات العظيمة أن تزوج ابنتها لصحفى وضيع الشأن من أسرة حقيرة لا تنتسب للنبى ولا للخلفاء الراشدين. واقتنع الأب وصرف النظر عن الزواج.وإذا بالأنسة صفية تتصل سراً بالصحفى الأول تبادله الخطابات الغرامية وتتفق معه على أن تهرب من بيت أبيها وتتزوج منه. وفعلاً تم الزواج وفوجئ به الأب.ولم يكن سعد فى أول الأم موافقاً على هروب صفية من بيت أبيها ليتزوجها

FOR AUTHOR USE ONLY

حبيبها الصحفى الأول. ولكنه لم يلبث أن وقف مع الصحفى علي يوسف عندما رأى الرجعية كلها تقف ضده. فقد أوعز الإنجليز إلى الأب أن يرفع قضية أمام المحكمة الشرعية يطلب طلاق ابنته من الصحفى الأول بحجة عدم كفاءة علي يوسف لابنته لأن نسبه حقير.وحرفته.وهى الصحافة.مهنة حقيرة بل أحقر الحرف،حرفة كلها عار وشنار لا يحترفها إلا كل متشرد آفاق وكل من لا صناعة له وكل من لفظته الأعمال الشريفة!..

وفوجئ سعد بأغلبية الرأى تقف ضد الشيخ علي يوسف وتقول أنه لا يجوز. للصحفى الذى هو فلاح من أسرة غير منسبة، أن يتزوج من ابنة كبير الأشراف! ووجد سعد نفسه فى معسكر علي يوسف ضد أغلبية الرأى العام فى مصر. إنه هو أيضاً فلاح مثل علي يوسف. إن أسرته لا تنتسب للنبى مثل علي يوسف. إنه كان صحفياً مثل علي يوسف، ومع ذلك فقد تزوج من ابنة رئيس وزراء مصر، ولم يجرؤ أحد على أن يقول أن هذا الزواج غير متكافئ! لم يصدق سعد زغلول أن صديقه (الشيخ علي يوسف) الذى صبر بعد حكم التفريق بينه وبين زوجته لمدة ثلاث سنوات..عاد بعدها يحمل البشويه ووجد أن هذا الحادث قد أعاق زواج صفية السادات من بعده– فتزوجها مرة أخرى ومن يد أبيها الشيخ السادات،فهو الباشا صاحب أكبر جريدة فى مصر لتنتهى قصته بأن تزوج أرملته من ممثل شاهدته وهو يؤدى دور روميو فى مسرحية لشكسبير!! فإذا كان الطهطاوى تنبأ بفتح الباب للنساء ووقف ينظر من النافذة. وإذا كان الشيخ محمد عبده لم يجد غضاضه دينية فى ترك الباب مواربا ولكنه

FOR AUTHOR USE ONLY

أغلق على زوجته حجرتها.؟وإذا كان قاسم أمين سهل أمر فتح الباب وجعله مجرد ستارة يسهل اختراقها !!

فإن سعد زغلول هو الذى قرر فتحه ولكنه قرر أيضاً أن يبقى مفتاحه بيده.

المشاغبة صورة بحجرة الزعيم!! 1855- 1930

FOR AUTHOR USE ONLY

(يقول وأعود إلى زيارتى لبيت الأمة، أو بيت سعد زغلول، فقد لفتت نظرى صورة معلقة فى حجرة نوم سعد،وظننت فى أول الأمر أن هذه الصورة هى صورة زوجته (صفية زغلول) ولكن صديقى المؤرخ الفنان صلاح عيسى الذى كان يصاحبنى فى هذه الزيارة قال لى: لا هذه صورة الأميرة المشاغبة (نازلي فاضل) وتأملت الصورة جيداً وتعجبت أن تكون هناك صورة لأميرة فى بيت زعيم الفقراء والثائر على الأمراء أو (زعيم الرعاع) كما كان أعداء سعد يطلقون عليه تهويناً لشأنه وتصغيراً لمكانته،فالرعاع هم عامة الشعب،وهم الغوغاء فى نظر الأرستقراطية التى كانت تضيق بشعبية سعد زغلول وحب الناس له.) رجاء النقاش

وطرح السؤال نفسه من هى الأميرة نازلي التى وضع سعد زغلول صورتها الكبيرة فى حجرة نومه.وأشتد إلحاح السؤال عندما قرأت هذا الحوار فى كتاب (الهانم والزعيم) للكاتب الصحفى رشاد كامل:وجاء السفرجى يحمل

الطعام،وتقدم به أولاً إلى (سعد زغلول) هكذا كانت التقاليد فى ذلك الوقت،لكن السفرجي فوجئ بـ سعد وهو يشير إليه بتقديم الطعام إلى (صفية) فوجئت (صفية) وكتمت دهشتها لكنها لاحظت أن ضيق سعد يتزايد،وكآبته تملأ وجهه وهموم الدنيا كلها تطل من عينيه، وبكل رقة وحنان سألته:

- مالك يا سعد؟! هل أنت مريض؟!

- رد سعد: ياريت.. بل هناك مصيبة أكبر من المرض؟!

دهشت (صفية) من الإجابة وعادت تسأل بقلق أكبر..

- خير يا سعد.. مصيبة إيه!

رد سعد وهو متجهم الوجه:السلطان فؤاد سيتزوج (نازلي)!! ولم تستطع (صفية) أن تخفى دهشتها وانفعالاتها، وربما فرحت وارتاحت وهدأ بالها، فلأول وهلة ظنت أن السلطان فؤاد سيتزوج (الأميرة نازلي فاضل) غريمتها السابقة فى حب سعد زغلول، لكنها سرعان ما أدركت أن الأميرة (نازلي فاضل) كانت قد توفيت منذ بضع سنوات!!.. وعادت صفية لتسأل (سعد) بدهشة: (نازلي) مين التى سيتزوجها (السلطان فؤاد)

سكت (سعد) قليلاً وطال صمته، وخرجت زفرة حارة من صدره .. وقال: نازلي خطيبة (سعيد زغلول) ابننا؟!

لم تملك (صفية) نفسها من الذهول وصدمة المفاجأة وصرخت قائل: مش معقول!! مش معقول!!

FOR AUTHOR USE ONLY

لكن (سعد زغلول) عاد يؤكد لها قائلاً : هذا ما حدث يا صفية!!
ورغم تأكيد (سعد) لم تكن (صفية) تريد أن تصدق ما تسمعه ،وقالت لسعد متسائلة وبدهشة: هل أنت متأكد يا سعد مما تقله الآن!..
رد سعد وقد بدأ صبره الطويل ينفذ:نعم يا صفية (السلطان فؤاد) سيتزوج نازلي بنت (عبد الرحيم باشا صبري) والتى يريد سعيد ابننا خطبتها!..وسكتت (صفية) من هول الصدمة!!..

وإذا كانت صفية زغلول سكتت من هول الصدمة !! فقد تحركت من هول صدمة غير مباشرة أصابتنى
فرجاء النقاش يقول: صورتها فى غرفة نوم الزعيم وفوف رأسه فى مخدعه؟!
..
ورشاد كامل يكتب: إنها غريمتها السابقة فى حب سعد زغلول!!
أما صلاح عيسي فيصفها: بالأميرة المشاغبة.
وإذا بقطع الميكانو تتجمع حينما ذكر كتاب (الأميرة التى هزت عرش الخليج؟!)عبارة:وفتنت"الأمير نازلي فاضل"الإمام محمد عبده عن قضيته فصار بينهما علاقة وثيقة وصلت لحد تبادل الرسائل الخاصة!!
وبدأت البحث عن حبيبة الزعيم الأميرة المشاغبة التى وضع صورتها فى حجرة نومه!! ولأن سعد زغلول كان أكثر من صديق لعباس العقاد الذى قال فى رثاء سعد زغلول:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وأنثنى الشرق عليها فبكاها

FOR AUTHOR USE ONLY

والشمس هنا هى (سعد زغلول) فى رأى العقاد. واعتقدت أن لوضع الصورة هذه نفس معنى لوحة (الشهد والذباب) التى طلبها العقاد من(صلاح طاهر الفنان التشكيلى المعروف) طلب منه أن يرسم لوحة غريبة تحمل معانى الشعر الذى كتبه فى حبيبته بعد أن هجرها وهجرته فاتفقا على رسم فطيرة حلوة شهية يشتهيها الجائع والشبعان ولكن حام حولها الذباب. فأصبحت هذه الفطيرة على هذه الصورة لا يقترب منها أحد..بل تعف النفس منها وتعزف العين عنها!!

ووضع العقاد هذه الصورة فى حجرة نومه..وفوق سريره؟! فقد عزف عن حبيبته كما تعزف العين عن هذه الفطيرة!! والبعض يرون أنها ترجمة لأشعار للعقاد التى تقول:

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى..
وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد..فألقاك جسماً مستباحاً
وطالما لقيتك جم الخوف جم التردد..
إذا لم يكن بد من الكأس والطلا..
ففى غيد بيت كان بالأمس مسجدي.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكنى كنت واهم؟!!

إن نازلي فاضل،ومرجعى الأول هو بحث الدكتور الشناوي الصغير الممتع هى:نازلي مصطفي فاضل ابنة الأمير مصطفي فاضل شقيق الخديوي إسماعيل،وعم الملك فؤاد،وقد كان المفروض أن يصبح مصطفي فاضل ولياً لعهد اسماعيل وحاكماً لمصر من بعده،ولكن اسماعيل استخدم كل الوسائل

المشروعة وغير المشروعة من الرشوة والدسائس وغير ذلك لكى يغير نظام الحكم للأكبر من أبناء هذه الأسرة، جعله مقصوراً على أولاد اسماعيل وأحفاده، وبذلك تم استبعاد مصطفي فاضل من ولاية العهد، وأصبح الخديوي توفيق ولياً لعهد أبيه اسماعيل، ثم حاكماً لمصر من بعده،وفى عهده وبمساعدته تم احتلال الإنجليز لمصر سنة 1882 وقد حول مصطفي فاضل قصره إلى مدرسة أصبحت المدرسة الخديوية القديمة،وكان صاحب أكبر مكتبة خاصة فى مصر أصبحت فيما بعد هى دار الكتب المصرية ومعظم كتبها كانت من عيون الأدب والتاريخ العربى التى كانت فى حيازة الأمير مصطفي فاضل.وإذا كانت نازلي قد خرجت إلى الحياة العامة،بعد الاحتلال البريطانى والذى بسببه كان الشعور الشعبى يضطرم بالكره للسراي،فإن والدها – الأمير مصطفي فاضل– كان محبوباً بين المصريين لموقفه من اسماعيل ولانصرافه للعلم والأدب دون السياسة.وقد انعكس الجو الأدبى والفكري الراقي الذى نشأت فيه نازلي فاضل على سلوكها، ففتحت فى قصرها الذى كان قائماً إلى جوار قصر عابدين مكاناً أو صالونا يلتقى فيه أهل العلم والأدب من صفوة المصريين الأصلاء فى مصريتهم مثل سعد زغلول وإبراهيم المويلحى والشيخ محمد عبده، ولو لم يكن صالون (نازلي فاضل) يحتضن الفكر التحررى والتقدمى فقط، بل والثورى ايضا. فكان يغشاه الفيلسوف والثائر جمال الدين الأفغاني،وتلميذه الصحفى (الشامي) الثائر أديب إسحق..يقول الدكتور الشناوي:(أنشأت الأميرة نازلي فاضل هذا الصالون داخل قصرها فكان أول صالون أدبي فى مصر الحديثة وكان رواد هذا الصالون لا يكتفون

FOR AUTHOR USE ONLY

بالحديث حول الأدب والشعر والأمثال والحكم، ولكنهم كانوا يتدارسون أحوال البلاد ذاتها سياسياً وفكرياً وأدبياً كما كانوا يتصدون للكتب الأجنبية التى تصدر عن مصر فى الخارج وتهاجم مصر والأحوال الاجتماعية فيها مثل كتاب (داركور) الفرنسى الذى كان يعمل قاضياً فى المحاكم المختلطة المصرية وهو كتاب عنوانه (سر تأخر المصريين)، فكانت الأميرة نازلي فاضل تدفع رواد صالونها لتفنيد هذه المزاعم بالحجج السليمة وبالأسلوب الأوربى، أى الأسلوب المبنى على الوقائع والبراهين العلمية والعقلية، وليس الأسلوب المبنى على العاطفة والتعبيرات الإنشائية، وكانت الأميرة تدفع كل النفقات اللازمة لنشر آراء المصريين وردودهم على الذين ينتقدونهم ويستهينون بهم من الأوروبيين، سواء تم ذلك فى كتاب أو فى الصحف العربية والصحف الفرنسية.

(كل ذلك كان يتم دون أن تتباهى هذه الأميرة بما تفعل أو تمن به على شعب مصر).. ثم يقول الدكتور الشناوي: (إنه على عكس ما كان منتظراً لهذه الأميرة النبيلة من التقدير والاحترام، فقد لقيت الأميرة تجاهلاً تاريخياً يكاد يكون كاملاً، هذا فضلاً عن أن البعض تعرض لها ولعدد من أصدقائها وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده بالتشكيك، لأن بعض الإنجليز كانوا من رواد صالونها، أو لأن كلمتها كانت ذات وزن وتأثير لدى السفارة البريطانية والواقع أن الإنجليز كانوا يحترمونها ويقدرونها وكانوا يرون فى رواد صالونها هذا خلاصة الفكر الراقى بين الوطنيين المصريين الذين كان الإنجليز أنفسهم حريصين على تعرف نبضهم ومحاولة استقطابهم إن أمكن.. ولكن هل يمكننا إلا أن نشك فى أن رواد هذا الصالون من أمثال

FOR AUTHOR USE ONLY

سعد زغلول وقاسم أمين وقبلهم جميعاً محمد عبده كانوا مخلصين لمصر وفوق أى شبهة من شبهات العمالة للإنجليز وأن تقرب الإنجليز منهم لم يكن سوى سياسة وكياسة؟!

وهناك شهادة من رجل تثق فى شهادته ذكر فيها أنه كان زائراً لصالون (مي زيادة) الأدبى – وصالون (نازلي فاضل)– الفكري وأنه قد حضر قليلاً فى صالون نازلي وكثيراً فى صالون مي، ففى الأول الأرستقراطية والفرنسية.أما فى صالون مي فنحن على سجيتنا نحلق مع لغة الضاد وإن كانت مي تعرف أكثر من لغة (حددها العقاد لنا بخمسة). هذه هى شهادة الشيخ مصطفي عبد الرازق (**1885– 1948**) والذى كان وزيراً للأوقاف وشيخاً للأزهر وأستاذاً للفلسفة الإسلامية فى جامعة القاهرة، وكان والده صديقاً للشيخ محمد عبده، بل أن مصطفي عبد الرازق نفسه كان تلميذاً للشيخ الإمام ومن أكثر الناس التصاقاً به ووفاء له ومعرفة بأفكاره وقد كتب مصطفي عبد الرازق بحثاً عن أثر المرأة فى حياة الشيخ محمد عبده يقول فيه: (إن صالون الأميرة نازلي فاضل كان مجتمعاً للعظماء وقادة الرأى فى مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر،وقد اتصفت هذه الأميرة بصفات

FOR AUTHOR USE ONLY

شخصية عالية جعلتها تميزقيم الرجال وتخص الشيخ محمد عبده بمكانة تجمع بين الحب والإجلال.
وكتب بحثاً آخر عن صالون مي زيادة قال فيه: إن مي أميرة النهضة النسوية فى الشرق. بل أميرة النهضة الشرقية على إطلاقها.

وشعرت من كتابات الشيخ مصطفي عبد الرازق أن الصالونين كانا متعاصرين ولكن التاريخ يذكر أنهما كانا متعاقبين..صالون نازلي فاضل سابق، وصالون مي لاحق فقد بدأ صالون مي بعد وفاة الأميرة نازلي فقد توفت عام 1941. وفتحت مي صالونها فى ذلك العام. ولمدة عشرون عاماً لاحقة.وتؤكد السيدة سيزا نبراوي فى مذكراتها بأن (مي زيادة) التحقت بالاتحاد النسائي شأنها شأن الكثيرات من المثقفات المصريات آنذاك– وكانت تؤيد اتجاهه السياسى والاجتماعى وإن كانت تهتم أكثر بالموضوعات الأدبية – إلا أنها لم تعترض قط على عرضنا لأية قضية من قضايا المرأة – وبرغم أنها أطلعت على الكتب والمخطوطات التى سجلها صالون الأميرة (نازلي فاضل) فإنها لم تكتب فى الصحف إلا الموضوعات الأدبية والعلمية التى كانت مثاراً للجدل.
وأنها علقت على ما كتبه قاسم أمين حول كتاب المستشرق دراكور (سر تأخر المصريين) فى كتابه الأول (المصريون) بأنها محاولة جيدة لتحرير الرجل فالمرأة تطالب بأن تكون متساوية بالرجل طالما أنها مثله فى الواجبات والمسئوليات – فهل كل النساء مستعدات لذلك؟! وتساءلت (يا ترى متى

FOR AUTHOR USE ONLY

يرضى الرجل بتقرير هذه الحقيقة.. أيها الرجل لقد أذللتنى فكنت ذليلاً حررنى لتكون حراً. حررنى لتحرر الإنسان).

وأعود إلى صالون الأميرة نازلي فاضل..فعندما هاجم المستشرق الفرنسي (مسيو هانوتو) المسلمين والشرقيين وانبرى الأستاذ الإمام محمد عبده– مفتى الديار المصرية آنئذ– للرد عليه مركزاً على الجوانب العقائدية والتاريخية للإسلام،فإن (زينب فوار) قامت بالرد أيضاً متناولة دور المرأة فى المعركة بين الشرق والغرب، ورفعت مبدأ نطالب به الآن وهو تصميم السيدات على مقاطعة المنتجات الأوروبية والتمسك بالمصنوعات المحلية والوطنية.وقد أمسكت الأميرة نازلي بالقصاصات التى كتبتها زينب فواز[3]وقدمتها لقاسم أمين وهى تقول له: أنظر ما ترد به المرأة المصرية على الفرنسيين ولكنك تهاجمنا مثلهم!!والقصة الحقيقية لأفكار قاسم أمين ودور محمد عبده والأميرة نازلي فاضل فى تكوين هذه الأفكار هى قصى

FOR AUTHOR USE ONLY

([3]) زينب أفندي فواز (1845–1914) سبقت قاسم أمين وهدي شعراوي فى تاريخ تحرير المرأة أعتبرتها (درية شفيق معجزة المرأة المصرية التى لم ينتبه إليها أحد.. وإن كان الأستاذ حلمي النمنم أصدر عنها كتاباً مؤخراً 1988م (لها أيضاً رواية بعنوان (حسن العواقب) منسية فى تاريخ الأدب النسائي).ولها رأى يعتبر رائداً فى الحجاب..لا حجاب بيننا وبين درس العلوم واكتساب المعارف، فكشف الوجه واليدين ليس محرماً على قول فريق عظيم من علماء الدين. ولكن العادة التى جرت على عدم كشفهما أخذت شكلاً عقائدياً وهذا مكمن الخطأ فإذا كان النقاب عرفاً وعادة فلا قدسية له. وعلى علماء الدين ألا يجعلوا المرأة تنظر للدين كمسلمة من الدرجة الثانية فى مقابل الرجل المسلم الذى نراه يسهل له أشياء كريهة.

تختلف تماماً عما هو شائع:(عاد قاسم أمين فى أواخر القرن الماضى من فرنسا، حيث درس القانون هناك وكتب بعد عودته مباشرة عدة مقالات فى جريدة (المؤيد) ومن العجيب أن هذه المقالات التى كتبها قاسم أمين بعد عودته من فرنسا كانت قائمة على الهجوم العنيف ضد المرأة المصرية والحط من شأنها وطالب قاسم أمين فى هذه المقالات أن تلزم المرأة المصرية بيتها وأن يقتصر نشاطها على شئون أسرتها وإلا تخوض بأى شكل من الأشكال فى الحياة العامة..تلك كانت هى البداية العجيبة لقاسم أمين الذى اشتهر بعد ذلك بأنه أكبر وأول داعيى لتحرير المرأة وتعليمها وخروجها إلى العمل والحياة العامة.

فماذا حدث بعد ذلك؟..(غضبت الأميرة نازلي فاضل بعد أن قرات مقالات قاسم أمين ضد المرأة المصرية وطلبت الأميرة من صديقها الشيخ محمد عبده أن يصحح لصديقه قاسم أمين أفكاره، وأن يبلغه استياءها الشخصى وغضبها، وأنها مستعدة أن تناقشه فيما زعم بالحسنى قبل أن تهاجمه علناً فالمرأة المصرية فى نظرها ليست بهذا السوء والضعف والتفاهة والانغلاق، وأن ما ينقصها هى الفرصة فقط وحرمانها من هذه الفرصة هو خطأ الرجال المصريين أولاً وأخيراً وهو نتيجة ظلم هؤلاء الرجال للمرأة).

حمل محمد عبده رسالة الأميرة نازلي فاضل إلى صديقه قاسم أمين وقال له: إن المرأة المصرية متمدنة فى فهمها للأمور هو نفس فهم الرجل وإمكانياتها هى نفس إمكانياته، فقط أعطوها الفرصة، وأفرجوا عنها، ووجه الشيخ محمد عبده إلى صديقه وتلميذه قاسم أمين دعوة إلى لقاء الأميرة نازلي فى صالونها ومن العجيب أن الشيخ محمد عبده كان متزوجاً منذ صباه من

FOR AUTHOR USE ONLY

سيدة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك كان متحمساً لآراء الأميرة نازلي فاضل مؤمناً بها مستعداً لتقديم الأدلة (الشرعية) على صحتها.

(ذهب قاسم أمين مع الشيخ الإمام إلى صالون نازلي فاضل، فوجد أمامه سيدة تتقن الفرنسية والإنجليزية والتركية كأبنائها يحضر مجلسها قمم شامخة من رجالات مصر، ويجدون فى هذا الصالون غذائهم الذهني والنفسي، وهى لا تجلس معهم فقط، ولا تتجاوز وتتجاوب معهم فكرياً وحسب، بل كانت أكثر من ذلك كله صاحبة رأى مستقل ثاقب فى الأمور الداخلية والشئون العالمية. ووجد قاسم أمين نفسه على حد قوله– أمام امرأة مصرية تدافع عن مصر ونساء مصر وحقوق مصر وكل ما يمت إلى مصر بصلة بل إنها تجادل الكتاب الأوروبيين وتهاجمهم بشدة إذا تعرضوا لمصر بسوء وهى تجادلهم فى هذا كله جهاداً وعلانية عندما يزورونها فى صالونها، وتفعل ذلك كله دون أى حرج وبلا مقابل تتوقعه ودون طمع فى أى مركز سياسى أو مكسب اجتماعى أو طنطنة إعلامية إنها امرأة أصيلة إذن.خرج قاسم أمين من لقاء الأميرة ممسوساً وعلم من هذه الأميرة أن المرأة المصرية لو تعلمت لأصبحت خيراً من المرأة الفرنسية التى كان قد رآها وكتب متأثراً برقيها وتقدمها ما كتبه ضد المرأة المصرية كذلك علم قاسم أمين من أستاذه وصديقه الشيخ محمد عبده أن الإسلام يدعو إلى تعليم المرأة، بل ويجعل هذا التعليم واجباً).

وهنا دفعت الشجاعة الأدبية قاسم أمين إلى مراجعة تفكيره وكتابة ما يناقض أراءه الأولى ضد المرأة المصرية.، وهكذا ظهر الكتابان الشهيران

FOR AUTHOR USE ONLY

لقاسم أمين وهما (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) بفضل الشيخ محمد عبده والأميرة نازلي فاضل معاً.

واستمر فى لعبة المكانو ووضع الأجزاء فى مكانها بحثاً عن سر الأميرة الغامضة والصورة الغريبة لها الموجودة فى منزل الزعيم سعد– حتى الآن– فى بيت الأمة ولنسمع هذه الحكاية التى كتبها د. زكي مبارك فى مقالة جميلة عام **1930** عن سعد زغلول بعنوان (غرام الزعيم) وبدأها بعبارة: إننى لم اقترف أثماً، أو أسن سنة سيئة، حيث أتحدث عن غرام رجل عظيم، فمن المحال أن تخلو قلوب العظماء من العواطف والأهواء.ليتحدث عن غرام سعد زغلول بعدها فى فترة دراسته الأزهرية، وكيف أعجبته ابنة الشيخ الجوهرى، الذى تصادف إن كان سكنه وقتها قريباً منها.. وأترك الأمر لقلمه الجميل فيقول(إن سعداً فلاحاً وابن فلاح، والفلاحون يخمدون نار الهوى بالزواج، فما الذى يمنع من أن يسلك مسلك الفلاحين الشرفاء، فيطلب القرب من أهل تلك المليحة الحوراء؟! ليسلم من نار هواه، وليعرف كيف يقبل على دروس الأزهر بعناية والتفات،تشجع الشيخ سعد فطلب يد ابنة الجوهرى،فرده الجوهرى برفق،وهو يجهل ما ينتظر عمامة سعد من سيطرة أدبية وسياسية على أبناء هذه البلاد.وهكذا قهر الهوى سعد زغلول،ورجع حزين القلب، كاسف البال، وقد خاب أمله فى هواه إلى آخر الزمان، ثم نظر فرأى أن الفرار من الحي الأزهرى واجب لينجو من غمزات الذين شهدوا رده الأليم عن بيت هواه، وأبناء الريف تؤذيهم ثرثرة السفهاء. لابد من ترك الحي الأزهرى ولكن أين يذهب؟

FOR AUTHOR USE ONLY

وماذا يصنع؟.. إن أباه كان يرجو أن يصير من علماء الأزهر الشريف ومن أئمة الدين الحنيف، فكيف يخلف ظن أبيه بلا تهيب ولا استحياء؟.

ثم بدأ له أن الكرامة الذاتية من مقاصد الكرامة الدينية، فخلع العمامة والجبة والقفطان، ولبس الحلة الإفرنجية واحترف المحاماة، فأصبح اسمه (الأفوكاتو) سعد أفندي زغلول بشارع عابدين،وأمسى مكتبه سامراً يلتقى فيه كرام الرجال ولم يكن بد للقلب المجروح من دواء، وهل يداوى القلب المفطور بغير العمل الموصول؟

ويستمر د. زكي مبارك فى مقاله.. (ثم عرف سعد التمهل والدقة بصلته بالشيخ محمد عبده، فبدأ يوسع من دراسته للشريعة والسياسة. وعرفت قدماه مع شيخه الجليل طريقها لصالون شهير كبير يشبه صالونات فرنسا ويفوقها لأميره متحررة اسمها (نازلي فاضل) فإذا حاله ينقلب. ولسانه يعوج بدأ يتحدث الفرنسية، ويهتم بملابسه الأفرنجة وأصبح عنده قبعة بجوار الطربوش وشعرت أنه داوى جروح القلب ودوخه العمل معاً!!).

مر عام وعام وأعوام، وسعد يجاهد فى سبيل المجد ليعرف من ردوه جاهلين أنهم أضاعوا (جوهرة) لن يرى (الجوهرى) مثلها ولو أضاع العمر فى البحث والتنقيب، ثم استجاب الله لدعاء الوالدين الصالحين فاقترن سعد بفتاة هى (بنت مصطفي فهمي باشا رئيس وزراء مصر فى ذلك العهد) وهى الزوجة التى أصبحت معروفة فى تاريخ مصر الحديث باسم (أم المصريين صفية زغلول). وتستمر القصة بعد ذلك حتى يصبح سعد زغلول زعيماً للبلاد، ويعود من منفاه الذى فرضه عليه الإنجليز، فتقام له حفلتان لتكريمه فى حى الأزهر.(أما الحفلة الأولى فكانت فى دار البكرى، وتردد

FOR AUTHOR USE ONLY

فيها الهتاف بعبارة يحيا (الشيخ سعد). أما الحفلة الثانية فكانت أين كانت؟ كانت فى دار الجوهرى الدار التى ردت سعداً خائباً قبل أعوام بعيدة. وجرى الهتاف لسعد فى بيت الجوهرى أيضاص بعبارة: (يحيا الشيخ سعد) والتفت سعد ذات اليمين وذات الشمال،وسمح لعينيه بدمعتين محترقتين، هما التحية لهواه الذى ذهب إلى غير معاد). ويفجر د. زكي مبارك سؤال يضاف للأسئلة ما معنى: أن حال سعد زغلول تقلب ولسانه يعوج وبدأ يتحدث الفرنسية ويهتم بملابسه الأفرنجية. وأصبح عنده قبعة بجوار الطربوش؟! إن الأمر يشبه أغنية شادية (يجى أبويا يعوز فنجان قهوة أعمله شاى وأسقيه لأمى..وخيالك يجى على سهوا ما فرقش ما بين خلتى وعمى!) إنه أقرب ما يكون لما استنتجه عمنا "رشاد كامل" فى كتابه الصغير (الهانم والزعيم)!! وإذا كان الأمر كذلك فكيف سمحت الزوجة الزعيمة الشدية قوى (صفية زغلول– أم المصريين) بان تكون الصورة فوقها فى غرفة النوم؟!

الأقرب للمنطق ما توصل إليه رجاء النقاش فى مقاله المنشور فى الأهرام بعنوان (الشيخ والصالون) وإن كان يقصد بالشيخ (محمد عبده) فيقول: بعد أن تعرف سعد زغلول عن طريق الشيخ محمد عبده على الأميرة نازلي فاضل أختارته الأميرة محامياً لها وكان لها فى حياته أثر كبير جداً (قد نصحته بدراسة اللغة الفرنسية، ودراسة الثانوية بالفرنسية، ثم هى التى زوجته من (صفية) كريمة مصطفي باشا فهمي –رئيس وزراء مصر لمدة 15 سنة– وكان سعد زغلول فلاحاً ابن فلاح وكان مصطفي فهمي والد صفية تريكاً، وكان الرجل الأثير عند الإنجليز؟، والسياسى صاحب الكلمة المطلقة فى

FOR AUTHOR USE ONLY

مصر فى عهد الاحتلال الأول، وإذا كانت (نازلي فاضل) هى التى دفعت سعد زغلول إلى تعلم الفرنسية، وزوجته– وهو الفلاح– من صفية ابنة مصطفي فهمي التركى الأرستقراطي المتعالى على الفلاحين فإن ذلك كله يساعدنا على إدراك مقدرة نازلي فاضل الفائقة على حسن الاختيار والتمييز وعلى فهمها الصحيح لمعادن الرجال فقد أدركت قوة شخصية سعد واكتشفت فى وقت مبكر عناصر (الزعامة والعظمة) فى هذه الشخصية.وبعد أن تزوجت صفية فهمى من سعد زغلول نسيت انتماءها التركى وانتمت إلى زوجها الفلاح وساعدته أعظم المساعدة فى كفاحه الوطني، وأصبح اسمها أم المصريين صفية زغلول وهذا هو السبب فى اعتزاز سعد زغلول بالأميرة نازلي فاضل وحرصه على وضع صورتها فى حجرة نومه فى بيته الذى سمى باسم (بيت الأم) وأصبح متحفاً قومياً بعد وفاة صفية زغلول سنة **1946**.

وما نعرفه عن حياة الأميرة نازلي فاضل التى يصفها صلاح عيسي بالمشاغبة انها تزوجت فى صباها من أحد الأتراك هو (خليل شريف باشا) الذى صحبها إلى باريس حيث عاشت معه عدة سنوات– فيما يقال– وهناك اتصلت بثقافة باريس اتصالاً وثيقاً، عن طريق القراءة والتجربة معاً، ومن باريس وثقافة باريس وسحر باريس، تشبعت نازلي فاضل بفكرة (الصالون الأدبى) فهذه الفكرة كانت شائعة فى فرنسا فى القرن العشرين فقد انتقلت الصالونات إلى المقاهى الباريسية المشهورة التى لا تزل موجودة ومن الواضح أن الفكرة الفرنسية عن (الصالونات) قد تأصلت تماماً فى ذهن نازلي فاضل، فنقلتها من باريس إلى قصرها الذى كان يقع خلف

FOR AUTHOR USE ONLY

قصر عابدين أى أن صالون نازلي فاضل ببساطة ولد فكرياً فى باريس وتحقق واقعياً فى عابدين بعد أن عادت الأميرة نازلي من باريس على أثر انفصالها عن زوجها الأول الثرى التركي (خليل شريف باشا).على أن حياة الأميرة نازلي فاضل الشخصية بعد طلاقها من زوجها التركى (خليل شريف باشا) توجد فيها صفحة غريبة أخرى هى زواجها من شاب تونسي هو (السيد خليل بوحاجب) وكان آنذاك رئيس لوزراء تونس وقد كان وقتها زواجاً بين أميرة كبير وزعيم خطير!!

وفى ألبوم صور سعد اللبان وزير المعارف فى وزارة علي ماهر التى ألفها مع قيام ثورة يوليو 1952صورة فيها: الأميرة نازلي بشعرها الطويل فى فستان بكم فى طول شعرها ولكنها بدون حجاب يحف بها: سعد زغلول. ومحمد عبده. وقاسم أمين .والشيخ عبد الكريم سليمان وزوجها بوحاجب التونسى ومجموعة من كرام التونسيين وبالطبع لا تنتهى حكايتها– فقد عادت بعد ذلك إلى مصر دون زوجها. واستمر صالونها.

وفى سنة 1980 ظهر كتاب استفز الجمعيات النسائية عنوانه (الحركات النسائسة وصلتها بالاستعمار) أذكر أننى ناقشت فيه السيدة (أمينة السعيد) وقالت لى وقتها أن كاتبه مكانه مستشفى المجانين لأنه يهذى بكلام لا يصدقه عاقل، لأنه كتاب ضد التاريخ،وفيه اتهم "درية شفيق" بأنها أسست حزب (بنت النيل) ومجلتها من أموال السفارة البريطانية فى مصر!! واتهم فيه صالون الأميرة نازلي فاضل بالاستعمارية وأنه كان يتلقى أوامره من اللورد كرومر شخصياً (المعتمد البريطاني فى مصر وقتها) واعتبره الكاتب صالوناً ضد الآداب والتقاليد الإسلامية وأنه سمح به بالاختلاط.

FOR AUTHOR USE ONLY

وهاجم الكتاب أيضاً هدي شعراوي.وأذكر أن الأستاذة (أمينة السعد) دافعت بشدة عن هدي شعراوي ودرية شفيق وأذكر فى ذلك ما قلته من أن درية شفيق حصلت على الدكتوراه من فرنسا وموضوعها (المرأة فى الإسلام) وأنها كانت لا تجيد الإنجليزية ولكنها تعرف الفرنساوي كأهلها وكان الأكساه يخرج من فمها (باريسي). بل إنها كانت ثورية ضد الإنجليز ولكنها أنهت إجاباتهاوثورتها بدون كلمة بالإيجاب أو السلب فى حق الأميرة نازلي فاضل؟!

وأذكر أن الكتاب أشار إلى اسم (رونالد ستورز) الذى كان مستشاراً شرفياً للسفارة البريطانية وأكد أنه عضو شرف دائم فى صالون الأميرة نازلي!! وذكر الكتاب فى وصف الرجل على لسان (السيد فهمي الشناوي) أنه (رجل استعماري خطير، وقد عمل فى مصر منذ سنة **1904** وكتب مذكراته بتفصيل وتطويل كاملين لمدة ثلاثين عاماً،واشترك فى صنع الوزراء والملوك والمؤامرات و(ثورة لورنس) المسماة باسم (الثورة العربية الكبرى)، كما ساهم فى إعادة الصهيونية إلى التاريخ بعد موتها بألفى عام، ولم تكن تفوته فى تدوين مذكراته، شأن كل السفراء الإنجليز وأعوانهم، أدق التفاصيل).

وعند العودة لمذكرات (رونالد ستورز) نجد ما يأتى (وهو جزء طريف عن الأميرة نازلي فاضل): (هى الأميرة الوحيدة من البيت المالك فى مصر المتكلمة والمتحررة، وقد دخل علينا فى الساعة الثالثة وظلت تتكلم حتى الرابعة والربع فى إنجليزية رائعة دون أن تعطى فرصة لأحد فى الكلام. لقد كانت جميلة يوماً ما، ولكنها الآن لماحة، ولها عينان فيهما نفاذ غريب

FOR AUTHOR USE ONLY

وهى لا تخفى الاستهانة بملوك أسرتها– أسرة محمد على– واحداً وراء الآخر). ويصف (رونالد ستورز) قصرها فيقول: (تدخل قصرها حيث يوجد خلف البوابة عدد من الخدم الذين يسمون (بالأغوات) وكل (آغا) يسمى باسم زهرة أو حجر كريم. ثم تدوس على طرقات مفروشة بالظلط ومغروس فيها أشجار ظليلة وترقد تحتها (قطط ملكية)، ثم عليك أن تصيح (يا ساتر أو يا ستار) ومعنى ذلك أن رجلاً فى الطريق، وأن على نساء البيت أن يحتجبن، وسرعان ما يجرى عبد أو عبدان وهما يضحكان فى خفة ولطف على السلم أمامك ليبلغا (البرنسيسة) بوصولك. ثم تدخل إلى الصالون وتنتظر.. لابد أن تنتظر ولو دقيقة، ولكن لابد من هذا الانتظار حتى لو كان الموعد محدداً من قبل وحجرة الصالون لو تأملتها شعرت بالخوف، ولكنها على أى حال تعبر عن شخصية هذه السيدة)

وفى جزء آخرمن مذكراته يقول. (كانت الأميرة نازلي وراء الثورة العرابية وفتحت قصرها لضيافة رجالها، كانت تريد أن تنتقم لحق أبيها الضائع فى العرش. بعد أن خلخل الخديوي اسماعيل أساس التوارث فيه..)كان من الممكن أن تكون سيدة سياسية من الطراز الأول ولكن وضع المرأة فى مصر لم يكن يسمح بذلك، فوضحت رؤيتها الأوربية لرجال أعتقدت بحكم ثقافتهم أنهم قادرون على تغير الواقع والتاريخ، وكانوا يسمعون لها وكأنها حورية أو جنية من قصصهم الغريبة فى (ألف ليلة وليلة).

FOR AUTHOR USE ONLY

ويستمر ستورز[4]فى مذكراته:(ولا شك أن الأميرة نازلي فاضل، كانت تستطيع أن تفجر فى صالونها موضوعات تمثل المحرم عند المصريين كالحب والمرأة وكنت أعتقد أنها لن تستطيع أن تجد فى ذلك نجاحاً حتى أسمعتنى فى أحد الأيام قصة حب جميلة بين المحامي المصري قاسم أمين وفتاة أحبها أثناء دراسته فى فرنسا اسمها (سلافا)!! .. وعندما تعرفت علي قاسم أمين فى أحد جلساتها شعرت بأنه يخدعها فلا يمكن لرجل بهذا الخجل تكون له تجارب الحب التى سمعتها منها.. وعندما تجازبنا الحديث وجدته شخصية منظمة جداً حتى أنه كان يخص زوجته بساعتين يومياً وبشكل منتظم من الخامسة إلى السابعة، ويقضى بعدها مع كتبه ثلاث ساعات من السابعة حتى العاشرة وحينما سألته وماذا بعد العاشرة. لم تكن عند إجابة.؟!) ويقول: (ولما لم أفهم تفكهت الأميرة نازلي ففهمت أنه موعد نومه قالت له: لماذا يا قاسم بيه لا تجعل لزوجتك نفس الساعتين من الثامنة إلى العاشرة؟! وضحكت وضحكت ولكن باقى الجالسين لم يفهموا ما قصدت!..)

FOR AUTHOR USE ONLY

([4]) أديب إسحق (سوري) عمل فى الصحافة المصرية ووصل إلى سكرتير البرلمان المصري فى برلمان (توفيق– عرابي) وحينما أسقطت الثورة العرابية (وزارة رياض) قال لعرابي: لقد أسقطت ستورز أن رياض هذا (رياضستورز) يتلقى أوامره منه– إن ستورز ليس مستشاراً للسفارة البريطانية ولكنه مستشاراً لوزارة رياض!! ولنا أن نتصور صالوناً واحداً جلس فيه (أديب إسحق) بجوار (ستورز)؟!

ويقول أستورز فى موضع آخر(كنت أؤثر وبعض زملائى أن نزورها فى غير مواعيدها التى حددتها لصالونها..حتى نستطيع أن ننعم بما عندها من أنواع فاخرة من النبيذ!! ولكنها لم تكن تشاركنا)

أما د. آمال السبكى فى كتابها (الحركة النسائية فى مصر) فإنها تقرر أن صالون نازلي فاضل جعل الرجال الأفذاذ يفكرون فى قضايا مختلفة لم تكن تهمهم من قبل.

1- ضرورة رفع الحجاب.

2- أهمية تعليم المرأة.

3- تقييد حق الرجل فى الطلاق.

4- حق المرأة فى العمل.

5- كيفية الحد من تعدد الزوجات.

FOR AUTHOR USE ONLY

فهل حدث فى صالون نازلي فاضل ما حدث فى صالون مي؟! هل أحبها الفضلاء كما أحب مى الأدباء؟!

إن المرحوم (حسن أحمد حسن) المدرس بكلية الفنون الجميلة رسم مي زيادة فجعلها تنام على الأقلام. على أسنه الأقلام كفقراء الهنود حينما ينامون على المسامير آى جعل الجميع مشترك فى تعذيبها ولكن الأدباء يتحدثون أما الفضلاء فيصمدون.فلقد وجدنا جملة رسائل بين مي والأدباء فى عصرها:عباس العقاد،أحمد لطفي السيد،أنطوان بك الجميل، الشيخ مصطفي عبد الرازق،جبران خليل جبران،ولى الدين يكن،أمين الريحانى،

وفى عام 1971 نشر عامر العقاد بعض رسائل مي والعقاد وقال فى فصل عنها لو جمعت الرسائل التى كتبتها مى أو كتبت لها لكانت بضع مجلدات!!

ولقد وجد د. عثمان أمين أحد كبار المفكرين المعاصرين الذين أهتموا بتراث محمد عبده– خطاب بالفرنسية كتبته الأميرة بخطها إلى الشيخ محمد عبده تدعوه فيه إلى القدوم لرؤيتها ونصه (صديقى العزيز: أرجوك أن تحضر لرؤيتى هذا المساء بعد الساعة السابعة أنا أسفة إذا فاتتنى رؤيتك أمس..والتوقيع صديقتك المخلصلة: نازلي)..

وإذا كان هذا ما حدث مع الشيخ محمد عبده علي سن ورمح (صديقى العزيز/ الساعة السابعة/ نازلي) فما نوع الخطابات التى يمكن تخيلها بينها وبين سعد زغلول– محاميها– ومكمن سرها؟!

إن المرحوم (حسن أحمد حسن) المدرس بكلية الفنون الجميلة رسم مي زيادة فجعلها تنام على الأقلام. على أسنه الأقلام كفقراء الهنود حينما ينامون على المسامير آى جعل الجميع مشترك فى تعذيبها ولكن الأدباء يتحدثون أما الفضلاء فيصمدون.فلقد وجدنا جملة رسائل بين مي والأدباء فى عصرها:عباس العقاد،أحمد لطفي السيد،أنطوان بك الجميل، الشيخ مصطفي عبد الرازق،جبران خليل جبران،ولى الدين يكن،أمين الريحانى،

وفى عام 1971 نشر عامر العقاد بعض رسائل مي والعقاد وقال فى فصل عنها لو جمعت الرسائل التى كتبتها مى أو كتبت لها لكانت بضع مجلدات!!

FOR AUTHOR USE ONLY

إن العقاد له مقال جميل عنوانه (رجال حول مي) يصف فيه أثر مي زيادة وصالونها على زوارها هذا المقال يبرز من خلال دقة الملاحظة ما كان عليه هؤلاء المترددون على صالون الأدبية (مي)..

العقاد :لكل منهم أسلوبه فى تعبيره " لطفي السيد وأسلوب الجنتلمان الفيلسوف. وعبد العزيز فهمي وأسلوب الصمت الخجول، كأنه الصبى فى مجلس الفتيات القريبات.وشلبي شميل وأسلوب المصارع فى حلبة الفكر والشعور.وسليم سركيس وأسلوب الدعاية للبيوتات فى صالون مى أشهر صالونات البيوت.ومصطفي صادق الرافعي وأسلوب المفاجأة بالكتابة الذى يغني الاطلاع عليها عن السماع. واسماعيل صبري عبد الله وأسلوب الشاعر الذى يعلم أن حق الغزل الصريح أولى بالرعاية من حق الكتابة والتلميح، وهو الذى كان يكتب الأبيات قبل يوم الزيارة مستئذناً فى الحضور.

إن لم أمتع بمي ناظري غداً. لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء.

ولأنيس منصور فى كتابه (فى صالون العقاد كان لنا أيام) هذه العبارة القاسية: هل كانت مي زيادة غانية تتحدث فى الأدب– أو أديبة تعرف الفجور– إنها لا هذا ولا ذاك.. وإنما أوقعتها الأقدار فى أوكار الذئب الفكري للرجل الشرقي. لقد حاول أن يجرب معها الجميع!!

وحتى لا يحدث عندى وعندك تداعى أو استرسال أو رؤية تطابقية بين الصالونين أتحدث عن النتائج. ما الذى فعله صالون الأميرة نازلي فاضل فى القمم الذين أنضموا له ولها عن رضاء واقتناع وبقوة :رفاعة رافع

FOR AUTHOR USE ONLY

الطهطاوي:الشيخ محمد عبده والزميلين سعد زغلول وقاسم أمين فى قضية تحرير المرأة.. والأربعة للمصادفة البحتة أتقنوا الفرنسية!! فإنه يحكى وعاد قاسم أمين إلى مصر فى صيف 1885 ليعين فى سلك النيابة فيتعرف على أحمد لطفي السيد ثم يعين بقرار واحد مع سعد زغلول ليكونا قاضيين بمحكمة الاستئناف.كان كل منهم مهموماً بما اعتاد عليه الناس أما قاسم أمين فقد أمضى سنوات طويلة يفكر فيما اعتاد عليه الناس فى العلاقة بين الرجل والمرأة،وأدرك أن المجتمع المصرى بضع الرجل والمرأة على أبعد مسافة ممكنة بعضهما عن بعض. وهنا لمعت فكرة كتابه (تحرير المرأة) وعرض قاسم أمين علي صديقه أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي مشاركته فى الكتاب، ولكن الخوف تغلب على أحد شفيق فاعتذر بقوله (الناس لم تتهيأ بعد لقبول مثل هذه الدعوة)..ثم انتهز فرص اصطيافه فى جنيف مع أحمد لطفي السيد وسعد زغلول سنة 1898 فعرض عليهما أفكاره وطلب مشاركتهما معه ولكنهما اعتذرا !! إلا أن بعض الباحثين يرى أن كتاب (تحرير المرأة) ليس عملاً فردياً لقاسم أمين ولكنه عمل جماعى كتب فيه الشيخ محمد عبده الفصول الخاصة برأى الشريعة والإسلام فى الزواج والطلاق والحجاب وتعدد الزوجات، وإن الأفكار الخاصة بالحرية كتبها لطفي السيد، وإن من يقرأ مذكرات سعد زغلول وهذا الكتاب يستطيع أن يلمح بصمات سعد زغلول عليه!!

وفى سنة 1899 استقر رأى قاسم أمين على شئ، لقد سأل نفسه: من الذى يحب صاحبه أكثر، أهو الذى يكشف الستار عن عيوبه أو الذى يغض البصر عنها؟ وأختار أن يكون الصديق المكروه لا العدو المحبوب

FOR AUTHOR USE ONLY

وكتب كتابه (تحرير المرأة) وقال قاسم أمين: (إنه لا يجد نصاً فى الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة، ولكنها عادة الدين منها براء) وبعد أن جرد الحجاب من هذه الحماية الوهمية يرد قاسم أمين على نظرة المجتمع للحجاب (هل الحجاب مانع من الفتنة؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة حتى أبيح للرجال أن يكشفوا وجوههم لأعين النساء، ومنع النساء من كشف وجوههن لأعين الرجال؟ إن أسباب الفتنة ليست فيما ظهر من أعضاء المرأة وما خفي، بل فيما يصدر عنها من أفاعيل فى أثناء سيرها، والنقاب من أشد أعوان المرأة على ذلك، إذ هو يخفى شخصيتها،ولو كان وجهها مكشوفاً فإن كرامتها ونسبتها إلى عائلتها يشعرا ها بالحياء،والخجل فى كل عمل يتوهم منه أدنى رغبة منها فى استلفات الأنظار، ولكنه بعد ثلاث صفحات يضع تحفظاً آخر (إنى لا أقصد رفع الحجاب دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم، فإن هذا الانقلاب ربما ينشأ عنه مفاسد جمة لا يتأتى معها الوصول إلى الغرض)

فلا نعرف أهو يهاجم الحجاب أم يهاجم منظر المرأة وهى تبدو كخيمة تمشى على قدمين،خيمة لا يبدو منها سوى ثقبين يسمحان لعينيها بالرؤية!! ورغم هذه المطالب المتواضعة المرتعشة التى لو عرفتها ألان ابنتى (رانيا) فى رجل لاعتبرته رجعياً سلفياً إلا أن الدنيا قامت على (قاسم أمين) ولم تقعد، وصدر فى مواجهة كتاب واحد له أربعون كتاباً آخر، بل إن الزعيم مصطفى كامل هاجمه فى صحيفته واعتبره متآمراً مع الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن هذه الكتب المعارضة لكتاب (تحرير المرأة): الجليس الأنيس فى التحذير مما فى تحرير المرأة من التلبيس (والدفع المتين فى الرد علي قاسم بك أمين) وكان من ضمن ما قال قاسم أمين عبارة غريبة لم يلتفت إليها أحد إلا أنه فى عام 1971 التفتت إليها نوال السعداوي فكتبت كتاب (المرأة والجنس) أما العبارة: (إن المرأة التى تقدم لزوجها المتعة يجب أن تحس هى أيضاً معه بالمتعة، وإذا أعطت لابنها الحرية فيجب ألا تحرم منها وإذا طالبناها أن تمنح الأسرة السادة فيجب أن تكون هى أول من يحصل عليها ففاقد الشئ لا يعطيه، فيجب ألا يكون فى قاموسنا الشعوري واللاشعوري مترادفات لكلمة المرأة تعنى النزوة والخيانة والسرير والشهوة والضعف).

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكن قاسم أمين أعترف بأن ما يكتبه غريباً : سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة!!

وإذا بسعد زغلول يفعل ما جاء فى الكتاب. بينما صاحب الكتاب نفسه قاسم أمين يعجز عن ذلك أقلع سعد زغلول عن القمار،حتى يعطى لنفسه وقتاً يناغش ويسلى (زوجته)،واستمر قاسم أمين على الترابيزة الخضراء حتى وقع خلاف بين الصديقين فيما بعدحينما زاد توقيع سعد على ضمان ديون صديقة؟علم سعد زغلول زوجته وأحضر لها مدرساً وأعطى لنفسه وقتاً للدراسة،واستولى قاسم أمين على أموال زوجته!!ومات سعد على حضن امرأته..،ومات قاسم وفى جيبه شيئاً واحداً صورة لامرأة أخرى هى

إحدى المطربات الجميلات فى ذلك العصر واسمها "وسيلة" لقد أعتنق سعد زغلول قضية الأميرة نازلي فاضل أمام قاسم أمين فاكتفى بكتاباتها.

وفى مجلة (نصف الدنيا) مقالة جميلة للمبدعة (سناء البيسى) توضح بالتفصيل كيف كانت زوجة قاسم أمين تذهب لمنزل سعد شاكية باكية تلعن اليوم الذى عرفت فيه هذا الرجل؟! لقد أخذ فلوسها وأفلسها!! ويكتب عن ذلك (مصطفي أمين) فى كتابه: من واحد لعشرة.إن بعض الناس يسألون فى دهشة: ما سر حماس هذا الرجل الفلاح الأزهرى للمرأة المصرية؟! ما الذى جعله يشجع صديقه قاسم أمين على إصدار كتابه عن تحرير المرأة. ويقف إلى جواره فى الحرب التى أعلنها الرجعيون ضد سفور المرأة؟ ما الذى جعله يؤيد سفورها فى ثورة 1919؟ ويقول على لسان سعد زغلول نفسه (بعض الناس يعتقدون أن الفضل فى آرائي التقدمية بشأن المرأة يعود إلى زوجتى صفية. وهذا غير صحيح. وبعض الناس يتصور أننى أخذت من زياراتي لباريس للحصول على ليسانس الحقوق، إيمانى بالمرأة، وهذا غير صحيح أيضاً الواقع أننى مدين بإيمانى بحق المرأة فى الحرية والمساواة لأمى "مريم بركات" كانت أمى فلاحة لا تقرأ ولا تكتب، ومات أبى وتركنى أنا وأخى فتحي وأختى أم رتيبة وسعيد أطفالاً، وكانت أمى صغيرة السن عندما أصبحت أرملة. وكانت جميلة. وكان أولاد أبى من زوجته الأولى أكبر منها سناً. وحاول أعيان الناحية أن يتقدموا إليها عارضين الزواج فأبت وقالت:إننى سأكرس حياتى لتربية أولادى. واستطاعت وحدها أن تقاوم الإغراء والضغوط من أسرتها كى تتزوج مرة

FOR AUTHOR USE ONLY

أخرى.وإذا بها وهى امرأة تصبح عميدة الأسرة كلها. لقد تمكنت بقوة شخصيتها أن تفرض احترامها على كبار الأسرة الرجال. ثم فرضت شخصيتها على القرى المجاورة.وكنت أرى الرجال يحضرون للاحتكام إليها فى خلافاتهم وقد ورثت عن أبى اندفاعه وثورته، ورثت عن أمى حكمتها وحسن تدبيرها فعندما أغضب. فهذا هو أبى، وعندما أكون حكيماً فهذه هى أمى! وحينما اندفع. فهذه هى ثورة أبى، وعندما أتدبر أمري وأسوس نفسى، فهذه هى سياسة أمى وحكمتها. وكنت معجباً بشخصية أمى القوية وثباتها وصمودها وهذا هو الذى جعلنى أتمسك بإيمانى بالمرأة.. فإذا كانت أمى الفلاحة الأمية قد استطاعت أن تفعل كل هذا، فإن من حق المرأة المصرية أن تتساوى بالرجل)..وفى موضع آخر: (وكثيراً ما كان سعد يدعو عبد الرحمن فهمي لتناول الغداء معه فى بيته مع أفراد أسرته. وكان (الطفلان) يقصد علي ومصطفي أمين يلاحظان دائماً شيئاً غريباً. وهو أن عبد الرحمن لم يجئ مرة واحدة إلى بيت سعد مع زوجته، وكان متزوجاً لمرة الثانية. وكان الطفلان يلاحظان أن عبد الرحمن عندما يحضر للغداء كانا يتخليان له عن المقعد الأول فى المائدة على يسار سعد. ويتأخر مكانهما إلى المقعدين التاليين، وكانت صفية تجلس فى المقعد المقابل له عن يمين سعد. وكان عبد الرحمن عندما يجلس يضع عينيه دائماً فى الطبق الذى أمامه، ولا يرفعها فى وجه صفية، ولا فى وجه والدتهما. وكان لا يوجه الحديث إلا لسعد باعتبار أن صفية ورتيبة غير موجودتين على الإطلاق! وكان غريباً فى تلك الأيام أن يدعى رجل من غير أفراد الأسرة للجلوس على مائدة واحدة مع سيدات الأسرة، ولكن الفلاح الأزهرى القديم سعد

FOR AUTHOR USE ONLY

زغلول كان لا يجد غضاضة فى أن يجلس أصدقاؤه المقربون مع أسرته لتناول الغذاء والعشاء).

وفى موضع ثالث: (وكانت هذه ظاهرة غريبة فى بيت سعد زغلول! إن معاصريه ما كانوا يسمحوا لزوجاتهم برؤية أصدقائهم، ولا يذكر أحد من أصدقاء عدلي يكن باشا أنه رأى وجه زوجته. ولا يذكر أقرب صديق لحسين رشدي باشا أنه تناول معه الغداء فى حضور زوجته.. بل الأغرب من هذا كله أن قاسم أمين زعيم تحرير المرأة كان يتردد باستمرا على بيت سعد زغلول ويتناول الغداء معه ومع صفية، ولكن زوجة قاسم أمين لم تحضر هذا الغداء الدوري مرة واحدة!).

ويذكر "مصطفى أمين" بعد وفاة قاسم أمين بعشر سنوات أن زوجته كانت تأتى بين وقت وآخر لزيارة صفية زغلول، فلا تكشف وجهها أمامهما، بل إنها إذا تناولت الغداء مع صفية، كانت تعد لها مائدة فى غرفة أخرى، ويتناول سعد الطعام وحده، ذلك أن قاسم أمين الرجل الذى دعا المرأة المصرية إلى نزع الحجاب فشل فى إقناع زوجته بأن تنزع حجابها، وظلت متمسكة بوضع الحجاب على وجهها إلى ما بعد أن نزعت أغلب المصريات حجابهن! على فكرة – مصطفي أمين– يتحدث بصفة عامة عن النقاب بمعنى الحجاب؟!).

وكان أكثر ما يؤلم قاسم أمين.. أنه لم يفلح فى إقناع زوجته التى تقيم معه فى بيت واحد بالرسالة التى أمن بها!

ولقد سبب حماس سعد للمرأة المصرية كثيراً من المتاعب له. فعندما أصبح وزيراً للمعارف واهتم بتعليم البنات ثار عليه الخديوي، وهاجمته الصحف

FOR AUTHOR USE ONLY

واتهمته بالخروج على الدين الحنيف! وكان من رأى سعد دائماً أن أى ثورة فى مصر لا يمكن أن تنجح إلا إذا اشتركت فيها المرأة مع الرجل، وكان هذا الرأى يلقى معارضة شديدة من أصدقائه الذين يعدون معه للثورة وخاصة الشباب منهم؟ وكان سعد يردد دائماً قصة وقعت أحداثها فى مؤتمر عقد فى مدينة بروكسل فى سبتمبر 1910 برياسة الزعيم محمد فريد. فقد وقفت الزعيمة الهندية المعروفة السيدة كاما وقالت للأعضاء وهى لا ترى بينهم سيدة مصرية واحدة:(أيها المصريون! إنى أسألكم أين نصف سكان مصر؟ إذا كان النصف الأول من سكانها هم الرجال. فأين إذن الأمهات والأخوات والزوجات؟ إن الحرية لا تتحقق بنصف الأمة، إنها تتطلب جهداً مشتركاً من الرجال والنساء!)

ولذا اعترف قاسم أمين بريادة سعد زغلول فأهداه فى 15 أغسطس 1900 كتابه (المرأة الجديدة) كان الإهداء بهذه العبارة: [(إلى صديقى (سعد زغلول)..فيك وجدت قلباً يحب، وعقلاً يفكر، وإرادة تعمل، أنت الذى مثلت إلى المودة فى أكمل أشكالها. فأدركت أن الحياة ليست كلها شقاء وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها.من هذا أمكننى أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى إذا كانت بين رجل وزوجته ذلك هو سر السعادة التى رفعت صوتي لأعلنه لأبناء وطني رجالاً ونساء.)]

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى خطبة الجمعة دعى عليها أمام جامع سلطان أبو العلا ؟!
1879-1947

FOR AUTHOR USE ONLY

اسمها الحقيقي هدي محمد سلطان وعند أخرين(نور الهدي محمد سلطان) ولها اسم حركي تاريخي،رائدة الحركة النسائية فى مصر.أما النساء فيسمونها هدي هانم شعراوي.ولها اسم لا تحبه:أم محمد!! نادتها به (المطربة فاطمة سري، والزعيم النحاس باشا) ولدت بالمنيا فى 23يونيه 1879.وأبوها هو محمد سلطان قائمقام الحديو توفيق وخصم الزعيم عرابي أما أمها فجارية بيضاء جميلة (ألبانية) وهبها الخديوي إسماعيل لأبيها، فاعتقها، وتزوجها، إعتزازا بهبة الخديوى له، واعجب الخديوى ذلك ومنحه ارضا بمكان بدمياط اشتهر بكفر البطيخ، فأنجبت منه فتاة بيضاء كأمها هى (هدي)، وأخيها (عمر) الذى أصبح (عمر سلطان باشا) وتوفى أبيها وهى فى الثامنة من عمرها، ونشأت وسط أمها وأخيها.وابن عمتها (علي شعراوي) الذى تولى الوصاية عليها،وعلى أخيها كوصية الأب.ولقد وفرت لها أسرتها نشأة

كريمة وغنية وثرية فتعلمت الفرنسية والعربية والموسيقى.وكان (علي شعراوي) فى ذلك الوقت متزوج وأنجب ابنه الأكبر (حسن) الذى أصبح كالعادة بين من يملكون الأرض والثروة (حسن شعراوي باشا).ويبدو أن علي شعراوى الذى كان يكبر هدي بثلاثين عاماً قد زار كيوبيد قلبه فأحب هدي وكتم حبه وعف وبخاصة أنها كانت تناديه "بير شعراوي" وتعنى بالفرنسية (بابا شعراوي) إلا أن الأمور كانت تسير لصالحه فهو رجل طيب، يحبه الجميع, نظيف اليد ، عف اللسان، مهيب الطلعة، مستقيم السلوك من بدء حياته وحتى نهايتها.واستطاعت أم (هدي) أن تلمح فى عيناه ما لا يخفى فهو كريم معهم بما يزيد عما كان عليه الأمر فى حياة زوجها محمد سلطان، وهو ضعيف أمام تلك الفتاة الدلوعة الناضجة، كبيرة الجسد بحكم الثراء وجودة الغذاء ورفاهة الكساء. إنها كما يقول الفلاحين (زرع بدري) أنوثة قبل الأوان، وكانت هناك مجموعة من المصالح أرضه وأرضها، وضياغه وضياعها، وكما يقولون المصالح تتصالح!! والتقت الرغبات. بأن يتزوج (علي شعراوي) بـ (هدي سلطان) على عكس رغبة وإرادة هدي. فقد كانت رغبة من أمه (شقيقه محمد سلطان) ورغبة من أم هدي نفسها فى أن يكون طفلاها: عمر وهدي فى كنف ورعاية (علي شعراوي) ليس بالوصاية فقد ولكن برابطة أقوى (الزواج) وقد تهلل (علي شعراوي) حينما وجد أبوه حسن باشا شعراوي (الفلاح الذكي) الثرى (عمدة المطاهرة) مركز المنيا الذى لا يجلس أمامه إلا متهيباً لا يمانع فى هذا الزواج!! بل إن حسن باشا إنما جعلها وكأنها وصيته الأخيرة لأنه كان مريض فقد كان الرجل يكرر فى أيامه الأخيرة شيئين: ثقة محمد سلطان فيه

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى أهله حتى أنه جعل ابنه وصياً على أسرته وثروته دون أحد غيره رغم إن ثروة محمد سلطان وقتها كانت (اثنى عشر ألف فدان) أما الشئ الآخر فهو جميل (محمد سلطان) أبو هدي عليه فهو لا ينسى نفوذ شقيق زوجته ووقوفه معه حتى أصبح نائب المنيا فى برلمان **1866**م. ثم كيف كانت له اليد الطوله فى وصول ابنه (علي شعراوي) نفسه ليصبح من بعده نائب المنيا فى برلمان **1881**م؟! وتوافقت الأوضاع الأسرية. وتزوجت هدى من على تحت ضغط النساء والزن على الودان. ويقال أنه بعد سنتين من الزواج ضيق خلالها على شعراوي على هدي الخناق فى الخروج والزيارات ونقلها معه إلى الإقامة فى الريف، فانفصلا (ويقال فى ذلك أن عقد الزواج اشترطت فيه هدى شعراوى ألا يكون لها ضرة،سواء "زوجة سابقة – أو لاحقة " فأن وجدت فسخت عقدها واعتبر كان لم يكن)،ولم يستطع على شعراوى أن يفى بالعقد،فبعدطلاقه لزوجته الأولى، عاد لها فى السر وبقى معهاحتى انجب منها ابنه حسن.؟!فلم يكن تحول هدي سهلاً كان عليها أن تحول احترامها لحب،وبنوتها إلى زواج،وحياءها إلى علاقة زوجية ولا يعرف هل كان الانفصال بالطلاق أم كانت فترة هدنة بعد أن فشلت التغيرات المتلاحقة بالصدمة والسرعة والمفاجأة لجعل هدي عروسة صالحة للزواج بكل أبعاده ومراميه..والغريب أن هذا الانفصال استمر سبع سنوات؟! قضت هدي منها فى الاسكندرية معظم الوقت؟ أما الباقى فسافرت خلاله إلى تركيا.

FOR AUTHOR USE ONLY

أما (علي شعراوي) فشغلته السياسة والوطن وقضايا كثيرة. ولظروف كثيرة عاد الود. فعادت هدي لزوجها.كان من هذه الظروف ترك علي شعراوي أمر الأرض لأخو هدي– عمر– فبارت وقل محصولها، وكان منها وفاة زوجة على شعراوي الأولى.أما الأكثر تأثيراً فهو هدي نفسها التى تغيرت فصارت أنضج وأضيف لكمال الجسم أناقة غريبة فى ما ترتديه. وملكت شخصيتها الإقناع بدلاً من الغضب والبكاء الذى عانى منه علي شعراوي فى البداية ووافق علي شعراوي على كل شروطها السماح بالدخول والخروج والإقامة فى القاهرة ووضع ثروته كلها تحت تصرفها وكانت وقتها (تسعة ألاف فدان) وأن يكون لها نشاط اجتماعى كما له نشاط سياسي؟!ورغم ذلك لم يكن زواج هدي شعراوي عسلاً كله. إنما كان فيه الخلاف والبعد والجفوة وترك البيت فإذا كان علي شعراوي قد أرخى اللجام لهدي. فإنه لم يتركه من يده. فقد كان الرجل بطبعه فلاح ومسلم متزمت وتروى عنه أقاصيص تجعله يلحق بركب العارفين بالله وكان أيضاً ثائراً استطاع أن يكون فى فترة قليلة أحد دعامات حزب الوفد.

FOR AUTHOR USE ONLY

ويكفيه ما قاله عنه (عبد العزيز فهمي) : أما علي شعراوي فكان من خيرة الوطنيين المخلصين، بل إنه من أخلص رجال مصر، وأكثرهم حباً للوطن، وكان جريئاً فى الحق يقول ما يعتقد ويحافظ على كرامته لأقصى حد.وقد تعجب فى أن هدي شعراوي كانت لا تواجه زوجها مباشرة بما تريد من عمل أو نشاط وإنما تستعمل عبارة: صفية زغلول بتقترح: سعد باشا زغلول بيقول!! وكانت موافقته التزام حزبياً أكثر منها رضاء زوجي!.. بل

إننا لا نعجب إذا عرفنا أن علي شعراوي كان معارضاً لخروج نساء الوفد فى ثورة 1919!! وعارض بشدة فى أن تكون لزوجته سكرتيرة ذات ثقافة فرنسية وجذور مسيحية (سيزا نبراوي) وقال لها: يا ستى شوفي واحدة ريفية!! ..وثار ثورة غريبة عليهما حينما أعلنت فى أحد اجتماعاتها إرسال (أحمد الصاوي محمد) ليتعلم فى السربون على نفقتها الخاصة لأنها شعرت أنه ظلم من النظم الموجودة بالجامعة. لم يكن معترضاً على الفعل وإنما على الشكل فهو على استعداد أن يرسل الصاوي ومعه خمسون للسربون على نفقته ولكن لماذا تفعلهما امرأة؟! وزوجته؟! إنها تقبض منه لتنفق على نشاطها أضعاف ثمن بعثة (الصاوى) فلماذا يظهر مالها الخاص الآن!! وبعبارة زوج فلاح قال علي شعراوي: إشمعنا الصاوي؟! ما عندك البنات!! وفى عبارة أكثر غضباً يا ستى شوفي ابنك (محمد) ولكن هدي شعراوي استمرت فى عنادها حتى أنها عند زواج الصاوي،جعلت الزفاف فى بيتها واختارت له أجمل عروسة فى مصر (درية شفيق). وتم ذلك فى تكتم، لم يفضحه إلا جريدة الأهرام.

FOR AUTHOR USE ONLY

أما الثورة الكبرى ففى سنة 1906حينما فوجئ على الشعراوى أثناء صلاة الجمعة بإمام جامع سلطان أبو العلا. يسب ويصب لعناته وويلاته على امرأة تدعو للفسق والفجور .. قال الشيخ: آفى المحروسة والإسلام بين أظهرنا، تخرج بدعة. بإنشاء نادى خاص للنساء لمزاولة الرياضة واللعب والسباحة.. ما يتبع ذلك من هرج وسفور ومرج وتبرج.. وأنهى الشيخ

خطبته بأنها بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار..وغضب علي الشعراوي مع الغاضبين ودعا مع الشيخ والداعين:

- اللهم أسكت كلمتها وأوقف بدعتها.
- أمين.
- اللهم رد دعوتها ومن يدعون معها بها وأرجعهم خائبين مدحورين.
- أمين.

وعاد الشعراوي لمنزله وعلى مائده الغذاء سمع زوجته هدي شعراوي وفوجئ بأنها صاحبة الفكرة إياها زوجته المصونة والجوهرة المكنونة تدعو لنادى خاص للنساء يلبسن فيه الشورت والمايوه ويلعبن السباحة! وسألها زوجها: سيزا نبراوي زنت على ودانك كعادتها!!..لكن الروايات تجمع على أن حب (هدي شعراوي)كان قوياً ومؤثراً على (علي شعراوي) فكان يعترض عليها ولكنه لا يستطيع الفكاك منها.يثور ويكسر الأطباق ويترك المنزل للريف الذى أحبه ولكنه لا يعرقل مسيرتها ولا يهدم أعمالها ولا يقف ضدها.وتتفق الروايات على أن جرائة هدي شعراوي كانت وراء دفع (علي شعراوي) فى حزب الوفد. وأنها سعت بقوة ليكون زوجها مشاركاً بشكل تاريخى فى الحركة الوطنية، ولعل يوم 13 نوفمبر 1918 كان بداية إيمان علي شعراوي (بزوجته هدى) فقد كانت وراء أقدامه على مشاركة سعد زغلول وعبد العزيز فهمي فى مفاوضات الإنجليز مع (سير رونالد) وعرض القضية على مؤتمر الصلح فى (فرساي) وبأسماء الثلاثة وقع المصريون على عريضة تاريخية وغريبة عليها ثلاث ملايين توقيع بأن الثلاثة

FOR AUTHOR USE ONLY

ممثلين للأمة فى قضية الاستقلال مع الإنجليز. وقامت هدي بدور مؤثر من خلال (لجنة الوفد للسيدات) فى جمع هذه التوقعات،وبالطبع وجدنا على العريضة أسماء إناث ونساء لم تتح لهن الظروف كتابة أسماءهن من قبل.كن ينظرن لأسمائهن مكتوبة وكأنهن يرونها لأول مرة.لها أثر وفعل ووضع سياسي ومصيري فى حياة أمتهم.ويذكر أن بعض الريفيات قالن لهدي شعراوي: إننا لا نعرف الكتابة لكننا نريد سعد وزملاؤه؟!وبينما كانت العريضة بها بعض بصمات الرجال كات هدي شعراوي تجمع النساء وتدربهن على كتابة الاسم. فهى لا تحب أن يرى الإنجليز المرأة المصرية مجرد بصمة!! وبالرغم من نضج نشاطها فى عامي **1907– 1908** وسفرها وحضورها مؤتمرات خاصة بنشاط المرأة ساعدها فى ذلك حيويتها وأموالها.فإنها حينما دخلت الوفد بجانب زوجها ومارست من خلاله نشاطها،تدخلت السياسة وأسمتها هدي شعراوي بدلاً من هدي محمد سلطان. وهو ما حدث من قبل مع زوجة الزعيم سعد زغلول سموها صفية زغلول بدلاً من صفية مصطفي فهمي.فقد كان لكل من الأبوين.محمد سلطان ومصطفي فهمي. علامة وتاريخ متين مع الإنجليز!! فلقد أراد الوفد أن يكسبها بلا أى انتقادات– فأبوها محمد سلطان كان موضع هجوم شديد من الشيخ محمد عبده أستاذ سعد زغلول. وكان يرى قتله لخروجه على الخط الوطني وانضمامه إلى الخديوى توفيق ضد عرابي وكان سعد زغلول نفسه مع ثورة عرابي يؤيدها على عكس ما كان الوضع فى الحزب الوطني الذى كان يعتمد على تركيا (الباب العالي).فقد حمل محمد سلطان قرار السلطان العثماني بعصيان عرابي ورفاقه إلى (العربان) بالإضافة

FOR AUTHOR USE ONLY

إلى بعض المال ومنشور الخديوى نفسه وبعض مساعدات الإنجليز. الأمر الذى كان له أثره فى خيانة عرابي فى المعارك التى دخلها بل إنه قام مقام الخديوي نفسه عندما احتجزت أحداث الثورة العرابية الخديوي توفيق فى الإسكندرية.فأدار الأمر كما يريد الإنجليز وفى هذه الفترة فتح ديليسبس قناة السويس بعد أن ضمن لعرابي حياد القناة وخانه فتحولت ثورة الرجل الثائر عرابي إلى هوجة عرفت باسم (هوجة عرابي)!!

وحتى لا يظهر الأمر على حقيقته سميت نساء لجنة الوفد بأسماء أزواجهم السياسيون المشاهير؟! (ولأننا لا نسئ أو ننظر للأمر بلون واحد نذكر ما قاله د: (عبد العظيم رمضان): فهو يقول بأن البرلمان الأول فى عصر توفيق (نوفمبر 1891) كان تحت رئاسة (محمد سلطان باشا) والد هدي شعراوي وهو الذى سماه ببرلمان (توفيق– عرابى) وأن حركة الجيش التى قام بها عرابي وزملاؤه بدأت بعيدة عن الحركة الوطنية التى قام بها الزعماء الدستوريون محمد سلطان باشا،ومحمد شريف باشا وغيرهم التى كان تستهدف إقامة حكم دستوري.أما حركة الجيش فقامت لأسباب خاصة تتعلق بسوء أوضاع الضباط المصريين بالنسبة لضباط الشراكسة.وأنه عندما استعجل الخديوى وألقى القبض فى يناير 1881 على أحمد عرابي وزميليه: علي فهمي وعبد العال حلمي وحبسهم فى ثكنات قصر النيل، أسرع أفراد من الجيش وأطلقوا سراحهم وكانت الخطة أن يهرب عرابي ويختفى مع رفيقيه خوفاً من بطش الخديوي، ولكن عرابي أظهر شجاعة نادرة إذ قرر أن يتجه لقصر عابدين بهذه القوة ليتحدى عباس رفقى وزير الحربية وقتها وفى فبراير 1881 قدم عرابي للخديوي طلب خاص بالجيش

FOR AUTHOR USE ONLY

بتعيين سامي البارودي وزيراً للحربية وبالرغم من أن حادث قصر النيل لم يقصد منه التمرد على الخديوي ولا مواجهة النفوذ الأجنبي. فإنه كان له أثره على الرأى العام فأكسب الحادث عرابي شهرة باعتباره استطاع أن يتحدى حكومة رياض باشا ويرغمها على تغيير الوزراء الأمر الذى جعل القادة الدستوريون يسعون إلى الجيش)وأخذت تعقد الاجتماعات للاتفاق على برنامج عملي سياسي وأخذ المسرح السياسي يستعد لمظاهرة عابدين يوم 9 سبتمبر 1881!! واتضح التنسيق فى أهداف عرابى التى قدمها للأمة فقد وضع الدستوريون مبادئهم فى مطلبين من أربعة لعرابي:

1- إسقاط الوزارة المستبدة.

2- تشكيل مجلس نواب على النسق الأوربى

FOR AUTHOR USE ONLY

وبغير هذا التنسيق لم يكن محمد شريف باشا ليختار لتأليف الوزارة الجديدة.وإنه لا ينكر أحد أن (محمد سلطان باشا) فى ذلك الوقت وهو رئيس للبرلمان،خرج حتى على الدستوريين،حينما طلب شريف باشا ألا يكون لمجلس النواب حق مناقشة الميزانية وإقرارها وحينما قال شريف باشا(مناقشات البرلمان فى هذا ستعطى إنجلترا وفرنسا حق التدخل) وقال له (محمد سلطان)ونحن لن نسمح لهم .

إلا أنه بسقوط وزارة شريف باشا.وظهور وزارة شبه عسكرية برئاسة محمود سامي البارودي فى فبراير 1982 وفيها عرابي وزيراً للحربية ظهرت العين الحمراء لفرنسا وإنجلترا فى مصر.ورغم ما يقرره د: عبد العظيم رمضان فإن

المصريين لم ينسوا دخول الإنجليز على خيولهم ومعهم محمد سلطان باشا يرحب ويهش وينش لهذا الاحتلال؟! ولم ينس ذلك لا سعد زغلول ولا الشيخ محمد عبده.

قبض الإنجليز على سعد زغلول يوم 8 مارس 1919 وقامت الثورة فى اليوم التالى.ولكنها كانت فى إسبوعها الأول ثورة رجال فقط. واجتمعت فى بيت سعد زغلول: صفية زغلول وهدي شعراوي وحرم محمد محمود باشا.وقالت هدي شعراوي إنها كتبت برقية احتجاج باسم سيدات مصر إلى زوجة المندوب السامى البريطاني.وأن زوجها علي شعراوي أخذ البرقيات وعرضها فى اجتماع الوفد وعاد لها متهللاً: لقد أعجب الوفد ببرقيتك حتى أننا قررنا حفظها فى محضر الجلسة..وقال صفية: البرقيات لا تكفى يجب أن تخرج المرأة المصرية إلى الشارع..فقالت زوجة محمد محمود: إننى لم أضع قدمى فى الشارع منذ زواجي ولكننى موافقة على الخروج ولو ضربني الإنجليز بالرصاص..وقالت هدي شعراوي: إذن نحن فى حاجة لمظاهرات نسائية تهتف بسقوط الاحتلال، ولو قتل الإنجليز منا واحدة فسوف تلتهب مصر كله.اتركوها لى.

واتصلت هدي شعراوي بزوجها علي باشا تعرض عليه الفكرة فذهل! كيف تخرج السيدات المحترمات إلى الشارع! ولكنها استعملت طريقتها قائلة: إن صفية زغلول ترى ذلك وهى ترى أن هناك سلبية من الوفد فى معالجة أمر القبض على سعد زغلول، زعيم الأمة فأعرض أمرها فى اجتماع

FOR AUTHOR USE ONLY

الوفد الذى ترأسه باعتبارك رئيس الوفد بالنيابة. وعند عرض الأمر على اللجنة وقف عبد العزيز فهمي.ومن أخطرك بذلك ياشعراوي؟! فقال الشعراوي: زوجتنا المصونة التى كانت فى زيارة لأم المصريين وكان معها حرم محمد محمود باشا، فسأل عبد العزيز فهمي محمد محمود باشا: هل علمت بذلك من زوجتك؟!

فقال محمد محمود فهمي. لا. وأنى أسجل من الآن رفض الفكرة، ولن تخرج زوجتي من منزلها، ولن تزور أحد بعد اليوم وإذا بعبد العزيز فهمي ينظر شرزاً للشعراوي ويقول: إنى أعجب أن سيدة عاقلة مثل صفية هانم تقترح مظاهرة النساء فى الشوارع؟!

وضاق علي شعراوي بما قاله عبد العزيز فهمي فمعنى ذلك أن زوجته صاحبة الفكرة وأنها المجنونة الوحيدة بين النساء الثلاثة فقال: ولماذا لا نسأل صفية زغلول؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

ويقول عن ذلك مصطفي أمين فى كتابه (من واحد لعشرة): اتصلت هدي شعراوي بزوجها علي شعراوي باشا تعرض عليه الفكرة فذهل! كيف تخرج السيدات المحترمات إلى الشوارع! وكان علي شعراوي باشا رجلاً وقوراً فى السبعين من عمره، يطلق لحيته ومن أهالى المنيا المحافظين المتمسكين بالتقاليد، ولكنه كان أكبر بأربعين سنة من زوجته وكان يحبها حباً يقرب من العبادة، فلم يستطع أن يقاوم تصميمها على المظاهرة، وخاصة بعد أن أخبرته بأن هذا رأى صفية زغلول وحرم محمد محمود باشا، فوعد بأن يعرض فكرة مظاهرة السيدات على أعضاء الوفد فى الاجتماع ويبلغها

بالنتيجة.وعقد الوفد اجتماعاً وما كاد يعرض علي شعراوي باشا الفكرة حتى هاج وماج كل الأعضاء ورفضوا خروج النساء فى مظاهرة، وكان من رأى الأغلبية أن هذا الفعل وقاحة وقلة حياء.وكان من رأى الأقلية أنها مع تقديرها للوطنية التى أملت هذه الفكرة الجريئة.إلا أن الأغلبية العظمى للشعب تستنكر خروج النساء إلى الشوارع، وأن هذا سوف يقسم الرأى العام فى مسألة فرعية، بينما هو مجمع لأول مرة على مسألة واحدة هي مسألة الاستقلال، فخروج النساء للشارع سيجعل البعض يعتبر الثورة خروج على الدين الإسلامي، وبذلك تنفض أغلبية الشعب عن الثورة..وكانت الأغلبية التى تعتبر خروج المرأة إلى الشارع وقاحة وقلة حياء مؤلفة من: علي باشا شعراوي نفسه، وعبد العزيز فهمي، ومحمد علي علوبه وجورك بك خياط وحسين باشا واصف وعبد الخالق باشا مدكور ومحمود أبو النصر بك وعبد اللطيف المكباتي بك..وكانت الأقلية التى رفضت رفضاً دبلوماسياً خشية انقسام الأمة من: أحمد لطفي السيد بك ومصطفي النحاس بك وسنوت حنا بك وعلي ماهر بك ودكتور حافظ عفيفي.

وذهب عبد العزيز فهمي للسيدة (صفية زغلول) ووجد منها إصراراً، واعتبار منع ذلك تخازل.وأنهى عبد العزيز فهمي الحديث وهو يحاول جاهداً أن يمسك أعصابه.. ويقول: تأكدي أنني احترم المرأة وأقدرها..
فقالت له صفية:لو كنت تحترم المرأة لما حاولت أن تحرمها من شرف الدفاع عن بلادها!..وأسرع عبد العزيز فهمي بك إلى زملائه وقال لهم أنه يخشى

FOR AUTHOR USE ONLY

أن تكون صفية هانم قد جنت. وأن صدمة نفى زوجها، أثرت على عقلها! وسمع عبد الرحمن فهمي بما حدث فتطوع بأن يتولى إقناع صفية هانم نظراً للعلاقة الوثيقة بينه وبينها.ولكن صفية انقضت عليه كما انقضت علي عبد العزيز فهمي. وقالت له إن نساء مصر لسن أعضاء فى الوفد ولا توجد امرأة تمثلهن فى الوفد. ولهذا ليس من حق الوفد أن يصدر الأوامر إليهن!وتحمست السيدات المصريات لتحدى قرار الوفد..واجتمعت مئات السيدات فى بيت الأمة، تولت هدى شعراوي الاتصال تليفونياً بعدد من صديقاتها ، وراحت السيدة أستر فهمي ويصا وهدية بركات وعطية أبو أصبع وفكرية حسن وإحسان القوصى يتصلن بمعارفهن وصديقاتهن وقريباتهن للاشتراك فى مظاهرة حدد لها يوم **16** مارس.. بعد سبعة أيام من قيام الثورة. واتفقت السيدات على أن تجتمع عدد منهن فى بيت الأمة، وعدد ثان فى منزل أحمد بك أبو أصبع فى ميدان الاسماعيلية (ميدان التحرير الأن) ثم يتجمع الفريقان فى لحظة واحدة بحديقة جاردن سيتى ومن هناك تتحرك المظاهرة الكبرى..ولم ينم عبد الرحمن فهمي الليل! إنه لم يستطع أن يفهم لماذا تريد أن تزج المرأة بنفسها فى السياسة! لماذا تريد أن تفسد بتصرفها وقار الثورة؟ وكان أكثر مما يزعجه موقف زوجة صديقه وزعيمه سعد زغلول. إنها هى التى تنادى بأن تخرج المرأة المصرية إلى الشارع. وفى الوقت نفسه عندما استقبلته ليناقشها فى هذا القرار لم تقابله وجهاً لوجه. بل إنها وقفت تحدثه من خلف الباب! إنه لم يرها بل سمع صوتها فقط من وراء الستار! أى أنها حرصت على ألا تظهر بوجهها له فى غياب زوجها، بينما كان يتناول معها الغذاء والعشاء وهى سافرة فى

FOR AUTHOR USE ONLY

حضور سعد، فإذا كان هذا هو مبلغ حرص صفية على التقاليد فما الذى جعلها تخرج عليها وتصر على خروج النساء إلى الشارع متظاهرات!
وماذا يحدث لو أن الأزهريين أعتدوا على النساء المتظاهرات! وماذا يحدث لو أن بعض الشبان تعرض لهن وألقى عليهن الكلام إياه!! وفى 16 مارس 1919 عقدت نساء مصر اجتماعاً فى الكنيسة المرقصية وتم انتخاب اللجنة التنفيذية للنساء الوفديات برئاسة هدي شعراوي ونظموا مظاهرة ضد الاحتلال. وأعلنت هدي شعراوي أن شهيدات الثورة هن: شفيقة محمد (أول مصرية تسقط صريعة برصاص الإنجليز) وفهيمة رياض وعائشة وحميدة خليل عدا أخريات مجهولات.

وعندئذ فقط آمن عبد الرحمن فخمي بأن صفية وهدي على حق فى إصرارهما على اشتراك المرأة فى الثورة. وبطبيعة (عبد الرحمن فهمي) العسكرية أعجبه التكتيك الحريمى فقد كان الضابط الوحيد فى ثورة 1919م. ورغم إلحاحه على حاجة الثورة إلى الضباط الوطنيين فإن سعد زغلول لم يوافق على ضم ضباط إلى القيادة؟!فقد كان يرى مكان اجتماع النساء فى الكنيسة المرقصية فكرة عسكرية ضمنت سلامتهن وعدم التعرض لهن؟!وسأل علي شعراوي عن ذلك فقال له: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان؟! ولم يقل شيئاً.
وسجلت هدي شعراوي (خروج المرأة المصرية لأول مرة) فى مذكراتها فقالت:تشكلت لجنة مركزية كان لى شرف رياستها وعملت تلك اللجنة على تنظيم صفوف المرأة فى هذا الجهاد العظيم،ولما قام الإنجليز يصبون

FOR AUTHOR USE ONLY

نيرانهم على الثائرين– قررت اللجنة إعداد مظاهرة كبيرة تخرج فيها النساء رغم قيود الأحكام العرفية التى تحرم المظاهرات،وتعرض القائمين بها لرصاص الجيش وإلى ما تبع ذلك من عقوبات السجن والتعذيب.هذا كله لم يثن من عزم نساء مصر. فطلبت لجنتنا من السلطة المختصة الإذن بهذه المظاهرة السلبية. فرفض طلبها ولكننا قررنا القيام بها حسب الخطة التى وضعناها وهى أن نبدأ السير من منتزه (قصر الدوبارة) القريب من المفوضية الأمريكية لنقدم لها احتجاجنا أولاً، وبينما كنت أتأهب لمغادرة منزلي فى ذلك اليوم للاشتراك فى المظاهرة بادرنى زوجي بالسؤال:إلى أين تذهبين والرصاص يدوي ويتساقط فى أنحاء المدينة؟ فأجبته للقيام بالمظاهرة التى قررتها اللجنة.فأراد أن يمنعنى، فقلت له: هل الوطنية مقصورة عليكم معشر الرجال فقط. وليس للنساء نصيب فيها؟.. فأجابنى: هل يرضيك إذا تحرش بكن الإنجليز. أن تفزع بعض النساء ويولون (يا لهوتي).. فقلت له: إن النساء لسن أقل منكم شجاعة أيها الرجال؟!.وتركته وانصرفت ولحقت بالسيدات اللاتى كن فى انتظارى وغادرنا عرباتنا وشكلنا أول مظاهرة نسائية منظمة نحمل فيها لافتات كتبت عليها عبارات وطنية وحمل بعضهن أعلام جميع الدول إلا علم إنجليز وسارت المظاهرة فى جلال قاصده المفوضية الأمريكية أولاً حسب البرنامج وكانت تقابل من الجمهور بالتصفيق وتنثر عليها الأزهار من نوافذ المنازل،وعلمنا أنه أمام قنصلية فرنسا وقف جمهور من الفرنسيين معهم باقات الزهور استعداداً لتحيتنا،وكان المقرر أن نمر بها وبباقى المفوضيات وتنتهى بيت سعد.ولكن للأسف عندما وصلت المقدمة إلى شارع سعد زغلول.دهشت إذا رأيت

FOR AUTHOR USE ONLY

الموكب يتحول عن الخطة المرسومة قاصداً بيت سعد أولاً. فأرسلت إلى الدليلات أذكرهن بالاتجاه المتفق عليه، فقلن إنه فى آخر وقت انفصلت بعض سيدات المقدمة على أن تبدأ المظاهرة من بيت سعد ولا أدرى إن كان هناك تدبير مبيت لذلك؟ وعندما وصلنا بيت سعد وجدنا أنفسنا محاصرات بالجيش البريطاني كأنه كان فى انتظارنا هناك. ولما أردنا اقتحام صفوفهم تحرش بنا الجنود، وارتكز أحدهم وصوب بندقيته نحوي فتقدمت إليه وإذا بإحدى صديقاتى تسحبنى من الخلف فقلت لها بصوت مسموع: أتركيني فإنى أريد أن تقع فى مصر اليوم "مس كافيل" أخرى.

ولكن الغريب أن عبد الرحمن فهمي عندما يسجل مذكراته فيما بعد يتجاهل شجاعة (هدي شعراوي) ويقرر بأن الذى قالت: (أتركينى فإننى أريد أن تقع فى مصر اليوم مس كافيل أخرى) وواجهت بنادق الإنجليز بشجاعة الفرسان إحدى المتظاهرات[5]؟!وإن كانت(د.آمال السبكى) فى

FOR AUTHOR USE ONLY

([5]) هذا الراى يقول به أيضاً/ أيمن نور (من حزب الوفد الجديد) ويرى أن هناك مظاهرتين للنساء بارزتين ومعاصرتين لثورة 1919:

- الأولى: مظاهرة النساء فى 16 مارس 1919 وقادتها هدي شعراوي وهي شبه رسمية لنساء الوفد واقتصرت على (النساء الوفديات فى اللجنة التنفيذية للحزب).
- الثانية: مظاهرة النساء فى 10 أبريل 1919 وقادتها امرأة لا تذكرها الأجيال ولا تعرف حياتها فى الحركة النسائية فى مصر هي: (شفيقة محمد عشماوي) وكانت أرملة من شياخة غباشي بالخليفة– قادت ثلثمائة سيدة إلى مقر المعتمد البريطاني تطالب باستقلال البلاد وتدافع عن قادة ثورة 19 فى المنفى (وهى صاحبة عبارة

كتابها الحركة النسائية فى مصر تقرر بأن لديها تسجيل ذكرت فيه هدي شعراوي أنها قائلة تلك الكلمة وصاحبة هذا الموقف.

ويصف الرافعي مظاهرات 16 مارس 1919 فى كتابه (ثورة 1919، ص120 القاهرة 1947م).: لم تشأ المرأة المصرية أن تحجم عن المساهمة فى تلك الثورة التى اشتد لهيبها فأرادت أن تحظى بشرف هذا العمل المجيد حتى تبرهن للغاضب المحتل على أنها ليست أقل قوة وعزيمة عن اختها الغربية. وحتى تذكى نار الحماسة الوطنية فى قلوب الرجال..ففى 16 مارس أنطلق كثيرات من عقائل العائلات الراقية يجبن أنحاءالقاهرة هاتفات بحياة الحرية والاستقلال،مناديات بسقوط الحماية. وقد مررن بموكبهن بدور القنصليات ومعتمدي الدول الأجنبية والناس من حولهن يصفقون لهن ويهتفون والنساء من نوافذ بيوتهن يزغردن ويهتفن فكان ذلك منظراً جميلاً رهيباً يأخذ بمجامع القلوب.ولكن لم يكن للسلطة أن تترك مثل هذا الموكب الرائع دون أن تشوه من جلاله فضرب الجنود الإنجليز نطاقاً حولهن وسدود إليهن فوهات بنادقهن وحرابهن على أن السيدات لم يرهبن هذا التهديد، ولم يفت عضدهن مشهد أولئك الجند المسلحين بل تقدمت واحدة منهن إلى جندي كان قد وجه إليها بندقيته وقالت له بالإنجليزية:(أطلق بندقيتك فى صدرى لتجعلوا فى مصر مس كافيل ثانية) فخجل الجندى وتنحى للسيدات عن الطريق بعد أن لبثن فى وهج

مس كافيل) وإن (شفيقة محمد) تعقبها جنود الإنجليز وقتلوها بالرصاص عند انصرافها وسط هتاف نساء مصر: تحيا الحرية، فى ذمة الله يا شفيقة.

FOR AUTHOR USE ONLY

الشمس أكثر من ساعتين.فهل نقل عبد الرحمن فهمي عن الرافعي أما أنه كان لا ير فى نشاط المرأة السياسى فى الوفد فائدة وقد فجرته هدي شعراوي منذ بداية الحركة الوطنية الجديدة تحت قيادة سعد (نوفمبر 1918)؟!

على كل حال فقد استمرت انتقادات عبد الرحمن فهمي اللازعة لهذا النشاط. فلقد اعتادت اللجنة المركزية لسيدات الوفد أن تحتج ببرقية على كل ما لا يروقها.وتنهى برقيتها بتوقيعات للسيدات المشاركات بالاسم ثلاثى بالطبع تبدأ التوقيعات برئيسة اللجنة (هدي شعراوي).وكثرت هذه البرقيات وأصبحت تشغل جزء من اجتماعات الوفد– وفى أحد المرات قال عبد الرحمن فهمي أثناء الاجتماع: وأية أخبار اللجنة المركزية للبريد! وكان يقصد بالطبع اللجنة المركزية لسيدات الوفد!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكن هدي شعراوي استمرت فى حركتها وحيويتها.وفى 13 ديسمبر 1919 اجتمعت مع عدد كبير من نساء مصر فى اجتماع سمى (بالكاتدرائية المرقصية) وأعلنت هذه المرة عن مغزى التكتيك الذى يهتم به عبد الرحمن فهمي (لأن المكان له دلالته إذا لم يشعر المصريون باختلاف المذاهب الدينية بين مسلمين وأقباط) وناقشوا وكان احتجاجهن على:

1– نفى الزعماء المنتخبين أبان الثورة.

2– المعاملة القاسية للشعب طوال الثورة.

3– لجنة ملنر.

4– الوزارة المعنية بمساعدة الإنجليز (وزارة وهبة باشا).

5– رفض مطلب مصر بحضور مؤتمر الصلح وضرورة إعلان استقلال مصر.

وحينما علم سعد زغلول أعجب (بهدي شعراوي) وبمبادئها السابقة وأدهشه بأن 71 سيدة وقعن بيان 13 ديسمبر 1919 وبأسمائهن مباشرة فقد تخلت المرأة فيه عن كتابة توقيعها بحرم فلان العلان!! وسألها لماذا هتفن بالإنجليزية فى مظاهرة 16 يناير 1920؟! فقالت هدي شعراوي: ليفهم الإنجليز إننا جميعاً نريد الاستقلال.الرجال والنساء.

فقال لها: اهتفوا بالعربية وارفعوا علم مصر، يجب ألا يعتقد المصريون أنكن نبت غريب.

FOR AUTHOR USE ONLY

وكتب عن ذلك عبد الرحمن فهمي فى مذكراته: قامت بعض السيدات المصريات بمظاهر لطيفة فى ميدان المحطة إلى لوكاندة شبرة. وهناك هتفن لسنيوت حنابك المقيم هناك وللوفد المصرى ورئيسه. وللاستقلال التام لجريدة مصر. ولما وقع نظر السيدات على بعض الضباط الإنجليز أخرجت كل واحدة علماً مصرياً صغيراً وصحن بأعلى أصواتهن تحيا مصر حرة مستقلة.الاستقلال التام أو الموت الزؤم.يحيا سعد باشا زغلول يسقط ملنر. وكل هذه الندائات باللغة الإنجليزية.على أن أهم ما فى الموقف هو أن عبد الرحمن فهمي يسجل فى تقرير له للوفد مؤرخ فى 2 مارس 1920

أن لجنة السيدات التى ترأسها السيدة حرم شعراوي باشا تحتج على مشروعات رى السودان، وغيرها. ونراه هو يقصد شعراوي باشا لا يهتم بمثل ذلك.ولعل ذلك يفسر بداية تباعد (علي شعراوي) عن زعيم الحركة الوطنية (سعد زغلول) ذلك الموقف الذى تبلور عام 1922 فى تأييد الشعراوي للانشقاق الكبير الذى عرف بحزب الأحرار الدستوريين.فقد عانى الرجل من وجوده وزوجته هدي شعراوي فى حزب واحد.ثم أنهكه الوفد.. أخذوا ثروته فهو أغنى رجل فى الصعيد. وكلما عبر عن رؤية مختلفة اتهموه بأنه رجعى التفكير ومتعصب ضد الأقباط

أما هدي شعراوي فقد بدأت تمارس تشاطات خاصة: دعت لجمع تبرعات لإنشاء جمعية لرعاية الطفل وتحمس الناس للدعوة وتم جمع التبرعات لكن الحكومة أوقفت المشروع. وكانت النظارة فى ذلك الوقت تحت رئاسة (الحضرة الفخيمة الخديوية) عباس حلمي وسنة 1908 بدأت الدعوة لمحاضرات ثقافية على السيدات فى قاعة من قاعات الجامعة الأهلية ووافق.الأمير أحمد فؤاد،على تخصيص قاعة لمحاضرات السيدات يوم الجمعة من كل أسبوع. وفى سنة 1910 اتفقت (هدي شعراوي) مع الأميرة، (عين الحياة) وعدد من الأميرات والسيدات على إنشاء (مبرة محمد علي) لعلاج الأطفال. وعلى إنشاء مدرسة للبنات وفى مايو عام 1914 أسست (هدي شعراوي) بمعاونة الأميرتين (عين الحياة) و(أمينة حليم) جمعيتي (الرقى الأدبى للسيدات والمرأة الجديدة) وقد توقف نشاط هذه الجمعيات أثناء الحرب العالمية الأولى. ثم تحولت متحمسة مستقلة عن

FOR AUTHOR USE ONLY

الوفد منذ 1916. ثم بدأت مترددة فى علاقتها بالوفد من بداية عام 1922 فهى لا ترى أنها حققت نصراً سياسياً للمرأة من خلال الوفد وفى نفس الوقت لا تستطيع أن تنكر حماس ورعاية سعد زغلول لحركة تحرير المرأة.

وفى مارس 1932 وفى يوم 16 ذكرى مظاهرة 16 مارس 1919 أصبحت هدي شعراوي جبهة مستقلة بتكوين الاتحاد النسائي المصري الذى استطاع أن يضم بالفعل عناصر من لجنة الوفد المركزية للسيدات فقد أحست المرأة فى قرارة نفسها ومنذ بداية الإفراج عنها والأخذ بيدها نحو الخروج الكبير من قفص الحريم– أن الرجل هو صاحب الفضل– وبالتالى فهو لن يتركها لترسم لحياتها بباقى المعالم خارج الحرملك. لن يسمح لها أبداً أن تتخطى الدور الذى رسمه لها.

FOR AUTHOR USE ONLY

تبلور هذا الإحساس رويداً رويداً منذ أن علمت بموقف رجال الوفد الذى رفضوا الاعتراف بها فى بداية الأمر، وباللجنة المركزية التى رأستها هدي شعراوي، وعلى الفور رأت اتخاذ بعض المواقف التى من شأنها توصيل هذا الإحساس للرجل، ومن ثم رفضت بشدة أن تكون مجرد بديل للرجل أو مقلده له ولسياسته، بل أكثر من ذلك عبرت عن هذا الرفض بشكل واضح وصريح حين أصرت عضوات اللجنة المركزية لنساء الوفد أن يكن عضوات كاملات العضوية، وأن يكون لهن الحرية فى التعبير،رافضات الطاعة العمياء للرجال، لمجرد تحقيق الإجماع فى الآراء خلال

الأزمات.وتجلى هذا الرفض أكثر، حين انتقدت المرأة شروط الاستقلال التى وافق عليها من قبل رجال الوفد!. إن الإحساس بضرورة الاعتماد على النفس، بعيداً عن إرادة الرجل، قد تجلى أيضاً وبصورة مثيرة– فى قرار نساء مصر بضرورة إنشاء اتحاد نسائي للمرأة المصرية. واقتنعت هدي شعراوي أن قضية المرأة.. قضيتها وقضية مصر وأن سعد زغلول بما أعطاها من تأييد.قد كسب بها خطوة للأمام ولكن الوفد كسب بها عدة خطوات فى طريقه السياسي ولكنها اقتنعت أيضاً بأنها لن تحقق نصر سياسي للمرأة عن طريق الأحزاب.بل إنها أمنت بأن كل التحركات الجيدة والتى سمح بها (للجنة نساء الوفد) كانت فى فترات نفى سعد زغلول حينما كانت صفية زغلول تتولى الأمر.ولم يكن اقتناع هدي شعراوي بذلك نابع من طرحها أى قضية لها علاقة بالمرأة، وإنما نابع من التجاهل الذى رأته فى قضية السودان التى تنبتها داخل الوفد– كقضية سياسية وتؤيد هذا الرأى (أمال السبكى فى كتابها) (الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين 19، 52).

FOR AUTHOR USE ONLY

أرسلت هدي شعراوي الاحتجاجات السباقة وظلت تعمل فى لجنة نساء الوفد إلى أن اختلفت مع سعد باشا بعد عودته من المنفى نظراً لموافقته على البند الخاص بالسودان الذى رمى إلى مناداة الملك فؤاد بملك مصر دون السودان فى البيان الذى ألقاه توفيق نسيم باشا عند توليه الوزارة فما كان من سعد باشا إلا أن أرسل يهنئه على بيانه. ولم يتطرق مطلقاً إلى هذا التجاهل. فثارت هدي شعراوي ولم يعبأ سعد باشا بثورتها بل إنه عندما

اجتمع بالوفديين فى الاحتفال السنوي للوفد فى 13 نوفمبر 1922، لم يدعوها لحضور الاحتفال رغم أن العادة جرت على حضورها ولجنة الوفد المركزية للسيدات منذ ثورة 1919. وفى الوقت الذى أصدر بياناً عن الاحتفال يشكر فيه كل الوفديين على موقفهم أثناء وجوده بالمنفى. فما كان من هدي شعراوي إلا أن أرسلت رسالة إليه شخصياً تخطره فيها بالرغبة فى عدم العمل معه فى اللجنة السابقة كما قدمت استقالتها.

فقد كانت هدي شعراوي أصدرت من خلال لجنة الوفد المركزية للسيدات فى 26 يناير 1920 اعتراضها على ما تمخضت عنه المفاوضات فى مشروع رى السودان ورفضت ذلك لثلاث نقاط:

أولاً: لأن الإنجليز هم الذين وضعوه باعتبارهم أصحاب الشأن فى السودان مع أن مركز انجلترا هناك غير شرعي، ولا يختلف فى بطلانه عن مركزها فى مصر فإن كليهما قطر واحد لا يقبل التجزئة وحقهما فى الاستقلال لا يمكن إنكاره.

ثانياً: لأن هذا المشروع ثبت ضرره بدليل ما نشره الأخصائيون من كبار المهندسين المصريين والإنجليز.

ثالثاً: لأن البت فى مثل هذه المشروعات من اختصاص المجلس النيابى الذى يمثل مصر والسودان معاً، وليس الانجليز.

على العموم طورت هدي شعراوي خطواتها فدمجت جمعيتى (الرقى الأدبى للسيدات المصريات وجمعية المرأة الجديدة) فى جمعية واحدة هى المرأة الجديدة تحت رعاية شرفيه للأميرة (أمينة حليم) وجعلت مجلس الإدارة

FOR AUTHOR USE ONLY

برئاسة حرم محمود صدقى أما أمانة الصندوق فأسندته إلى فهيمة ثابت وكان ذلك فى 22 أبريل 1920. أما اللجنة المركزية للسيدات فقد تركتها لوكيلتها شريفة فاضل التى لم تقم بأى عمل فى اللجنة بل إنها انضمت لاحقاً إلى الاتحاد النسائي الذى أنشأته هدي

وركزت هدى شعراوي نشاطها على إلقاء المحاضرات فى الفنون والأداب وأقامت الحفلات الموسيقية لأشهر العازفين وسمحت بالغناء والتمثيل فى بيتها وركزت نشاطها فى الصحة والعناية بالأطفال ووجهت المرأة إلى فنون الإدارة المنزلية.ومن المعروف تاريخياً أن بعد فشل مفاوضات (عدلي– كيرزن) 1921 التى كانت بين الحكومة المصرية والإنجليز عاد عدلي يكن وقدم استقالته – وعادت الثورة من جديد وامتنع الساسة من المصريين عن تشكيل الحكومة،وألقت انجلترا القبض على سعد وزعماء الوفد وتوسعت انجلترا فى القبض حتى وصلت إلى القيادة الخاصة فى الوفد. ثم تم نفى سعد زغلول وبعض زملاؤه للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل.فى هذه الفترة ظهرت المرأة المصرية فى ثورة بيضاء سلمية قائمة على المقاطعة لكل ما هو إنجليزي (البضائع– السفن– البنوك) وكان إقبال الشعب على المقاطعة رائعاً.. وبدأت تفلس أكبر المحلات التجارية البريطانية فى القاهرة. أفلس محل (ستاين) ثم محلات (مورنج) وأحداً أثر واحد..وبدأت البنوك البريطانية تغلق فروعها. ثم تغلق أبوابها. خرج الناس ينفذون المقاطعة بإرادة غريبة. كانت بعض المحال التجارية البريطانية تخفض أسعارها إلى النصف لتغرى الفقراء ومتوسطى الحال بالخروج على قرار المقاطعة وصمد المصريون

FOR AUTHOR USE ONLY

للإغراء، فضلوا أن يشتروا البضائع غير البريطانية الغالية على البضائع البريطانية الرخيصة. طلب الوفد من الشعب أن يسحب أمواله من البنوك البريطانية ويودعها فى بنك مصر، وفى يوم وليلة خرجت الملايين من الخزائن البريطانية ودخلت بنك مصر. نشطت الصناعات المصرية أصبح كل مصرى يتباها بأنه يرتدى حرير اللوزي أو قماشاً من صنع المحلة.

أصبح محل تجارة حامد الموارى فى العتبة أعظم محل تجاري فى القاهرة.كبر فجأة وتغلب على شيكوريل وشملا والبون مارشيه وأورزدي باك.فشلت كل محاولات لورد اللنبى والحكومة لإفساد المقاطعةويصاب الإنجليز فى مصر بانهيار ويلحون على لورد اللنبى بضرورة التسليم للثوار ويبرق اللورد إلى حكومته فى ذعر (إن الثورة تزداد اندلاعاً. هذا الموقف الخطير لا يمكن أن يستمر. إما أن نضم مصرالعنيفة العداء للإمبراطورية وإما نستسلم استسلاماً تاماً!)

FOR AUTHOR USE ONLY

وعبثاً حاول الإنجليز أن يعرفوا أين تطبع منشورات المقاطعة،ولم يتصوروا أن نساء مصر هن اللاتى يتولين هذه الحرب الخفية.ولم يتصوروا أن مقابلات السيدات فى بيوت مختلفة فى الصالونات هى اجتماعات سرية توضع فيها خطط المقاطعة.إلا أنه فى عام 1922 حدث ما لم تتوقعه هدي شعراوي؟! فقد حضرت صحفية أمريكية تدعى (جريس تومسون) لترى نساء مصر بعد أن أصبح تعلقهم ومظاهراتهم مع الوفد محل نظر الدنيا وكتبت كتاباً اسمه (الزغلوليات) أى نساء ثورة مصر زغلول.والتقت فى ذلك الوقت

بالسيدة صفية زغلول والملكة نازلي.. وإذا ببعض السيدات تخطر هدي شعراوي بأن صفية زغلول لم تذكر عنها شيئاً رغم تحدثها باستفاضة عن غيرها من نساء الوفد، وأنها تنسب فكرة المقاطعة لنفسها وفى لحظة غضب أعلنت هدي شعراوي السر: لقد اجتمعنا فى منزلي وبعيداً عن لجنة سيدات الوفد سبع عشر سيدة برئاستى وطرحت فكرة المقاطعة وانتخبنا عزيزة فوزي والسيدة جميلة عطية والأنسة سيزا نبراوي سكرتيرتي ووضعت خطة للمقاطعة بنفسي من عدة بنوة:

أولاً: رفع احتجاج الجمعية على سياسة إنجلترا نحو مصر والسودان إلى مندوب هذه الدولة بمصر وإلى وزارة خارجيتها بلندن وتبليغ ذلك للحكومة المصرية.

ثانياً: العمل على انتخاب لجان فرعية فى المدن والمحافظات لترويج هذه الدعوة.

ثالثاً: نشر نداء للشعب تستحثه على تأييد مبدأ المقاطعة والعمل على تنفيذها.

رابعاً: نشر نداء للتجار وأرباب الصناعات تستحلفهم بحق الوطن عليهم، ألا يستوردوا بضائع جديدة أو آلات صناعية من انجلترا.

خامساً: أن تعقد جلسات اللجنة كل أسبوع يوم الجمعة بعد الظهر بمنزل الرئيسة إلا إذا طرأت ظروف مستعجلة. وقالت عبارة رنانة.

ولم يكن المشروع إلا هودج ركبته أم المصريين!! وكتبت سيزا نبراوي فى مذكراتها: أن المقاطعة كانت بدايات أعمال الاتحاد النسائي فى ذلك الوقت أما تاريخ **16** مارس **1923** فهو تاريخ التأسيس بعد الإجراءات

FOR AUTHOR USE ONLY

الإدارية.وإذا كانت صفية زغلول اعتبرت حرم بهى الدين بركات باشا (أركان حرب المقاطعة) فالحقيقة أن هدي شعراوي (فيلسوفة المقاطعة وصاحبة الاقتراح)

وظهر كتاب (جريس تومسون) لأول مرة مترجماً للعربية عام 1970 كشف عنه النقاب (محمود عوده) وجاء فيه: لقد دهشت أن الشرقيات كما يصورهن خيالنا الغربى المريض قد انقرضن والحوريات المضطجعات فى استرخاء يعرضن فتنتهن على أرائك ناعمة من الحرير وحولهن الجواري يعزفن العود لم يعد لهن وجود إلا فى كتب الأساطير، لقد وجدت مدام زغلول وهى سيدة تبدو للناظر من الوهلة الأولى ذات شخصية قوية وذات كبرياء ووداعة، فلقد أعتقل زوجها زغلول للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل فى 22 ديسمبر 1921 بعدما رفض أن يعتكف فى عزبته،وشهدت صفية هانم اعتقاله وظلت هادئة ساكنة حتى غادر زوجها البيت.وكما قالت لها: أن سعد سجين سيشل ولكننى هنا روحه الثانية وزوجته التى تصون مكانه.كذلك ردت بعنف وبثقة على المندوب السامي عندما عرض عليها امكانية مصاحبتها لزوجها بسيشل حيث قالت: إننى سأظل فى القاهرة وسأعمل كل ما فى وسعى لأتم عمل زوجى وأنتم تستطيعون أن تنفوا جسمان سعد ولكنكم لن تستطيعوا أن تنفوا روحه لأنها تعيش وستظل تعيش،وفى بيته سأكون سعداً حتى يعود. وهو سيعود لأن الشعب لن يرضى بغيابه،ولن يمكنكم من إبعاده طويلاً وحتى لو مات سعد فسيأتى

FOR AUTHOR USE ONLY

كثيرون غيره وسيتقدمون الصفوف وسأفعل كل ما أستطيع لإشعال روح الثورة فى سبيل استقلال مصر..

كما أعدت صفية زغلول ولجنة الوفد للنساء منشوراً وزع فى كل أنحاء البلاد بعنوان (نداء حرم الرئيس) قالت فيه: لئن كان سعد شيخاً فثقوا أن هذا النفى لا يهد من عزيمته إلا شئ واحد هو أن يعلم يوماً أنكم اعتراكم الضعف ولو للحظة واحدة.وبدأت عقلية الرئيس وزعماء الوفد فى المنفى وزعماء الصف الثانى فى السجون صفحة كفاح مجيدة لسيدات مصر وقد بدأ احتجاجهن يأخذ شكله العملى بتنظيم مقاطعة البضائع البريطانية وانضم إلى السيدات عدد كبير من سيدات المرأة الجديدة.وجمعية محمد على الارستقراطية للكفاح من أجل استقلال حقيقى للبلاد.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولم تكن صفية هانم فى الحقيقة سوى أم لكل المصريين، ولهذا لقبت (بأم المصريين)فكانت الزعيمة الروحية للنساء والرجال خاصة من عينة زوجها، كانت الرئاسة الفعلية للجنة السيدات فى يد سيدة مصرية ثانية عظيمة،هى السيدة (هدي شعراوي) وكانت سيدية هادئة رزينة وزعيمة وقائدة بكل معنى الكلمة وهى تحمل فى وجهها شخصيتها تلك القوة الصافية المتدفقة التى تحسها أمام النيل ونهر مصر العظيم ووراء مظهرها المهذب الشامخ يحس الإنسان أيضاً أن هناك عقلاً مرتباً، وإرادة صلبة.ولم تسمع هدي شعراوي شهادة تقديرها الحقيقية،وتركت نفسها لأوهامها التى صنعت الجفاء بينها وبين الوفد والمقاطعة الحريمى بينها وبين صفية

زغلول.وقد تطورت أحاسيها المبالغ فيها حتى أنها اعتقدت بأن صفية زغلول هى التى أوعزت إلى سعد زغلول بالعناية (بمنيرة ثابت) لتحل محلها فى الوفد بعد ما أظهرته أختها فهيمة ثابت من وطنية بسفرها معها كوصيفة عند مرض سعد زغلول فى المنفى!!

ولكن علي الشعراوي ما أن استراح لاستقالة زوجته من الوفد حتى فوجئ بقصره يتحول إلى ملهاة ثقافية–غناء– وتمثيل واجتماعات و... و... لقد أرخت هدي شعراوي العنان،وتركت نفسها لنشاط فنى وبدأت تهيم بالموسيقى التى تعلمتها فى الصغر وتركتها وراءها..كانت لا تستطيع أن تفر من ذلك وقد أصبح يشرف على جمعيتها (المرأة الجديدة) الهوانم السيام اللاتى دخلن فى ركاب الأميرة الطيبة المهذبة (أمينة حيلم) التى وضعت جزء من ثروتها لهذا النشاط.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفجأة تفجرت قنبلة اسمها (فاطمة سرى).. قيل أنها تزوجت عرفياً من (محمد شعراوي) ابن هدي هانم شعراوي بورقة سرية فى 1 سبتمبر 1924!! ولم تكن فاطمة سوى مطربة أعتادت هدي شعراوي أن تجعلها تحى حفلات جمعيتها (المرأة الجديدة) وذلك لحسن حظها وذوقها الرفيع فى الملابس فقد قال لها يوسف وهبي: فاطمة سرى فنانة مستقيمة من المسرح للبيت ومن البيت للمسرح– إنها بنت ناس!! وكان غريباً أن تثق هدي شعراوي فى يوسف وهبي دون جوان الفن؟! وجاء ذلك فى وقت ظهور الاتحاد النسائى المصرى ككيان سياسي تحت رئاستها وتضمن برنامج

الاتحاد النسائي مطالب شاملة فقد طالب باستقلال مصر والسودان وحياد قناة السويس حتى لا تستخدم فى الحروب وضد مصالح مصر، كما يوكل لمصر حق الدفاع عنها ورفض تحمل ديون تركيا القديمة، وطالب بإلغاء الامتيازات الأجنبية، كما نادى بوضع قاعدة للمفاوضات مع بريطانيا ثم طالب بإدخال تغيرات على دستور مصر أهمها وضع الديمقراطية السياسية موضع التنفيذ بأن تمنح المرأة حق الانتخاب وبإلغاء القوانين الاستثنائية والرجعية وقانون التضمينات وكذلك الاهتمام بتحسين الجيش المصرى لأنه أهم وسيلة للدفاع عن الوطن الحبيب والسعى لتطوير كافة وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية.هذا فى المجال السياسى، أما المجال الاجتماعى فقد دعى إلى نشر التعليم الابتدائي بصفة إلزامية وطالب بالإكثار من البعثات العلمية وفتح باب التعليم القانونى والعالى أمام الجنسين ودون التقيد بسمة معينة مع تعليك الطلاب الصحة العامة والقانون والموسيقى لتهذيب النفوس وزيادة الوعى والحث على استكمال الجامعة المصرية وتشجيع حركة الترجمة لما لها من أثر بارع فى نقل نفائس الكتب وأمهات المعرفة، وطالب بتطوير الصناعة وفتح باب الأسواق أمامها وحمايتها من المنافسة الأجنبية وتشجيعها أمام المصريين خاصة بكافة الوسائل. وأخيراً محاربة المسكرات والمخدرات.أما ما يخص الجانب النسائى. ففى مجال التعليم المطالبة بجعل الوظائف الإشرافية للمرأة والمطالبة بحقوقها المهضومة وقانون الانتخاب والسعى لحل المشاكل الأسرية بطريقة عادلة تضمن للمرأة حريتها وإنسانيتها، وضع قانون يمنع

FOR AUTHOR USE ONLY

تعدد الزوجات والمطالبة بجعل الطلاق أمام القاضى،إلزام المطلق بالنفقة وزيادة سن الحضانة للأطفال وغيرها من قوانين الأحوال الشخصية.

واستطاع اتحاد هدي شعراوي أن يجذب إليه أنشطة الجمعيات الأخرى وخاصة بعد رحيل سعد زغلول الذى قدم السند الأدبى الكبير لحركة المرأة المصرية.وفى مارس 1923 ظهرت هدي شعراوي فى المؤتمر النسائي بروما ممثلة للمرأة المصرية حيث ألقت كلمة عن أوضاع المرأة فى مصر، فرقت فيها بين أصول الدين وما كفله للمرأة من حقوق وبين الأوضاع الاجتماعية السائدة التى تكرس الوضع الدونى للمرأة. وانضم الاتحاد النسائى المصرى للاتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية والعمل على نشر مبادئ السلام.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى عام 1924 اجتمعت نساء الوفد مع جمعية الاتحاد النسائى المصرى وأصدرن كتيباً يشمل تصوراً شاملاً وعاماً به قسم سياسى عن موقفهن عن القضية المصرية وقسم عن تعديل الدستور وقسم آخر عن الأوضاع الاجتماعية كما ضم الكتيب قسماً نسوياً يطالب بحقوق المرأة مثل المساواة فى التعليم، وزيادة مدارس البنات الثانوية، وفصل إدرة تعليم البنات عن تعليم البنين، وإحلال خبيرات من النساء محل الرجال فى فروع التعليم النسوى، واشتراك النساء فى حق الانتخاب وإصلاح قانون الأسرة بسن قانون يجعل تعدد الزوجات للضرورة فقط، وأن يكون تطليق المرأة أمام القاضى الشرعى، وقد أرسل هذا الكتيب والذى يكاد يضم برنامجاً

كاملاً لحزب سياسي نسائي إلى رئيس مجلس الشيوخ والنواب، والصحافة وعدد كبير من المواطنين والمواطنات.

وعادت هدي شعراوي لقصرها سعيدة قريرة العين ليفاجأها زوجها بما تنشره الصحف ووقفت هدي شعراوي مزعورة مما كتب من قلم جوعان وقلم غلبان وقلم كرباج وقلم هلفوت وقلم حوت وقلم ملطوط.. فما الذى تنشره مجلة (فتاة النيل) و(الصباح) ولكن ما أدهشها صورها.. وهى تمثل سافرة مندمجة فى الدور!! وغاص علي شعراوي فى مقعده حينما قالت هدي: هذه الصور،حقيقية ولكن كيف خرجت من البيت؟!.. وعرف علي شعراوي أن زوجته (سبع صنايع)– اكتشف أنها شاعرة وكاتبة وأنها تحسن التمثيل كما تحسن العزف على البيانو! واكتشف أن فى منزله معمل صغير لصناعة العطور تبتكر بداخله أصنافاً جديدة تهديها هدي هانم لصديقاتها.وبالتحرى وجد فى حديقة قصره استديو خاص تحمض فيه الصور وتكبر اللقطات– وأن زوجته كونت فرقة من الصديقات تقوم فيها بدور المخرج ومهندس الديكور وأن الممثل الوحيد فيها من الجنس الخشن هو نجله (محمد بك شعراوي).

أما الرجل الذى وجده فى الصورة المنشورة لزوجته هى سيزا نبراوى وقد اندمجت مع هدي شعراوي فى دور روميو العاشق الولهان بعد أن تنكرت ولبست ملابس الرجال؟! وحطم علي شعراوي استوديو التصوير وقرر أن يغلق باب القصر بسلسلة وقفل!! ولكن الرجل وجد طلاب صينيين على باب القصر وسأل فى ثورة: آية دول كمان؟! وعرف أن زوجته تعطف على

FOR AUTHOR USE ONLY

هؤلاء الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر وأنها قد جعلت لكل منهم مكافأة شهرية.وفتح الباب وكسر القفل وجلس يعطى لهم

ولكن هدي لم تخرج وأهتدت إلى أهمية الصحافة وجلست لتعد لمشروع إصدار جريدة مصرية بعيدة عن الإسفاف.والحياة الشخصية وأصدرت بالفرنسية التى تجيدها (الأجيبسيان) وأسندت رئاسة تحريرها إلى السيدة سيزا نبراوى. مرافقتها الدائمة وسكرتيرتها الخاصة. وكان مقالها الأول عن: لماذا لم يحقق سعد زغلول وعده بدخول المرأة البرلمان واشتراكها فى الحياة السياسية وكان سعد زغلول وقتها يقود الوزارة!!.. وإذا بعض الصحف ترد عليها بمقال: لماذا لا يتزوج الأبناء على سنة الله ورسوله؟! ووجدت أن موضوع ابنها مع فاطمة سري قد تطور فأرسلت علي بك سعد الدين لها بألف جنيه فقالت له هذا لا يرضى الله؟! وأعتقدت هدي أنها تطمع فى المزيد فأرسلت المحامى الهلباوي بك بأربعة آلاف جنيه فألقتها فاطمة سري فى وجهه

وقالت له إنت محامى أم قواد؟!

وإذا بفاطمة سري تعلن أنها حامل من ابن هدي هانم. وبدأت حركة نسائية كبيرة استعملت فيها الملاية والحيانى والطماطم والبيض الفاسد وبينما كانت معركة (هدي– فاطمة) دائرة، إذا بخطاب يصل من باريس يطالب الاتحاد النسائى المصرى بالمشاركة فى المؤتمر النسائى الدولى العاشر عام 1926 وتحصل هدي شعراوي على تأييدات عربية من النساء لتكون ممثلة عن مصر ونساء العرب (العراق– سوريا– فلسطين– لبنان– شرق

FOR AUTHOR USE ONLY

الأردن) لتعود من هذا المؤتمر وقد فكرت فى الاتحاد النسائي العربي فقد هالها الموضوعات المعروضة فى مؤتمر باريس والتى كانت تسمع عنها لأول مرة: الأم غير الزوجة، جنسية الزوجة، منع تجارة الرقيق، دور المرأة فى السلام العام، بينما كانت فى جعبتها موضوعات: فوضى الطلاق، بيت الطاعة، وضع حد لتعدد الزوجات.

وحينما عادت من المؤتمر وجدت نفسها قد حصلت على نيشان الكمال من لبنان. وأصبحت منذ ذلك الوقت رئيسة للاتحاد النسائى العربى. (واستمر هذا الاتحاد حتى بعد وفاة هدي شعراوي وفى سنة 1956 تولت رئاسته د. سهير القلماوى واستمرت رئيسته حتى 79 وعلقت عضوية مصر فيه. وألغى الاتحاد النسائى المصرى. وقالت عنه د. سهير القلماوي أنه اتحاد من 16 دولة عربية يحاول أن يعمل للتعارف بين البلاد العربية بأنشطة نسائية ولكنه فى الحقيقة ليس له تأثير سياسى أو إلزام دولى).
وفكرت هدي شعراوي فى أهمية إصدار مجلتها (المصرية) باللغة العربية حتى تستطيع أن تكون بمثابة منبر ليس للاتحاد النسائى المصرى، ولكن الاتحاد النسائى العربى وعرضت رئاسة التحرير على د. سهير القلماوي (الأنسة سهير القلماوي وقتها) وتقول عن ذلك: بدأت فى الإعداد ولكنى فوجئت بأن هدي شعراوي تريدها ترجمة لمجلتها الفرنسية (الأجيبسيان) فرفضت ولم أجد ديمقراطية فى هدي شعراوي. وشعرت بأنه اتحاد هدي وهوانمها وليس اتحاد للمرأة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ومنذ عام 1926 ظهرت علامة غريبة بين الاتحاد النسائى المصرى والحركة النسائية فى أمريكا وبدأت مجموعة من الزيارات لهدي شعراوي إلى أمريكا (حتى الآن لم يكشف عن تلك العلاقة ومداها، ولم أجد شيئاً بخصوصها فى المراجع) إلى أنه اتبع ذلك زيادة نفقتها على تعليم الفتيات فى مصر والخارج حتى أن المثال مختار اسماها (إيزيس).فقد تبنت فنه وجعلته يتفرغ له.

وبعد عقد معاهدة 36 لم تتفق هدي شعراوى مع النحاس باشا وظل هجومها مستمراً عليه – ولم يأخذ الرجل الأمر بجدية وإنما حكى حكاية عن فاطمة[6] سرى وكيف قابلها فى النمسا حينما هربت لتضع مولودها

FOR AUTHOR USE ONLY

(6) واعلن الصراع بين المطربة والزعيم ولكن الغريبة تبادل الأسلحة، المطربة تستخدم المبادئ التى تنادى بها هدي شعراوي وهدي شعراوي تستخدم أسلحة المغنواتية (نعم.. يا عمر.. وهات يا ردح)..أنا اسمى فاطمة سرى ولم أغير اسمى لفاطمة شعراوى كما فعلت حماتى (اسمها نور الهدي سلطان) وتزوجت علي باشا شعراوي فأصبح اسمها هدي شعراوي!!وإذا كانت تدعى أنى لا أحب محمد شعراوي.. فلتقل لى هل كانت تحب هى علي باشا شعراوي الذى تزوج قبلها، وكان فرق السن بينهما 40 سنة!! إذا لم أكن ربيت.. فأنت لم تحسنى تربية ابنك.. لقد خطفنى فى سيارة وأنت تلعمين!!،وقال هدي شعراوي:القذرة.. بتاعة مين.. ومين إنها لها ملف فى الآداب.

وكتبت فاطمة سري خطاباً إلى هدي شعراوي أما نصه فقد شنره مصطفي أمين فى كتابه(من واحد لعشرة) وأعاد نشره عدة مرات.سيدتى:سلاماً وبعد.. أنا اعتقادى بك وبعد لك، ودفاعاً عن حق المرأة يدفعنى كل ذلك إلى التقدم إليك طالبة الإنصاف، وبذلك تقدمين للعالم برهاناً على صدق دفاعك عن حق المرأة، ويمكنك حقيقة أن تسيرى على رأس النساء مطالبة بحقوقهن، ولو =كان الأمر مقصوراً على لما أخرجت

مركزك، إنك أم تخافين على ولدك العزيز أن تلعب به أيدى النساء، وتخافين على مستقبله من عشرتهن، وعلى سمعته من أن يقال أنه متزوج امرأة كانت فيما مضى من الزمان تغنى على المسارح، ولك حق أن عجزت عن تقديم ذلك البرهان الصارم على نفسك، لأنه يصيب من عظمتك وجاهك وشرف عائلتك كما تظنون يا معشر الأغنياء، ولكن طفلة مسكينة هى ابنتى وحفيدتك، ابنة نجلك العزيز، والله يعلم، وهو يعلم، ومن يلقى عليها نظرة، واحدة يعلم ويتحقق من أنها لم تدنس ولادتها بدم آخر، والله شهيد، وطالبت بحق هذه الطفلة المعترف بها ابنك كتابياً، قبل أن يتحول عنى وينكرها وينكرنى، فلم أجد من يسمع لندائى وما مطالبتى بحق وحقى كزوجة طامعة فى مالكم، كلا! والله فقد عشت قبل معرفتى بابنك، كنت منزهة محبوبة كممثلة تكسب كثيراً، وربما أكثر مما كان يعطيه لى ابنك، وكنت متمتعة بالحرية المطلقة وأنت أدرى بلذة الحرية المطلقة التى تدافعين عنها، ثم عرفت ابنك فاضطرنى أن أترك عملى وأنزوى فى بيتى، فأطعته غير طامعة بأكثر مما كان يجود به، وما كنت لأطمع أن أتزوج منه، ولا أن ألد منه ولداً، ولكن هذه غلطة وإسأليه عنها أمامى، وهو الذى يتحمل مسئوليتها، فقد كنت أدفع عن نفسى مسألة الحمل مراراً وتكراراً، حتى وقع ما لم يكن فى حسابى هذه هى الحقيقة وانتهى الأمر).وفى الجمعيات التسائية كان النساء يقلن يخلق من ظهر العالم فاسد (هدي شعراوى) تنجب ولداً بهذا السوء .وتضع هدى شعراوى كل قوتها فى قضية امام القضاء؟!وتحدث تدخلات، وقضاة يصمدون للإغراء، ومحامون يتصيدون الأدلة والمستندات، وإذا بالمحكمة الشرعية العليا تحكم بأن ليلي هى ابنة محمد شعراوي، وفى الحال قررت هدي شعراوي أن تطلب بنوة الابنة ونجحت فى ذلك فتحت لها سرايتها وضمتها إلى صدرها وكأنها تعتذر لها– أما أمها فقد أبقتها خلف الأسوار.وقالت لمحمد.انسى الموضوع.لا عودة للماضى ،وقالت لها فاطمة سري أخذتى رجلى الذى أحببته على مهلى.. حتى ضعفة أحببته والآن تأخذى ابنتى.. وقالت لها أو لم تقل كان هناك الخادم النوبى يوصلها إلى الباب والمعنى الزيارة انتهت.وفى الحديقة تمتمت المطربة بدعاء وهى تنظر إلى السماء.. وفى الوقت الذى كانت فيه ليلي محمد شعراوي فى أمريكا تتعلم.. كان أبوها يدخل فى قصة جديدة.. إنه يعشق الفن وهذه

FOR AUTHOR USE ONLY

(ليلي) الذى حملت به من محمد علي الشعراوي ابن هدي شعراوي وأثبتت الولادة فى القنصلية المصرية فى فيينا وكيف أنه وقف معها، لأن يقف مع الحق.. وعرف أنها واقعة تحت تهديد فنصحها أن تذهب إلى محل زنكوغراف وتحصل على صورة مطابقة للإقرار وعندما تيأس من المقاومة تسلم صورة الإقرار وتحتفظ بالأصل. وأن أم محمد (يقصد هدي شعراوي) لم نغفر لها ذلك!!.. واستعمل عبارة قلبها أسود!!

وفى كتاب (د. آمال كامل السبكى) سابق الذكر ذكرت أساس هذه المعارضة وموقف هدي شعراوي: لقد رأت هدي شعراوي أن هناك ثمة تعارضاً أو تناقضاً ما بين المادة التى تنص على إنهاء الاحتلال العسكرى البريطانى والمادة التى تقضى بإبقاء الجنود البريطانيين فى بعض المناطق الهامة فى مصر ثم أرسلت هدي شعراوي تحتج على التكاليف الباهظة التى ستدفعها (المحروسة) بناء على نصوص معاهدة سنة **1936** فى الوقت الذى يطالب فيه الشعب النحاس باشا بخفض النفقات.

ظلت هدي شعراوي مستمرة فى هجومها علي النحاس باشا والوفد بعد عقد المعاهدة وبعد مؤتمر مونترو. ولكن البعد الكامل عن الوفد تجلى فى موقفها المؤيد للسعديين والمتعاطف معهم فعندما أخرج النحاس باشا كلاً

FOR AUTHOR USE ONLY

المرة مع الراقصة أحلام وزواج على سنة الله ورسوله بفرح ورزق منها بثلاثة أولاد.وقال الناس آه لو عرفت هدي شعراوي.. اللى (ما يرضى بالخوخ.. يرضى بشرابه!!).ولم تعلم هدي هانم بالكارثة الجديدة فقد ماتت بالسكتة القلبية وهى جالسة تكتب بياناً فى فراش مرضها تطالب فيه الدول العربية بأن تقف صفاً واحداً فى قضية فلسطين.

من النقراشى وأحمد ماهر نشرت مقالاً طويلاً ضد الوفد تحت عنوان: (أخطاء السياسة الداخلية فى عام) عابت فيه على النحاس باشا سياسة الذاتية رغم كونه زعيماً للأغلبية واتهمته بأن الاستقلال فى نظره لا يعدو أن يكون استقلالاً بالحكم واضطهاد لمعارضى الوفد كما عابت عليه إسرافه فى منح الرتب والنياشين والترقيات لمناصرى سياسته وتلك المحسوبية التى لم تنج منها فى نظرها سوى وزارة المواصلات التى كان النقراشي وزيرها وكذا ميزانية مجلس النواب التى أشرف عليها أحمد ماهر.

ثم كان فى تأييدها لاتهام النقراشي للنحاس باشا فى موضوع الزعامة المقدسة ما يثبت هذا النهج الجديد فى سياستها المؤيدة للسعديين وأحزاب الأقليات والرامى إلى أبعاد الوفد بعد أن انتهت مهمته كما رأت بعقده لمعاهدة سنة **1936** ويتضح ذلك من قولها. (يطالب النحاس الجميع بالطاعة العمياء لزعامته باعتبارها زعامة معصومة من الأخطاء. ثم يطالب أن يفنوا أشخاصهم فى قدسية زعامته دون أن يسألوه عما يفعل)

واستمرت هدي شعراوي تحتج على وجود كتائب (القمصان الزرقاء) رغم ما أعلنه الوفد مراراً بأن الباعث لوجودهم هو حماية الديمقراطية من عبث القوات الأخرى مثل (القمصان الخضراء) التى كونتها (مصر الفتاة) وكتائب الكشافة التى أعدها الإخوان المسلمون،وطلبة النضال أو كتائب المقاومة التى نظمها اليسار والتى نزلت أثناء حوادث فبراير سنة **1946** وقال النحاس لها (اعلم أن الملك فاروق مصلتك على بس القمصان باقية (

FOR AUTHOR USE ONLY

كان احتجاج هدى شعراوى سببه أن تلك الكتائب أصبحت أداة إرهاب فى البلاد،ومنبع قلاقل وكثيراً ما سببت رعباً للجماهير باعتداءاتها المتكررة عليهم كذلك الخسائر التى يحدثونها بتعديهم على المحال التجارية والمكاتب والمنازل وهذا فى الحقيقة يتعارض مع الديمقراطية التى يقول الوفد أنه جاميها.واستمر عداء هدي شعراوي للوفد حتى قالت عنه أنه ميراث تبدد وثوب تهلهل والميراث الذى تبدد فى نظرها هو تركه سعد زغلول السياسية التى ورثها النحاس باشا فبددها وأما الثوب الذى تهلهل فهو ثوب الوفدية الذى ورثه النحاس باشا مع التركة السياسية المهلهة فأوسعة تمزيقاً.ثم أشارت إلى اختلاف برنامج الوفد عن باقى الأحزاب السياسية لذلك لا مبرر لبقائه فى الحكم.لم تتوقف هدي شعراوي عن مناهضتها للوفد حتى أنها تقدمت باحتجاج باسم الأمهات المصريات استنكرت فيه اعتداء البوليس على الطلبة كما احتجت على خنق حريات الجماهير،إذا واجب الحكومة هو احترام الدستور الذى يكفل حرية الرأى للشعب وإن كانت الوزارة عاجزة عن القيام بهذا لتترك الحكم لغيرها..

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى بداية الأربعينات،وقفت هدي شعراوي مع نبوية موسي فى مناصرة القصر والملك فاروق بعد حادث 4 فبراير سنة 1942ضد النحاس والوفد والانجليز،وأصبحت أحد "المعتمدة" عند أحمد حسنين باشا (رجل القصر والملك) حتى أنه لجأ إليها فى بعض مشاكل فاروق مع زوجته (الملكة فريدة) ولذلك حصلت على الوشاح الأكبر من نيشان الكمال من الملك فاروق فى حفل الاتحاد النسائى.وعند وفاتها أرسل الملك فاروق

والإمبراطورة أخته فوزية والأميرة فايزة مندوبين عنهم للتعزية وكذلك الهيئات التى كان يشرف عليها أميرات القصر مبرة محمد علي وسيدات الهلال الأحمر.

وقد كانت هناك حرباً باردة بين (منيرة ثابت) ومجلة (الأمل) التى أسسها الوفد عام 1925 لتكون مناصرة لأرائه بعد تأسيس هدي شعراوي لاتحادها النسائي– فكان من الطبيعى أن يكون التنافس بين الاثنين لاختلاف الآراء والأهداف.إلا أنه سنة 1933 دعتها هدي شعراوي والاتحاد النسائي للاحتفال بأول دفعة من خريجات الجامعة وكن أربعة فتيات ثلاثة من كلية الآداب ومنيرة ثابت نفسها باعتبارها حاصلة على ليسانس الحقوق من غير الجامعة المصرية وكما تقول سيزا نبراوي أن سبب دعوتها هو ضمها إلى الاتحاد النسائي؟! ولم تتجه منيرة ثابت إلى الاتحاد النسائي وتشارك فيه إلا عندما اهتمت هدي شعراوي بقضية فلسطين (عرضت القضية فى مجلة المصرية لإضراب شعب فلسطين 1936وظهرت فيه مبادئ الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين– وأوضحت التحقيقات المنشورة أنه أطول إضراب عرفته البشرية لاستمراره 6 شهور) أصبحت فلسطين موضوع أساسى فى مجلة المصرية منذ إنشاء المجلة باللغة العربية. ولم تحذب قضية فلسطين منيرة ثابت وحدها – وإنما وجدنا زينب الغزالي (الإخوان المسلمون) تقبل الاشتراك فى نشاطات هدي شعراوي فى (هذه القضية وحدها)

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى الفترة بين 15 و18 أكتوبر سنة 1938 عقد (المؤتمر النسائي الشرقى) فى القاهرة وهو من أهم المؤتمرات التى عقدت لنصرة فلسطين قالت هدي شعراوي فيه أن (فكرة إيجاد وطن قومي لليهود ليست ناشئة عن مجرد عطف بريطانيا العظمى عليها وحبها لها، وإنما هى وليدة مطامع استعامرية خطيرة خلفتها سياسة طائشة أرادت أن تلعب بالنار لتحقيق مآرب سياسية لها خطورتها على الأمم الشرقية والسياسية العالمية). وقالت هدي شعراوي (أن نساء مصر يسوءهن تصرف بريطانيا هذه وإن كان هناك معاهدة تحالف قد عقدت بين بريطانيا ومصر فقد فعلت مصر بعد أن ساعدت بريطانيا بلاد الحبشة الضعيفة ضد إيطاليا وسياستها الاستعمارية فى شرق أفريقيا ولم تكتف بعقد المعاهدة بل دفعتنا الحماسة إلى السخاء فى التنازل لها عن كثير من حقوقنا نظير دفاعها عن جارتنا وانتصارها للأمم الضعيفة. ولقد استطردت هدي شعراوي بأن هذا رياء ومظاهر لا حقيقة لها لعبة من ألعاب الدول القوية فهى تعترف أخيراً بالاحتلال الإيطالى على الحبشة ثم بعد ذلك تتخلى رويداً عن حماستها وتعضيدها للحبشة وتضحى بصداقة روسيا وتستلم لمطالب هلتر،وتفسر هذا التراجع بأن اليابان كانت تخطط لتحقيق فرصة اشتباك انجلترا فى الحرب لتهاجم المستعمرات البريطانية.ومن ذلك نرى أن بريطانيا العظمى لا تستأسد إلا على الأمم الضعيفة ولا تحترم إلا القوة على اختلاف أنواعها ولا يخفى على حضراتكم ما لليهود من قوة مالية ثم اختتمت كلمتها بقولها (إن القوة المعنوية التى كانت وما زالت تملكها العرب لها الغلبة دائماً على القوة المادية لأن القوة الغاشمة تخرب وتدمر والقوة

FOR AUTHOR USE ONLY

المعنوية تبنى وتعمر، وهذه القوة تملأ والحمد لله نفوسنا فأبشركن سيداتى بأن الأمة العربية تستعيد مجدها بإذن الله وربما كانت هذه المآسى والتضحيات درسنا لنا وبشيراً لخاتمة حسنة لم تكن فى الحسبان).أما عن مثلات مصر فى هذا المؤتمر فكن السيدة هدي شعراوي رئيسة ونفيسة حرم محمد علي علوبه باشا، أمينة حرم الدكتور فؤاد بك سلطان، بسيمة حرم عبد الرحمن رضا باشا، جميلة حرم حسن بك أبو شنب، عزيزة حرم الدكتور حسين هيكل باشا، علية حرم محمود خليفة بك، بهيجة حرم حسن رشدي، أنصاف حرم منصور فهمي بك، سيزل حرم مصطفي نجيب، درية حرم أحمد فكري، منيرة ثابت، ماري كحيل، إلين صرف، حواء إدريس إيفا حبيب المصري، حنيفة أحمد علي علوبة، تحية محمد، نعيمة الأبوبي، زينب الغزالي.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبالإطلاع على مذكرات هدي شعراوي المنشورة بكتاب الهلال وجدنا مسطوراً بيدها (عندما زرت بيت الله الحرام تصدقت بأموال من مالى ومن سيدات فضلات فى الاتحاد النسائي وبعض الجمعيات الأخرى وتقابلت مع سمو الملك عبد العزيز آل سعود وعرضت عليه فى وقتها إنشاء مدرسة لتعليم الفتيات فحازت الفكرة القبول لديه)..وفى مجموعة من الدراسات ذكر: أسست هدي شعراوي قبل وفاتها جمعية خيرية من جميع البلاد الإسلامية لرعاية فقراء المسلمين الذين نزحوا من بلادهم للإقامة فى مكة والمدينة بعد أن لاحظت حالتهم المليئة بالشقاء والحاجة ولقد بلغت قيمة

التبرعات والمساعدات التى كانت هدى تمد بها المحتاجين والفقراء خمسة آلاف جنيهاً سنوياً.

ويبدو أن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية هى وليدة للمؤتمر النسائى العربى الذى نظمته هدي شعراوي فى القاهرة فى أكتوبر عام 1938 للدفاع عن قضية فلسطين (كما سبق ذكره) وكان آخر ما كتبته هدي شعراوي ونشر بالأهرام يوم وفاتها هو تلك البرقية.

تلقت رئيسة الاتحاد (النسائي العربى) برقيات من رئيسات الاتحادات النسائية فى الأقطار الشقيقة: العراق– سوريا– فلسطين– لبنان– شرق الأردن– بمناسبة انعقاد جامعة الدول العربية يفوضنها فى اتخاذ القرارات الحاسمة لنصرة فلسطين وتأييد الجامعة فى نضالها كما عبرن فى هذه البرقية عن تنظيم جهودهن لجمع المال وإعداد الكساء وقيد أسماء المتطوعات للإسعاف والاستعداد الكامل للجهاد مع إخوانهن العرب جنباً لجنب.

FOR AUTHOR USE ONLY

كانت خلاصة أرائها بالنسة للمرأة منبثق من إيمانها الكامل بكفاءتها ومساواتها للرجل فى كل القدرات– لذا استطاعت رفع السن الأدنى لزواج الفتاة إلى 16 عام وللفتى 18 عام وقد رأت أن نجاح الارتباط يأتى من الاقتناع الكامل المبنى على المعرفة الجيدة قبل الزواج من خلال الاختلاط فى محيط الأسرة كما آمنت بأنه لابد من وضع قيود أمام الرجل للحيلولة دون الطلاق خوفاً على سلامة بنيان الزوجية كما اعتبرت أن عدم تعليم

المرأة تعليم عالى وفتح كافة آفاق المعرفة أمامها مثلها فى ذلك مثل الرجل سيؤدى حتماً إلى تأخر المجتمع وتخلفه عن ركب الحضارة.

بقت نقطة دار حولها الجدل واتهمت فيها هدي شعراوي بالانحلال! هل خلعت هدي شعراوي الحجاب وألقته بالأرض فى ثورة 19؟! لقد رأيت بمراجعتى أن هدي شعراوي خرجت فى مظاهرتين 16 مارس 1919، 16 يناير 1920 ولم يذكر شيئا عن خلعها الحجاب؟!

فالحقيقة أن هدي شعراوي وسيزا نبراوي لم يخلعا الحجاب الشرعى الذى يكشف عن الوجه والكفين وإنما خلعا النقاب ولم يكن ذلك أثناء المظاهرات– وإنما عرف عنهما ذلك فى الوقت الذى كان النقاب منتشراً بين النساء..وفى آراء هدي شعراوي أنها مع السفور الذى لا يخالف الدين ولو خالف التقاليد وقد قررت "المستشرقة مارجو بدران " ذلك بقولها: أدركت المرأة المصرية آنذاك أن النقاب ليس فريضة دينية ومع ذلك فقد أدركت النساء الضريبة الباهظة التى ستضطرهن هن أو أبنائهن لدفعها إذا ما جاهرن بهذه الدعوة ومن هنا رأين أن يكون التغيير تدريجياً من خلال الفعل لا القول..لقد تنبأت ملك حفني ناصف وهدي شعراوي بانحسار النقاب ومع ذلك لم تدع أى منهما لنبذه، على العكس فلقد حذرت كلتاهما من ذلك فى تلك الفترة..مع ذلك فبعد 24 عاماً من نشر كتاب تحرير المرأة ووفاة قاسم أمين نزعت هدي شعراوي وسيزا نبراوي النقاب باعتباره رمزاً للقوة الغاشمة والنظام الذى دعا قاسم أمين لمقاومته.وتستطرد

FOR AUTHOR USE ONLY

لو كان فعل خلع النقاب من (هدي شعراوي) وزميلتها فعل مرتبط بثورة 1919. لما أحتاج سعد زغلول لمحاولة تكراره للتأكيد عليه – وبخاصة أن سعد كان أزهرياً فى الأصل.فقد رفع سعد اليشمك عن وجه ابنة الشيخ علي يوسف فى إحدى الحفلات الدينية فى بيت الأمة– ولم يقلع النساء عنه. ووقفت الآنسة فكرية حسنى تلق خطاب على وجهها البرقع. فتقدم سعد أمام الألوف ورفعه– وأصبح هذا أمراً من قائد الثورة بنزع ما يخفى الوجه – وليس الحجاب. وأعتقد أن ما وصلت إليه (مارجو بدران) هو الراوية السليمة السليمة فقد ذكر مصطفي أمين فى كتابه (الكتاب الممنوع) ج2، ص8، طبعة دار المعارف 75.

(أما موقف سعد زغلول الحاسم تجاه الحجاب فقد تجلى عام 1923 حينما عاد من منفاه واستقبلته مصر كلها استقبال الغزاة الفاتحين.كانت معه صفية زغلول قالت له قبل وصول الباخرة إلى ميناء الاسكندرية..ألم يحن الوقت لكى أنزع البرقع الأبيض؟

فالتفت إليها سعد زغلول ثم إلى شابين كانا معها هما واصف غالي وعلى الشمسي ثم سألهما رأيهما وإذا بهما يعترضا بحجة ألا تكون هى البادئة بنزع الحجاب.

وإذا بسعد يقول: هذه ثورة ارفعى حجابك..

ورفعته صفية زغلول ثم ظهرت للجماهير لأول مرة بوجه سافر مكشوف وإذا بنساء مصر يتشجعن ويرفعنه بعدها كمظهر من مظاهر الحرية التى رافقت مسيرة المرأة آلاف السنين.

FOR AUTHOR USE ONLY

فحتى مصطفي أمين لم يعرف الفرق بين البرقع والحجاب؟! وأعتقد ان وقوف المرأة بوجه سافر يعتبر نزعاً للحجاب!!مع أن إظهارالوجه والكفين فى إطار الحجاب الإسلامي السليم.وقد ركز الإخوان المسلمون على ذلك فمثلاً فى كتاب محمد قطب (قضية تحرير المرأة) جاء فيه:عندما احتلت انجلترا مصر فشلت فشلاً ذريعاً فى غزوها ثقافياً. لذا تسللت عن طريق المرأة فظهر عميلها قاسم أمين وطالب بتعليم المرأة باعتبارها نصف المجتمع ولما نجحت حملته بدأ يطالب بخلع الحجاب فواجه ثورة كبرى إلا أنه أثناء ثورة 1919 شاركت النساء فى مظاهرات ضد الاستعمار الإنجليزى وكانت أول مشاركة للمرأة فى الحياة السياسية وشعرالرجال بمدى بطولتهن،وفى إحدى المظاهرات بميدان الإسماعيلية وأثناء الهتاف بسقوط الاستعمار فوجئ الجميع بقيام النساء بخلع النقاب وإلقاءه فى الأرض ثم سكب البنزين عليه واشتعلت فيه النيران وعندئذ أطلق على الميدان اسم ميدان التحرير تخليداً لذكرى تحرير المرأة (فهل فرضت إنجلترا الحجاب على النساء أم فرضه الله من فوق 7 سموات قبل 14 قرن)؟!..

وعن نفس الموضوع تكتب درية شفيق فى كتابها (المرأة المصرية من الفراعنة حتى الآن).

قالت:كان ذلك حوالى عام1923عندما كانت السيدة (هدي شعراوي) قادمة من فرنسا،وهى لم تبلغ بعد العقد الرابع من العمر،بمصاحبة كريمتها وزوج كريمتها المرحوم محمود باشا سامي، وسكرتيرتها السيدة (سيزا نبراوي) وكانت على ظهر الباخرة التى يعود عليها الزعيم سعد زغلول من فرنسا

FOR AUTHOR USE ONLY

بعد شفائه، وكانت هدي شعراوي لا تزال تفكر فى النظرة التى تقابل بها المرأة المصرية،حتى أنهم كانوا حين يرون هدي شعراوي وزميلاتها بلا يشامك ولا براقع يتشككون فى مصريتهن،وفى ذلك المؤتمر الأخير بالذات كانت مندوبات الدول المختلفة.ينكرن على السيدة هدي شعراوي مصريتها،ولا يكون يتعرفن إلا بمصرية واحدة كانت تصر على حضور المؤتمرات آن ذاك محجبة لا تكشف شيئاً من وجهها وهى المرحومة (نبوية موسي).

حينئذ قالت هدي شعراوي: ما دمنا نظهر فى مؤتمرات فرنسا سافرات الوجه بدون أن يكون فى هذا ما يخدش الحياء والشرف، فلماذا لا نظهر سافرات فى بلادنا أيضاً!!

- ولكن التقاليد فى مصر لا تسمح بالسفور!
- ولماذا لا تتطور هذه التقاليد مع الزمن؟!
- وماذا نصنع نحن فى هذه التقاليد؟
- لابد ان يكون لدينا من الشجاعة ما يجعلنا نقوم بدور إيجابى فى ذلك..
- ولماذا لا نبدأ نحن فنتبعنا الأخريات؟

وقد كان.. فحين وصلت الباخرة إلى الميناء، بدأت هدي شعراوي ومن معها من النسوة فى رفع اليشامك والأنقبة.وتحكى هدي شعراوي عن ذلك بقولها (.. ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتى، وقرأنا الفاتحة، ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه وتلفتنا كى نرى تأثير الوجه الذى أصبح سافراً لأول مرة بين الجموع فلم نجد له تأثيراً أبداً).

FOR AUTHOR USE ONLY

ثم نجد روايتين (لسيزانبراوي) الأولى شفهية سجلتها مارجو بدران فى رسالتها للدكتوراه والتى عنوانها (هدي شعراوي وتحرير المرأة المصرية) فى حديث أجرى بينهما: انضم الاتحاد النسائي المصرى إلى التحالف الدولى مع التزام أعضائه فى إطار الحركة النسائية الدولية بالحصول على الحقوق السياسية التى سلبت منهاجنباً إلى جنب مع الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.وعند عودتهن من الاجتماع النسائي نزعت كل من هدي شعراوي وسيزا نبراوي الحجاب فى محطة القاهرة وقبل النزول من القطار وذلك أمام حشد كبير من السيدات المهللات..وجاء هذا العمل بمثابة إعلان رسمى من قبل رائدات الحركة النسائية بإنهاء نظام الحريم، ووضع حد لعزلة المرأة.والفصل بين الجنسين وبداية الحركة النسائية الرسمية والعلنية فى مصر.. وفى نفس هذا الأسبوع ولأول مرة فى التاريخ ظهر وجه المرأة المصرية فى الصحف المحلية (وذلك بعد مضى حوالى نصف قرن منذ سماع صوتها لأول مرة فى الصحف). مما أعاد تأكيد بشكل رسمى من جديد وضع حد نهائي لاحتجابها وإنعدام شخصيتها.

FOR AUTHOR USE ONLY

والثانية سجلتها فى مذكراتها.. ويبدو أن سيزا نبراوي داهية الحركة النسائية المصرية فهى كانت سكرتيرة هدى شعراوى ثم قفزت من سكرتيرة لمؤسسة فى الاتحاد النسائي وتولت رئاسة تحرير المصرية بالفرنسية وظلت وراء الحركة فى الخلف.. مكتفية بالدور الثانى السنيد واستمر حالها كذلك مع درية شفيق.أما ما سجلته فى مذكراتها:

ففى صيف عام 1923 عندما كان رئيس حزب الوفد سعد زغلول وزوجته صفية زغلول فى طريق عودتهم إلى مصر على نفس الباخرة مع هدي شعراوي، لاحظ رئيس الوفد أن الحجاب كان مرفوعاً عن وجه هدى شعراوي،ولكنه كان يغطى شعرها(طبقاً لما يقضى به الإسلام) فطلب منها أن تساعد زوجته على وضع الحجاب مثلها وكانت صفية زغلول تهم بمغادرة الباخرة فى الاسكندرية دون حجاب عندما رأها رجال الوفد واعترضوا بشدة مصممين على أن الشعب لن يقبل ذلك. وغادرت صفية زغلول وزوجة رئيس الوفد الباخرة بالحجاب بينما غادرت هدي شعراوي رئيسة اللجنة المركزية نساء الوفد الباخرة بدون يشمك على الوجه

FOR AUTHOR USE ONLY

اقول للرجال ولن تعدلوا..ولوحرصتم ؟!
1969-1901

اعتقلت السلطات البريطانية الزعيم سعد زغلول مرتين:
الأولى فى 8 مارس 1919 ونفته مع ثلاثة من رفاقه هم: حمد الباسل ومحمد محمود واسماعيل صدقي إلى مالطة، كان هذا العمل بمثابة الشرارة التى فجرت مستودعاً من البارود. ففى اليوم التالى انفجرت الثورة الشعبية فى كافة أنحاء مصر اشتركت فيها كل طوائف الشعب من مسلمين وأقباط ورجال ونساء وعمال وفلاحين وطلبة وأثرياء وفقراء مما جعلها ثورة فريدة فى تاريخ الأمم والشعوب..

FOR AUTHOR USE ONLY

وبعد الإفراج عن سعد ورفاقه فى 4 إبريل– أى بعد أقل من شهر– لم يعد (سعد) إلى مصر، وإنما أبحر إلى فرنسا ليعرض قضية استقلال مصر على مؤتمر الصلح المنعقد فى فرساى، وعند عودته إلى مصر فى 21 مارس 1921– بعد عامين من اندلا ع الثورة– استقبلته الأمة استقبالاً لم يحدث لفاتح من الفاتيح،فكان توكيلاً جديداً أبلغ من التوكيلات المكتوبة التى

قدمتها الأمة لتفويض (سعد) فى المطالبة باستقلال البلاد ورغم أنه قد صار شيخاً جاوز الستين، إلا أن عزيمته الصلبة وشكيمته القوية لم تدفع به إلى الهدوء والسكون، فاستأنف الجهاد والنضال وكأنه شاب فى الثلاثين وحرك الأمة من أجل التمسك بحقوقها وصارت مصر معه شعلة من الكفاح الوطني،

فكان الاعتقال الثاني فى 21 ديسمبر 1921وفى هذه المرة كان معه ثلاثة من المسلمين هم: مصطفي النحاس، فتح الله بركات وعاطف بركات واثنان من الأقباط هما: مكرم عبيد وسينوت حنا.. وتم نقلهم من السويس إلى مستعمرة (عدن) ومنها إلى جزيرة سيشل بالمحيط الهندي ومنها إلى مستعمرة جبل طارق، ولم يفرج عنهم إلا فى 1923..

وهنا بدأ اتصال السيدة (فهيمة ثابت) (بصفية زغلول) عقب مظاهرة السيدات الأولى فى مارس 1919 وبعد اعتقال (سعد زغلول) ورفاقه سارت المظاهرة النسائية وهى تهتف وتندد بالإنجليز،وسرعان ما تم حصار هذه المظاهرة بمجرد وصولها إلى (بيت الأمة)، وصعد عدد كبير من هؤلاء النساء إلى لقاء (أم المصريين) ثم هبطت إحداهن وهى تخطب فى النساء قائلة: (إن أم المصريين وهى تحيى حضراتكن ترى من اللائق التزام جانب الهدوء والسكينة بعدما سجلته المرأة المصرية بموقفها من الجهاد لإنقاذ وطنها العزيز.) ..بعد ذلك تم تنظيم مظاهرة نسائية ضخمة طافت شوارع القاهرة بالسيارات،وقدمت النساء احتجاجات إلى قناصل الدول ثم عدن

FOR AUTHOR USE ONLY

إلى بيت الأمة، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تلتقى فيها السيدة (فهيمة ثابت)، بأم المصريين!! ثم تمضى (فهيمة ثابت) تقول فى مذكراتها بعد ذلك:(فى صبيحة يوم الاعتقال دق ناقوس الهاتف من منزل إحدى صديقاتى فقالت إن السلطة اعتقلت (سعد) ونقلته فى عربة مقفلة، ولا يعلم إلا الله أين هو الآن؟!) فاستولى علينا الذعر لذلك أسرعنا إلى بيت الأمة، حيث تلتقى جماعتنا لمواساة أم المصريين، التى راحت بدورها تروى للنساء الحوار الذى دار بينها وبين اللورد اللنبى عندما فاجأته بقولها: إنى طلبت إليكم أن تعتقلونى مع قرينى سعد لأتولى السهر على راحته لأنه مريض ويحتاج لعنايتى فلم تقبلوا (!!) ولما علمتم أن الوفد يجتمع فى بيت الأمة أرسلت تصرح لى بالسفر واللحاق به فأعلم إذن أننى أرفض السفر!! وسأقوم مقام سعد وسأقود الحركة الوطنية بنفسي،وسيظل منزلي مفتوحاً إلى آخر نسمة من حياتى، والقوة لها أن تفعل ما تشاء!

FOR AUTHOR USE ONLY

ثم تضيف (فهيمة ثابت): وقادت أم المصريين الحركة الوطنية بإيمان وثقة مدة إقامتها فى مصر، ولما نقلوا الزعيم من (سيشل) إلى (جبل طارق) وهو معتل الصحة أرسل إليها برقية للشخوص إليه (السفر) فلبت نداء الواجب فسافرت إليه فى الحادى العشرين من سبتمبر **1922** وذهبت السيدة (فهيمة ثابت) لحضور الاجتماع المنعقد فى بيت الأمة للاستفسار عن صحة (سعد زغلول) وتضيف (فهيمة) لتصف ما جرى فتقول دنوت منها فسمعت إحدى الزميلات تقول لها : ألم ترد رسالة من الزعيم؟!وكيف كانت صحة معاليه بعد مغادرته (سيشل) إلى (جبل طارق)؟!..فأجابت

(أم المصريين) متأثرة : نعم قد وصلنى منه خطاب يرجونى فيه أن أمضى إلى جبل طارق لأنه مريض. وفى هذا الخطاب يقول كذلك: (إذا سمحت ولم يكن السفر يتعبك فأقدمى إلى الآن لأنى محتاج لعنايتك..) فما أنبل شعورك يا سعد!! وقد أجببت فى الحال بأنى قادمة فى أول باخرة، وصممت على السفر ولو اشتد مرضى لأن الواجب يناديني أن أكون بجانبه أتولى مواساته وأشاطره عبء النفى فى سبيل الوطن، ولكننى أسعر بمسيس الحاجة إلى أن تصحبنى إحدى المواطنات لأنى تعبة مجهدة وأحب أن تكون معى فى رحلتى مصرية مخلصة لتؤنسنى وتسرى عنى ولم يسعدنى الحظ حتى الآن بهذه الأمنية، مما اضطرنى إلى استدعاء ممرضة أجنبية غير أنى رفضت أن تصحبنى هذه الممرضة أيضاً وكان ذلك فى وقت متأخر بعد أن تمت إجراءات استخراج جوازات السفر إذا تبين أنها تريد أن يكون معها فى هذه الرحلة رجل تقول إنه خطيبها!!.. وأنهت (صفية زغلول) حديثها بقولها: والآن تجدينني فى حيرة إذ لم يبق سوى خمسة أيام تبحر بعدها الباخرة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وتقدمت عشرات السيدات تعرض كل منهن السفر معها لكن صفية شكرت لهن هذه العاطفة النبيلة وقالت: أنا لا أحب أن تبتعد سيدة عن قرينها وضميري لا يرتاح إلى ذلك!!

كانت السيدة (فهيمة ثابت) وحسب كلامها تسمع ذلك كله دون أن تبدى ما يدل على شئ، وبعد ان عادت إلى منزلها تحدثت مع أفراد أسرتها

وتبادلوا الرأى والمشورة بعد أن شرحت لهم كل ما دار بالتفصيل، ثم كان اقتراحها بأن تسافر مع أم المصريين وأن لا تدعها تعانى ألم الغربة والوحدة، وكان جواب الأسرة بأنه (ليس لديهم ما يمنعهم من التشجيع على واجب وطنى نحو أم المصريين بل نحو مصر أم الجميع)..

وعلى أثر ذلك أوفدت شقيقتى إلى بيت الأمة لإبلاغ رغبتى فإن صادفت قبولاً أسرعت إلى مقابلة أم المصريين فى غير خجل وقد قالت عصمتها لشقيقتى: (كيف تتمكن من ذلك وماذا تصنع بفراق نجليها فأقنعتها بأنهما فى رعاية عميهما، وخالتيهما فى حياة لا ينقصها من الراحة شئ) فتقبلت أم المصريين ذلك قبولاً حسناً،وعندما علمت الكثيرات من ذوى قرابتها أبدين السرور والارتياح لأن أكون صاحبة الشرف فى مرافقتها من مصر،كان وراء هذا القرار أخت فهيمة ثابت طالبة كلية الحقوق الفرنسية (منيرة ثابت)التى قررت أن تقوم برعاية أولاد أختها باعتبارها خالتهم.وهى التى ذهبت لبيت الأمة وأقنعت صفية زغلول تماماً بقبول أختها،وهددت بأنها ستسافر هى وتقطع دراستها إذا لم تذهب أختها فهيمة مع أم المصريين تحت أى ظروف وانطلقت الباخرة فى طريقها إلى جبل طارق

FOR AUTHOR USE ONLY

وتقول (فهيمة ثابت):(أخذنا نتجاذب أطراف الحديث،وانتبهنا على قدوم سيدة تمد يدها لمصافحة (أم المصريين) على غير تعارف سابق سوى أنها سمعت بالشئ الكثير عن مكانتها،فرحبت بها وأجلستهابجانبها وأكرمتها ثم دعت السيدة قرينها وقدمته إلى أم المصريين وهو وزير الأفغان المفوض بدمشق فى طريقه إلى منصبه الجديد،وقالت إنه يكن لمصر أنبل العواطف

ويعلم الله نحن فى بلادنا وقلوبنا معكم) ثم أقبل أحد السوريين وأدى التحية كذلك وقال: (بلادنا تحييكم وتدعو لكم بالنصر وترجو لكن عوداً سعيداً مع زعيم مصر) باختصار شديد جاء العشرات يحيون ويصافحون أم المصريين مما دعا (فهيمة ثابت) المرافقة لها إلى القول: (استبشرت خيراً مع أنى كنت ذاهبة فى هذا السفر معتزمة أن أمضى بقية حياتى فى المنفى، وقلت لأم المصريين: إن الله سيكرمنا وسنذهب إلى جبل طارق لنرجع بصحبة الزعيم الجليل ..فقالت: إن شاء الله...وبعد سبع ليال وصلت الباخرة إلى جبل طارق..

وتكمل (فهيمة ثابت) قائلة: (قيل لنا إن الباشا ينتظرنا فى حجرة مرتفعة داخل المرفأ تشرف على البحر ثم صعدنا فرأينا الباشا واقفاً فى وسط الحجرة وهو يقول: (أهلاً أهلاً، كنت أحب مقابلتكم على الشاطئ لولا أنهم يمنعونني بلطف،وقد أجلسونى هنا فى انتظاركم حيث أرانى الله وجوهكم جميعاً بخير والحمد لله على سلامتكم) ..كان سعد زغلول تبدو عليه آثار التعب والمرض وبعد الاستراحة قليلاً نهضنا ومضينا ثلاثتنا إلى المنزل فى عربة الحاكم، وزعيمنا يقص علينا بعضاً من أخباره ثم ألتفت إلى وقال: لماذا أنت صامتة يا ابنتى؟! ألا تقصين علينا شيئاً من أنباء مصر المحبوبة؟!.. فقلت (أى فهيمة ثابت): إننى فضلت الإصغاء إلى معاليكم،أما مصر والأمة المصرية جميعاً فهى تقدم عظيم إخلاصها وثقتها لرئيسها وزعيمها المضحى بحريته فى سبيلها!

FOR AUTHOR USE ONLY

فقال لى: أنت يا ابنتى تحسنين الحديث بعقل وروية – هل سبق أنى عرفتك فى مصر؟! وهل تذكرين أنى أعرف أحداً من أسرتك؟!

قلت: نعم إنك تعرف والدى فهو صديقك (حسين ثابت) بك وكيل محكمة الزقازيق سابقاً وربما تتذكر معاليك يوم العودة من فرنسا حين اشتركت فى تحيتكم مع وفد السيدات!! فقالت أم المصريين: هى من السيدات العاملات فى السياسة منذ البدء فى الحركة الوطنية ومن المؤسسات لجمعية المرأة الجديدة!..وابتداء من يوم الاثنين أول يناير سنة 1923 تبدأ (فهمة ثابت) فى كتابة مذكراتها يوماً بيوم وحتى أول أبريل 1923.اليوميات جاءت بمثابة تسجيل دقيق وأمين ومثير لحياة سعد وصفية فى المنفى ومتابعتهما لما يحدث فى مصر من أحداث سياسية وتطورات هامة، لكن هناك أيضاً عشرات القصص والحكايات والمواقف الإنسانية!..

FOR AUTHOR USE ONLY

فى يوميات الأربعاء 3 يناير تقول (فهيمة ثابت):ذهبنا إلى النزهة المعتادة وكنا نتمشى ثلاثتنا، سرنا فى صمت قطعه علينا غناء صبى صغير تبدو عليه المسحة الإنجليزية وهو يردد الأغنية المصرية المعروفة (يا عزيز عينى أنا بدى أروح بلدي) فلفت سمعنا الباشا قائلاً: انصتوا إلى هذه الأغنية.ثم مر الصبى بجانب الباشا وهو يمتطى صهوة جواده ووالده بجانبه يسير مبتسماً أما الصغير فقد غنى المقطوعة ورددها وهو يضحك ناظراً للباشا ثم رفع يمينه بالسلام المصرى وكذا أومأ والده برأسه فتفاءلت أم المصريين بذلك.

وفى يوميات الخميس 4 يناير تقول (فهيمة ثابت):ذهبنا إلى الرياضى المعتادة وهناك تحدثنا فى السياسة قليلاً وانتقلنا إلى العلم والقرآن فقلت:

لو كنت من الأغنياء لأنشأت جامعة للفتيات ومعهداً للسيدات أدربهن على الفروسية وحمل السلاح والألعاب الرياضية والعلم من فقه وأدب وهندسة.. فقال سعد: إن علي شعراوي بنفسه لم يتحمل ذلك من هدي زوجته دعت لإنشاء نادى خاص للنساء للرياضة والسباحة.

وتمضى باقى السطور فى رواية أحاديث سياسية تتعلق بالأوضاع فى مصر وفى يوميات 5 و6 و7 يناير تقول:(لم تتم رياضتنا إلى نهايتها إذا هبت الرياح فجأة وأنذرت بالعاصفة، فعدنا مسرعين وجلسنا طيلة النهار ندرس ونكتب ولم نتكلم إلا قليلاً عند الظهيرة فأنشد الرئيس بيتاً من الشعر ثم قال" البر شئ هين..وجه طليق وكلام لين" وكان معاليه قد ذكرها فى مناسبة حسن معاملتها للناس وبعد الظهر مضينا إلى السوق وقد أحضرت (أم المصريين) أشغالاً يدوية لتعمل وسائد وبعض الأشياء الصغيرة وفى آخر اليوم كنا متعبين فنمنا فى أوائل المساء..وفى السادس من يناير وأصلنا دراستنا وأسمعتنى أم المصريين ماحفظت من القرآن كما أسمعتها بعض المقطوعات الفرنسية وبعض جمل من تاريخ الأدب!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وخلال هذه الرحلة عرف سعد زغلول وحرمه كل شئ عن فهيمة ثابت وأسرتها. وما قدموه له وللحركة الوطنية. وتردد بالطبع اسم أختها (منيرة) الثائرة الهادرة. طالبة الحقوق التى تريد أن تهب نفسها لقضية بلادها كمصطفي كامل،وعرف أن والدها كان معه يتلقى العلم من الشيخ محمد عبده وكيف وقف معه موقف الرجل أثناء ثورة عرابي حينما أعتقل سعد زغلول وكان حسين ثابت نائباً عن الحكومة فى المرافعة فلم يتهمه بشئ

وترافع بطريقة كانت نتيجتها فى صالح سعد زغلول.وقد رأت صفية زغلول فى الفتاتين"منيرة،وفهيمة" ما كانت تتمناه وتحلم به ولم تستطيع تحقيقه.وشعرت أنهما (ابنتاها) التى تمنت أن تنجبهما ولكن القدر لم يمنحها نعمة الأمومة!!

كانت (فهيمة) نعمة الوصيفة لها ولسعد زغلول فى المنفى. وكانت خطابات (منيرة لها) تثلج قلبها وهى تستهل رسائلها بعبارة: أبى سعد زغلول أمى وأم المصريين صفية هانم.. وأخيراً أختى وشقيقتى الحبيبة فهيمة. ولذا فإنه كان سهلاً ومتوقعاً بعد أن استقالت السيدة: (هدى شعراوي) من رئاسة لجنة الوفد المركزية للسيدات التى تولت رئاستها السيدة (شريفة رياض) سكرتيرة اللجنة بعدها ولقد اتسمت بالطابع الهادئ فى العمل.بل لعلنا نقول أن نشاطها تركز فى إعلان تأييدها للوفد فى مواقفه السياسية دون أى نشاط آخر حتى فى المجال الاجتماعى ولم تلبث أن ماتت اللجنة بموت سعد زغلول وانضمت باقى عضواتها سواء فى أثناء وجود سعد زغلول أو بعد وفاته للعمل فى الاتحاد النسائى الذى رأسته هدى شعراوى.فلقد شعر الوفد أنه فى حاجة إلى شخصية نشطة لتتولى الدفاع عن مواقفه فى المجال النسائي فتم اختيار السيدة (منيرة ثابت) لتؤلف جمعية الأمل ومجلة تحمل نفس الاسم وسارت على نهجه. وكانت مجلة الأمل اسبوعية سياسية أدبية اجتماعية من أجل الدفاع عن حقوق المرأة واستهلت عددها الأول بأبيات من الشعر الطريف قالت فيه:

أمل ألقيه فى الوادي الخصيب وبذور فى ثراه لا تخيب

FOR AUTHOR USE ONLY

ها أنا اليوم أنمى غرسه وليبارك فيه علام الغيوب

وقالت منيرة:إن مبادئ الأمل مستمدة من مبادئ الوفد. ففى المجال السياسى يتم حل القضية الوطنية من خلال مفاوضات مباشرة مع الإنجليز وإتباع المنهج السلمى المشروع لتحقيق ذلك. أما فى المجال النسائى فقد نادت بالسعى لترقية التعليم الابتدائى للبنات وتوسيع نطاق تعليمهن الثانوى واشتراكهن فى التعليم العالى كالبنين سواء بسواء والسعى لتحرير المرأة المصرية من قيود جميع العادات والتقاليد على اختلاف أنواعها والسعى لنشر السفور المحتشم وتعضيده بشتى الوسائل والسعى لتقرير تمتع المرأة باستقلالها الشخصى. ولقد اتسمت (منيرة ثابت) بالثورية والجرأة فى مطالبها النسائية أو السياسية حتى أن أختها (فهيمة)[7]رغم أن المجال كان أمامها فى الوفد. فضلت الاستمرار مع (هدي شعراوي) فى جمعيتها المرأة الجديدة.بعد ما نادت أختها بثورة على التقاليد أساسها تغيير قانون الميراث بمعنى أن تتساوى المرأة والرجل فى قيمة ما يحصلان عليه من الميراث ثم طالبت بمنع تعدد الزوجات وأن يكون ذلك فى أضيق نطاق وبرضاء الزوجة الأولى.

FOR AUTHOR USE ONLY

(7) أصدرت فهيمة ثابت كتاباً عن رحلاتها مع الزعيم وأم المصريين بعنوان (الزعيم الخالد وأم المصريين فى منفى جبل طارق) وقد أطلعت على نسخة صادرة من مطبعة الشمس الحديثة بالقاهرة 1948.

وظهرت حنكة منيرة ثابت القانونية حينما أخرجت وزارة (زيور باشا) وتقول د. آمال السبكى فى كتابها السابق الإشارة إليه: (كان باكور عمل (الأمل) هو الانتقاد الصارخ لقانون الجمعيات السرية) الذى أصدرته وزارة (زيور باشا) إذ لامت فيه الحكومة على إصداره بل وشككت فى صحة هذا القانون على اعتبار أنه لم يصدر من الهيئة التشريعية. ولم تتوخ فيه مبدأ الفصل بين السلطات فلا يخول مجلس الوزراء سلطة قضائية فالقانون ليس إذن إلا إجراء استبدادياً أرادت الوزارة أن تتحكم به فى وجود الأحزاب السياسية، – ولكن يظهر أن هذا القانون قد ألهم الأحزاب والهيئات المصرية بمجرد صدوره فكرة الإضراب السلبى عن تنفيذه وعدم الرضوخ له كما جاء فى قرار الحزب الوطني،– ولا شك أن هذا الإجماع خليق أن يشل القانون، وقد اختلفت الآراء فى تقرير علاقة الإنجليز بهذا القانون إذ أن الوزارة لا تجرؤ على إصدار قانون كهذا بغير أن نستوثق من تأييدهم.. وانتهت إلى التأكيد بأن قانوناً كهذا يدفع إلى تأليف الجمعيات السرية. ولقد شككت المجلة التى ترأسها (منيرة هانم) فى وطنية وزارة زيور ورأت أنها حليفة للإنجليز وأنها أداة لها ضد مصالح الشعب،ولامتها على هذا الموقف غير الوطني.وكفى أن هذا القانون منح مجلس الوزراء سلطة قضائية يتحكم بها فى كيان خصومة السياسين.

وقد كانت (منيرة ثابت) سابقة لعصرها وعلى جانب كبير من الوعى والنضج والثقافة العالية ولكنها لم تكن تتلقى الثقافة من ينابيعها الشرقية واعتمدت على ما تقرأ عن فرنسا وما أحدثته الصالونات الأرستقراطية

FOR AUTHOR USE ONLY

فيهاولذا فلم تعلن السفور الذى لا يتنافى مع الدين كهدي شعراوي وإنما غالت ومالت إلى تقليد الغرب فخلعت الحجاب وظهر منها شعرها وصدرها ومالت إلى الملابس الأوربية.وفتحت النيران على الحجاب بمعناه الشرعى واعتبرته عادة رزيلة.ويكشف سكرتير (سعد زغلول) عن جوانب أخرى فى حكاية (منيرة ثابت) فيقول:(جاءت الأنسة منيرة ثابت إلى بيت الأمة تسبقها هاتان الثورتان: دخول السيدات زائرات إلى مجلس البرلمان، والمطالبة بالمساواة بين الجنسين، فاحتلت مكاناً مرموقاً لدى (سعد) وأم المصريين.. وظلت وثيقة الصلة بهما.وأذكر أنها كانت دائبة قبل مجيئها إلى بيت الأمة على إرسال الكتب إلى الرئيس فى شتى شئون المرأة، سياسية أو اجتماعية، وكنت بحكم وظيفتى أطلع على رسائلها،وأبلغها ردود الرئيس عنها ردوداً مملوءة بالعطف والتشجيع، ورحب بها (سعد) و(أم المصريين)وعرفها أنها صاحبة الرسائل الثائرة التى كانت تمطر بها بيت الأمة من الاسكندرية حيث كانت تتعلم، أو من ريفها فى إحدى قرى مديرية (محافظة) البحيرة.وقد ساهمت الأنسة (منيرة ثابت) فى الخدمة العامة، وشرعت تجاهد بالدعاية للزعيم ولحركته، تكتب المقالات فى الصحف، وتذيع المنشورات، وتقوم بقسط وافر من الجهود أحرى أن تقوم به لجنة كاملة. ولقد أصابنى فى تلك الفترة من مشاغباتها التى كانت طابعها فيما تكتب، وابل من العتاب والحساب فكانت تلصق بى تهمة كل تصرف لا يعجبها صدوره من اللجان النسائية الوفدية، وكانت تلقى على مسئولية الأخطاء اللغوية والأسلوبية، بل الأخطاء الموضوعية التى كانت تبدو لها فى

FOR AUTHOR USE ONLY

محررات تلك اللجان، لأنى أقوم بتوزيع هذه المحررات على الصحف.وكنت أقبل هذا العنف منها لأنى أعرف أنها ثائرة تحت كنف سعد؟

وذات يوم قرأت (صفية زغلول) فى صحيفة الأهرام مقالاً نارياً لمنيرة ثابت،وبعد فراغها من قراءته طلبت من زوجها (سعد زغلول) أن يقرأه لأهمية ومنطق ما جاء فيه!! ففى هذا المقال المنشور يوم 3 مارس سنة 1924 قالت منيرة ثابت تخاطب رئيس الوزراء سعد زغلول قائلة: (قرأت أن الحكومة تنوى أن تقيم حفلة شائقة لافتتاح البرلمان المصرى الجديد،وقد بت أتحرق شوقاً لحضور هذه الحفلة فتساءلت مراراً: ألا يكون للسيدات المصريات مقاعد فى هذه الحفلة؟! إنى لأوجه اليوم هذا السؤال علناً إلى صاحب الدولة رئيس الوزارة السفوري الجليل (تقصد الذى يساند سفور المرأة) إنه حقاً لمن الغبن الفاحش أن تحرم مندوبات الجنس اللطيف من الاشتراك فى الاحتفال بافتتاح البرلمان المصرى.لقد كان للمرأة المصرية نصيب فى الجهاد لا يقل عن نصيب الرجل، فمن حقها أن تشترك معه فى حفلة افتتاح المجلس النيابى الذى هو ثمرة ذلك الجهاد المشترك.)

وراقت الفكرة لـ سعد زغلول وقرر تنفيذها على الفور!!

وتقول د. آمال السبكى: وكان من أهم مطالب (منيرة ثابت) تخصيص رفات للمرأة فى مجلس النواب ولقد أيدها سعد زغلول فى دعوتها هذه وقالت عنه ذلك: (لست أذكرهناأنى كنت الصحيفة المصرية الوحيدة التى اقتحمت شرفة الصحفيين فى مجلس النواب وإنما يسجل (الأمل) فقط أن صاحبته هى التى أوجدت فكرة تخصيص مكان للسيدات مع الزائرين فى

FOR AUTHOR USE ONLY

البرلمان عندما أفتتح سنة 1924،" وأهملت السكرتارية أمر السيدات"وأن دولة زغلول باشا ليشهد بما كان إذا داك لصاحبه الأمل من موقف لأن دولته هو وحده الذى آزرها بالتشجيع وأجاب مطالبهاونفذ فكرتها.وحسب ماتقول د.آمال كامل بيومي السبكي. فى كتابها (الحركة النسائية فى مصر):(اكتسبت مجلة الأمل عداء شديداً من مناوئي الوفد ومن مناهضى تحرير المرأة سواء بسواء. ولعل أعظم تهمة يمكن أن تتهم امرأة بها فى تلك الفترة هى تهمة الإلحاد والكفر، وذلك عندما قدم الشيخ أبو الفضل الجيزاوي أحد شيوخ الأزهر بلاغاً إلى النيابة يتهم فيه صاحبة (الأمل) بالإلحاد والكفر.. والخروج على الدين بالمبادئ التى تنادى بها منذ ظهرت فى الحياة العامة.

إلا أن (منير ثابت) كانت من المهارة والوعى بحيث فضحت هذا الاتهام وأبانت الغرض من هذا الاتهام، لا غيرة على الدين كما يبدو ظاهراً وإنما هو بسبب ما نشرته (الأمل) بمناسبة بحث ميزانية الدولة فى بعض المخصصات،ومنها مخصصات فضيلته فهل مناقشاتنا هذه المخصصات كانت منا إلحاداً وخروجاً على الدين.

وما أكثر المرات التى سمعت فيها (منيرة ثابت) سعد زغلول وهو يقول:(لو كان عدد المتعلمات من نساء مصر أكثر لكان الفضل أعظم وكانت الفائدة أكثر، إذ أنه يستحيل على شعب أن يتقدم فى هذه الحياة من غير تقدم المرأة، وتعلمها، فهى التى يقوم عليها أساس التربية الصحيحة وغرس

COPYRIGHT FOR USE ONLY

الملكات الفاضلة فى قلوب الأطفال)..لقد شجعت مجلة (الأمل) ومنيرة ثابت تعليم المرأة للسبب السابق ولاعتقادها أن النهضة المصرية لن تستطيع المساهمة فيها إلا المرأة المتعلمة..وكان من الطبيعى أن نقف (منيرة ثابت) بكل قوة وحزم وشراسة فى وجه من يقف ضد تعليم المرأة!!

(ولم يكن غريباً أو باعثاً على الدهشة أن تتصدى (منيرة ثابت) بكل قوة لمشروع غريب كان يتبناه رئيس الحكومة (زيور باشا) خاص بتعليم الأسر الأرستقراطية!!) كان (زيور) باشا قد اقترح إنشاء مدرسة خصيصاً لبنات الأسر الأرستقراطية يتعلمن فيها فنون المنزل وبعض العلوم والمعارف العامة على أن يتكلف إنشاء هذه المدرسة حوالى إثنى عشر ألف جنيه (بأسعار 1926) من أجل ثلاثين فتاة يساهمن بمصروفاتهن التى لا تزيد على ستمائة جنيه، وتتكفل الحكومة بسداد باقى التكلفة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وثارت وهاجت (منيرة ثابت) هذا المشروع وتلقت مجلة الأمل عشرات الاحتجاجات وخاصة من المثقفات على هذه الفكرة.. وبادرت (منيرة ثابت) بإرسال احتجاج شديد اللهجة إلى وزارة المعارف تعرب فيه عن أسفها الشديد لإدعاء الحكومة بعدم توفير المال اللازم للإنفاق منه على إنشاء مدارس لبنات الأسر المتوسطة والفقيرة، وهن كثيرات، فى نفس الوقت الذى يتدفق فيه مال الحكومة للإنفاق على مدرسة من أجل عدة فتيات من بنات الأسر الأرستقراطية القادرات على إنشاء ما يردن من مدارس، أما الفقيرات فمسئولية تعليمهن تقع على كاهل الحكومة. ولم يكن سعد زغلول وحده فرحاً ومعجباً بمنيرة ثابت، بل شاركه وقاسمه هذا

الفرح والإعجاب (صفية زغلول) نفسها!!واعتقد القراء أن منيرة ثابت هذه اسم مستعار لرجل،فغير معقول أن تكتب امرأة بهذا الأسلوب العنيف، فهى لا تلوح بأغصان الزهور وإنما تلقى على الحكومة الطوب وتطلق على الوزراء الرصاص، وتحارب ولا تسالم، وتهاجم ولا تتوقف!!
وتضاعفت دهشتهم عندما اكتشفوا أن (منيرة ثابت) هذه امرأة حقيقية من لحم ودم،وفوق ذلك آنسة جميلة، رشيقة القد، ساحرة العينين، فاحمة الشعر خفيفة الدم،إذا جلست فى مجلس سيطرت عليه بحماسها وجاذبيتها وقوة شخصيتها، وكانت مقالاتها تشبهها، أو كانت هى التى تشبه مقالاتها.وكان رؤساء التحرير فى تلك الأيام– بحسب مصطفي أمين– يجدون مشقة فى أن يضعوا (فرامل)لاندفاعها أو يخففوا من عنف لهجتها،أويشطبوا العبارات التى تؤدى بهم إلى محكمة الجنايات وكأنها تحرص فى كل مقال أن ينطبق عليه قانون العقوبات!! وعلى الرغم من محاولات الشطب والحذف وسكب بعض الماء على الكلمات الملتهبة كانت تخرج مقالاتها جمرة من نار تحتاج إلى استدعاء فرقة المطافى!!

فلا يمكن أن تكون هذه الجرأة لامرأة. إنها شيطانة لقد تطرقت إلى مساوئ الزواج من الأجنبيات (فرأت أن الأجنبية ليس لديها أية انتماءات قومية أو ثقافية لمصر. كما أن تشجيع هذا النوع من الزواج يؤدى إلى القضاء على مصير عدد من الفتيات المصريات ولاسيما المسلمات لأن الدين يحرم على المسلمة الزواج بغير المسلم بعكس الرجل.ثم إن فيه مساساً بالقومية المصرية لوجود جيل مختلط من جنسيات عديدة بعد مدة

FOR AUTHOR USE ONLY

قصيرة من الزمن، كما أن الأجنبية ترى اختلافاً جوهرياً فى نمط الحياة الاجتماعية فى مصر عنه فى الخارج يؤدى فى حالات كثيرة إلى الطلاق.)
وحاربت تعدد الزوجات تلك الصفة الممقوتة التى تسئ إلى الزوجة وتخل بالاقتصاد العائلى. ثم هى فوق كل هذا تنشئ البغضاء بين أولاد الأسرة الواحدة فتنوع الأولاد من أكثر من زوجة واحدة ينشئ الكراهية والمنافسة بين الأطفال للفوز بقلب أبيهم.هذا وقد استمرت (الأمل) سنوات طويلة تدعوا إلى التخلص من تعدد الزوجات خاصة وأن عدداً كبيراً من الأسر المصرية ذات المركز المرموق يعانون حياة مدمرة بسبب هذا المبدأ. ثم أنه من العيب أن يترك شيخ متصاب يعبث بمستقبل أبنائه مع وفرة عددهم حباً منه فى الشراهة والأنانية وتطالب بقانون يبطل تعدد الزوجات ويحكم الاحتفاظ بواحدة دفعاً للجريمة وما يترتب عليها من النتائج السيئة التى تشاهد من وقت لآخر بسبب إهمال فريق والعناية بفريق دون الآخر.

FOR AUTHOR USE ONLY

كذلك دعت مجلتها (الأمل) إلى استقلال الأسرة الجديدة عن أهلها إذ أن وجود أهل الزوج بمنزل الزوجية من أسباب الشقاء الأسرى لكثره تدخلهم فى الخلافات التى تقع بين الزوج وزوجته مما يؤدى إلى زيادة الهاوية بين الطرفين المتنازعين مما يدفع الزوج أحياناً للاقتران بأخرى جديدة يكون لديها الهدوء اللازم فتتكرر مأساة التعدد.

وفى سنة **1924** جرت أول انتخابات حرة للبرلمان وحصل الزعيم سعد زغلول على الأغلبية الساحقة وألف أول وزارة شعبية!وذهبت منيرة ثابت

إلى رئيس الوزراء سعد زغلول تحتج عليه لأن وزارته لا تمثل الشعب ودهش سعد زغلول وسألها: لماذا؟ إن وزارتى أول وزارة فى مصر يدخلها الأفندية!..قالت منيرة ثابت: لأنه ليس فيها امرأة وزيرة!..قال لها سعد زغلول ضاحكاً: جميع الوزراء متزوجون وكل وزير منهم ينوب عن زوجته!
ولم تضحك منيرة ثابت من سخرية الزعيم، ومضت فى حماسها مطالبة بمنح المرأة المصرية حق الانتخاب بحجة أنها اشتركت فى ثورة 1919 جنباً إلى جنب مع الرجال، وسقطت نساء شهيدات برصاص الإنجليز.
وقال لها الزعيم سعد زغلول: أعدك عندما يخرج آخر جندي إنجليزى من مصر أن أعطى المرأة المصرية حق الانتخاب.

قالت منيرة ثابت: نريد حق الانتخاب للمرأة فوراً!
قال سعد: أخشى إذا أثرنا حكاية منح المرأة حق الانتخابا الآن أن يحدث انقسام فى الأمة، فلا تزال نسبة كبيرة من السكان لا توافق على اشتراك النساء فى السياسة، ولا أريد انقساماً فى الأمة أثناء المعركة مع الإنجليز، وعندما يخرج آخر جندي أجنبى من مصر أعدك بأن أنضوى تحت زعامتك وأطالب للمرأة المصرية بحق الانتخاب!

وشاءت الأقدار أن تتحقق نبوءة سعد زغلول، فبعد 32 عاماً فقط– فى سنة 1956خرج الإنجليز من مصر ودخلت راوية عطية وأمينة شكري للبرلمان لأول مرة بعد أن حصلت المرأة المصرية على حق الاتنتخاب.
ولكن منيرة ثابت رفضت أن تنتظر خروج الإنجليز من مصر، فوجئ سعد

FOR AUTHOR USE ONLY

زغلول بعد ذلك بوفد من طالبات مدرسة الحقوق الفرنسية فى القاهرة، وتقدمت منيرة إلى سعد زغلول وقالت له: إن نساء الأمة لم يقتنعن برأى زعيم الأمة بتأجيل منح المرأة حقوقها إلى أن يخرج الإنجليز.

قال سعد: أنالم أعاد حق المرأة وإنما طلبت التأجيل إلى أن يتم جلاء الإنجليز لأن التقاليد لا تسمح بدخول المرأة البرلمان الأن.

وانبرت منيرة ثابت بطول لسانها تقول:التقاليد منعت الأفندية أن يصبحوا وزراء وأنت عينت واصف أفندى غالى وزير الخارجية ونجيب الغرابلي أفندي وزيراً للعدل والدكتور أحمد ماهر أفندي وزيراً للمعارف وعلى الشمسى أفندي وزيراً للمالية، إنك رئيس وزارة ثورة وواجبك أن تمنح المرأة حق الانتخاب وتسمح لها بدخول البرلمان.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفجأة حدثت مصيبة وكارثة هزت (بيت الأمة)!!لم تصدق (أم المصريين) حرفاً واحداً مما كتبته صحف الحكومة عن (منيرة ثابت) التى كانت تعتبرها بمثابة ابنة لها!!كان بطل الكارثة كاتب الوفد الأول الصحفى الكبير (عبد القادر حمزة)!!لم تصدق (صفية زغلول) و(سعد زغلول) ما نشرته صحف الحكومة، ومؤداه أن (عبد القادر حمزة) صاحب جريدة البلاغ الوفدية يعشق منيرة ثابت صاحبة مجلة الأمل!! وأن الصحفية الشابة التى تصغره بحوالى عشرين عاماً تبادله هذا الحب!!.. واعتقد (سعد زغلول) أنه هو المسئول شخصياً عن هذه الكارثة التى فضحتها صحافة الحكومة لتدمير سمعته وسمعة الوفد!!كان سعد زغلول هو الذى أشار بتكوين شركة مساهمة لجريدة (لسبوار) الفرنسية يقوم بالإشراف عليها بعض أعضاء الوفد،

واختار الوفد الأستاذ (عبد القادر حمزة) صاحب جريدة البلاغ ليكون العضو المنتدب لإدارة الجريدة فى مجلس الإدارة!!وهنا بالضبط، وابتداء من تلك اللحظة بدأت حكاية (عبد القادر حمزة) و(منيرة ثابت)!تفاصيل حكاية الحب الملتهب والغرام المشبوب يرويها(مصطفي أمين)فيقول: كانت منيرة تطبع مجلتها الأسبوعية وجريدتها اليومية فى مطبعة (البلاغ) وهى جريدة الوفد الأولى فى تلك الأيام، وكانت (منيرة) تلتقى يومياً فى دار البلاغ (بعبد القادر حمزة باشا) الصحفى الأول فى مصر بشهادة (سعد زغلول) ولسانه الرسمي!!

وأعجب (عبد القادر حمزة) بشجاعة الكاتبة الثائرة وبحماسها وصمودها، وتطور الإعجاب إلى حب!!

ووجدت منيرة فى (عبد القادر حمزة باشا فتى أحلامها)!!

آنسة جميلة، رشيقة القد، ساحرة العينين، فاحمة الشعر، خفيفة الدم، إذا جلست سيطرة على الجلسة بحماسها وقوة شخصيتها، كيف تتلاقى مع عجوز متزوج له كرش صغير،يلبس نظارات طبية سميكة أبيض الشعر جليل لا يبتسم، لا يحب الاجتماعات ويقابل الصحفيين واحداً واحداً على انفراد.قوى الشخصية نعم ولكن شخصيته ليست طاغية كيف يلتقى الربيع بالخريف– الثورة بالسكون.كان كل منهما يكتب مقالات تشبهه هى تنهى مقالاتها ولا تعيد الإطلاع عليها،تنقلها من فورة قلمها إلى نار المطبعة.وهو يتأنى فى اختيار اللفظ والمراجعة والشطب ويرسلها لمصحح

FOR AUTHOR USE ONLY

اللغة العربية ويظل متردداً حتى اللحظة الأخيرة للمطبعة.ولكنه الحب وأحوال كيوبيد الغريبة.

وقرأ الزعيم سعد زغلول محاولة تلويث الأقلام التى تحارب معه فاستدعى عبد القادر حمزة وسأله: هل صحيح أنك تحب الآنسة منيرة ثابت؟ واعترف عبد القادر بهذا الغرام الجارف.وقال سعد: إما أن تتزوجها.. وإما أن تتركها! أنا لا أتدخل فى حياة أنصارى الشخصية، ولكنك أنت ابنى ومنيرة ابنتى ولا أريد أن يستمر هذا الوضع يوماً واحداً..ورضخ عبد القادر حمزة لرغبة الزعيم وتزوج منيرة ثابت.

ولكن منيرة طلبت من زوجها أن يطلق زوجته الأولى لأنها بحكم مبادئها ضد تعدد الزوجات، فكيف تقبل هى (ضرة) وهى زعيمة المطالبات بمنع تعدد الزوجات! ورفض عبد القادر حمزة أن يطلق زوجته الأولى التى شاركته كفاحه وأم أولاده وبناته. وبدأ النزاع من اليوم الأول، واحتكما إلى سعد زغلول فحكم بأن يحتفظ عبد القادر حمزة بأم أولاده..وخضعت منيرة ثابت لأمر الزعيم وتنازلت عن مبدئها بعدم تعدد الزوجات!

قال لها سعد زغلول: إذا لم يعجبك أن تكونى الثانية فأتركيه للأولى هى أسبق وأكثر حاجة له.

قالت له: ولكن يا سعد باشا أن معه بحس بالتمام وهو بغيرى يحس بالنقص.

FOR AUTHOR USE ONLY

قال سعد: معك يكتمل اكتماله؟ وماذا عن أسرته وأولاده أهم صفر على الشمال؟!

قالت: لكنى لا أطيق ذلك.

قال سعد: أنت تحتاجين لإعادة النظر فى قضية (تعدد الزوجات).

العبرة يا ابنتى فى التطبيق.

قالت منيرة: ولكنك لم تتزوج رغم حاجتك للذرية والأولاد؟!

قال سعد: أهذا مبرر ليترك عبد القادر زيته وأولاده؟!

قالت منيرة: أخاف إذا رضيت أن يتكرر الأمر!!

وقال سعد: أنت التى بدأتى العد، وعليك النتائج!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ثم حسم عبد القادر حمزة الحوار: أنا لم أخدعك ومستعد للزواج فوراً، وكنت تعلمين بأنى زوج ولى أولاد.ثم أننى لم أخرج عن الشرع ؟

وعاد عبد القادر حمزة باشا يشترط على زوجته الكاتبة الثائرة أن تطلق الصحافة،وتغلق مجلة الأمل الأسبوعية،وتوقف جريدة لاسبوار اليومية وتعيش زوجة فى البيت. زوجة فقط لا تزور ولا تزار، ولا تكتب مقالات ولا تشترك فى أى عمل سياسى..وثارت الكاتبة الثائرة، ثم أخضعها الحب، واستسلمت بلا قيد ولا شرط وأغلق الحب مجلة الأمل وجريدة (لسبوار) وأطفأ ثورتها العارمة وأصبحت (ست بيت)!.. وبعد سنوات قليلة أنطفأ الحب الكبير، كان جمال منيرة ثابت فى نظر عبد القادر حمزة هو الهالة التى كانت تحيط بها، الكاتبة الثائرة، الزعية الجريئة، الصحفية الشجاعة صاحبة الجرائد الواسعة انتشار، فلما جردها من هذه الأضواء الساطعة أصبحت

منيرة زوجة عادية، هنا انطفأ بريقها، وهدأت ضوضاؤها، واختفى سحرها وقد كانت كل هذه الصفات تصنع صورة الأسطورة فلما تخلت عنها أصبحت الزوجة الثانية– بل والضرة بكل المساوئ التى سبق وأن عددتها فى جريدة (الأمل)!! وهاجمت جمعية أمهات المستقبل (الشابات المصريات) المعادية للوفد والتى أيدت صدقي باشا وقالت (تفيدة علام) فى مجلة الجمعية والتى اسمها (أمهات المستقبل):إن هدي شعراوي ومنيرة ثابت يبحثا عن الشهرة فى كافة أنشطتهما..واعتبرت إنشغالهما بالسياسة عبثاً لا داعى منه.وقالت جمعية أمهات المستقبل (الشابات المصريات):الثائرة الصغيرة منيرة ثابت فعلت كل هذا من أجل الحصول على رجل؟! لقد عبثت فى العقول بدعوى التقدم وسقطتى لأقصى درجة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وأحست منيرة ثابت أنها فقدت بريقها عند زوجها وعند الناس..بدأت تشعر مع زوجها بفارق السن وبدأ الشقاق بين الكاتب المتأنى والكاتبة الندفعة.. ويكمل الأستاذ مصطفي أمين قصتها فى كتابه (أحوال شخصية) ومقالاته (أشخاص لا تنسى) فيقول: وأذكر أنها أرسلت لى فى **14** أبريل سنة **1949** خطاباً تقول فيه: (كان يبدو لى فى الماضى– وكم كان هذا يؤلمنى– أنكم تحاربون قضيتى الكبرى المقدسة، التى حملت أعبائها وحدى– ودون كلل خلال خمس قرن، كما لو كنت جئت إلى هذه الحياة وعشت من أجلها، وهى كما تعلمون قضية حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، فكم يسرنى اليوم أن أراكم تخصون قضيتى هذه بعنايتكم،وتخرجون بها من النطاق الصحفى إلى الميدان الرسمى– البرلمان–والمحدد طبعاً بسؤال

واستجواب ثم انتقال إلى جدول الأعمال،فتسألون الحكومة فى البرلمان عن هذه الحقوق المسلوبة، حقوقنا فى الحياة نحن النساء!) أجل، إنكم اليوم تسألون الوزارة أن توضح موقفها من ذلك الكتاب الذى صفعتنا به هيئة الأمم المتحدة، إذ تطالب حكومتنا وهى تعرك أذنها! بضرورة تحقيق المساواة السياسية والاجتماعية فى مصر بين الرجل والمرأة.فكم أنا سعيدة بهذا الإجراء الجديد من نوعه الذى تتخذونه الآن فى البرلمان دفاعاً عن قضيتى المزمنة.إنكم فى غير حاجة لأن تتلقوا شكرى واعترافى بالجميل، إنكم تدركون أن من واجب شباب رجالنا النابه المثقف،الذى أودعت فيه مصر كل رجاء وأمل، أن يبادر بمعونتنا نحن النساء فى الدفاع عن قضيتنا وختمت منيرة خطابها بأنها سوف تنتظر حتى شهر ديسمبر فإذا لم يوافق البرلمان على سؤالى فإنها سترفع قضية على مجلس الوزراء تتهمه بمخالفة ميثاق الأمم المتحدة!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكن البرلمان لم يوافق على المساواة بين الرجال والنساء، والقضاء رفض قضية منيرة ضد مجلس الوزراء،ولم تيأس منيرة وقامت ثورة 23 يوليو وانتهزت فرصة قيام الثورة وذهبت إلى اللواء محمد نجيب قائد الثورة فى تلك الأيام لتقنعه بمنح المرأة حق الانتخاب، ولكن قائد الثورة قال لها إن الوقت غير مناسب.وعادت تكافح من جديد إلى أن منح الرئيس جمال عبد الناصر المرأة المصرية حق الانتخاب، وحق الترشيح لعضوية مجلس الأمة، وتقدمت منيرة ورشحت نفسها فى دائرة الزيتون فى شهر مايو سنة1957،وتصورت منيرة أن الشعب سيقبل انتخابها وسيذكر جهادها

وسوف يستعيد أمجادها،يوم كانت نجمة فى سماء السياسة المصرية، الأصابع تشير إليها، الفتيات يهتفن بحياتها، الشبان يحاولون أن يحملوها على الأعناق!ومرت منيرة فى دائرتها الانتخابية، لم يعرفها أحد،المعجبون انتقلوا إلى رحمه الله،الفتيات الثائرات كبرن وأصبحن أمهات مشغولات بمتاعب الزواج وتربية الأطفال، الدنيا تغيرت لا أحد يتذكر معاركها الضارية ضد الرجال، فنحن فى بلد كل شئ ينسى فيه بعد حين! وسقطت الزعيمة فى الانتخابات ولم تحصل فى دائرتها الانتخابية إلا على بضعة أصوات!

وفى 1961 يصل مصطفي أمين خطاب آخر منها: تقول (إننى أبحث عن عمل بأجر لإنقاذى،إننى مريضة بمرضين خطيرين اثبتهما الفحص فى أحد المستشفيات،تم الفحص بمعرفة القومسيون الطبى العام، أحد هذين المرضين مركز فى عينى ويهددنى بضياع البصر وهناك علاج حديث الضباب الذى يزحف على عدسة العين، أنا لم أعد أملك غير منقولات (عفش) شقتى،وهذا العفش محجوز لحساب مؤسسة ضاحية مصر الجديدة مالكة العمارة، وهذا خلاف دين مطبعة مصر أجر طبع مجلتى إننى أريد أن أعمل بكرامة، أريد أن أكسب أجر بعرق جبينى لأستطيع به أن أعالج بصرى، وساقى وأسدد ديونى، لقد وقفت مجلتى عن الصدور بعد أن خلفت ديناً ثقيلاً ما يزال يطحننى، ولكن ليس يفزعنى أن يشردنى الدائنون على قارعة الطريق وأن أموت جوعاً، إن الموت رحمة، إنما يفزعنى أن أعيش عمياء.لقد عملت طوال حياتى بلا أجر ولا مرتب، واليوم أود أن أعمل

FOR AUTHOR USE ONLY

بأجر، إننى أعيش فى ظلام! حتى الآن استطيع أن أكتب ولكنى اقرأ بصعوبة، إن حالتى النفسية سيئة، قد تتحسن إذا وجدت الرعاية.

ويقول مصطفي أمين: وارتعشت يداى وأنا أقرأ الخطاب، إنها نهاية مروعة لبطلة! وكتبت فى مجلة المصور التى كنت أرأس تحريرها يومئذ وقلت: (إننا نرفض أن تعمل منيرة ثابت فى حالتها الصحية المؤلمة، إن من حقها أن تعالج وأن تستريح وأن تعيش، إن لها حقاً على كل امرأة فى بلادنا تعمل أو تزاول حقها النيابى أو تجلس تحت قبة مجلس الأمة، إنها هى التى أضاءت الطريق أمام ملايين نساء العرب اللاتى رفعن الحجاب وأصبحن يعملن جنباً لجنب بجوار الرجال، وإننا على ثقة أن الدولة لن تترك منيرة ثابت تعيش عمياء..وهى التى جعلت الملايين يبصرون!فلتضئ كل امرأة عاملة شمعة لهذه السيدة العظيمة التى يهددها الظلام).

وبعد ساعات من صدور مجلة (المصور) قرر الرئيس جمال عبد الناصر سفرها إلى أسبانيا للعلاج على نفقة الدولة واتصل بحسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية ونائب رئيس الجمهورية ليسداد كافة ديونها قبل سفرها إلى الخارج..،وسافرت منيرة إلى برشلونة وطلب منها الدكتور باروكير استعمال أنواع معينة من الأدوية لمدة 6 شهور كاملة ثم تعرض نفسها عليه بعد هذه المدة، وقطعت منيرة رحلتها بعد 12 يوماً فقط وعادت إلى القاهرة تشكو من المعاملة السيئة التى لاقتها من القنصلية المصرية بأسبانيا،فقد قرر لها الدكتور باروكير عمل 3 نظارات طبية كعلاج مؤقت لحين عودتها، ولكن القنصل المصرى رفض دفع ثمنها بحجة أن المبلغ المحول

FOR AUTHOR USE ONLY

لها مقرر لعلاج عينيها فقط، وأنه ليس مسئول عن ثمن النظارات حتى ولو كانت طبية!ولم يكن معها من النقود سوى المال المحول لها للعلاج، وإزاء هذا الأمر اضطر القنصل إلى أن يسلمها نظارتين اثنتين بعد أن حصل على شهادة من الدكتور باروكير بأن هذه النظارات امتداد للعلاج الذى حضرت من أجله.

وفى الموعد الذى حدده الدكتور باروكير لعودتها إلى أسبانيا مرة ثانية حولتها وزارة الصحة إلى القومسيون الطبى ليوافق على سفرها. وكانت المفاجأة أن القومسيون الطبى رد بأن حالة عينى المريضة لا تحتاج إلى علاج طبى أو تدخل جراحى!..

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى 17 سبتمبر سنة 1963 استيقظت منيرة ثابت من النوم فوجدت الدنيا ظلاماً.. أضاءت النور الكهربائي الذى بجوارها ولكنها لم تر شيئاً وأيقنت أن الكارثة حلت بها وأنها لن تستطيع الإبصار.وكانت منيرة ثابت فى شبابها أجمل صاحبة عينين فى الوسط الصحفى.ومن سحرية القدر أن اسمها كان (منيرة) وأمضت بقية حياتها فى ظلام!

يا بلح زغلول.. يا حليوه يا بلح!!

1890–1965

فى أثناء ثورة 1919 أصدر القائد العام البريطانى أمراً عسكرياً بسجن كل من يذكر اسم زغيم الثورة سعد زغلول ستة أشهر مع الشغل وجلده عشرين جلدة.. وهنا غنت منيرة المهدية أغنيتها المشهورة (يا بلح زغلول يا حليوة يا بح، عليك بنادى فى كل نادى، يا بلح يا حليوة يا بلح). وانتشرت الأغنية، وأصبحت على لسان النساء والرجال والباشوات والفلاحين حتى تحولت إلى ما يشبه النشيد الوطني تحدياً لأمر قائد جيوش الاحتلال! والمعنى أن المهم الرمز،وزغلول موجود..سعد موجود. وكتب مستر ريجنالد ديلينى مراسل رويتر: (إن الذى يمشى فى شوارع مدن مصر وقرها يخيل إليه أن جميع أهلها من رجال ونساء وأطفال تحولوا إلى باعة متجولين. يبيعون بلحاً اسمه بلح زغلول)!

ثم أن منيرة المهدية لها أغان مشهورة (أسمر ملك روحى) و(عصفورى يامة عصفورى) وهى قادرة على أغانى صعبة لسيد درويش وداود حسني وهى أول من صرف على المسرح وألفت فرقة مسرحية مثلت على المسرح روايات: (كلها يومين) لحنها سيد درويش و(كليوباترا) ولحنها سيد درويش،وأكملها محمد عبد الوهاب!! وكان أول ظهورها مع (شفيقة القبطية)..ثم أصبحت المطربة الأولى فى مصر بلا منازع.

وكان (سعد زغلول) من حين لآخر يختلس الوقت ليروح عن نفسه وعقله وكان يميل إلى سماع الأغانى من عبده الحامولي ومحمد عثمان وسلامة

FOR AUTHOR USE ONLY

حجازي، كما كان يقرأ الشعر ويحفظه خاصة : المتنبي والمعري، وذات يوم قرر (سعد زغلول) أن يذهب إلى المسرح لمشاهدة مسرحية تقوم ببطولتها الفنانة المطربة الكبيرة منيرة المهدية،وحرص على كتابه ماشاهده فى مذكراته بتاريخ 24 نوفمبر 1917 وهكذا عرف طريق منيرة المهدية فيقول:

(دعانى أمس إسماعيل صدقي إلى تياترو (برانتانيا) لحضور تمثيل رواية كارمن،بواسطة جوقة منيرة المهدية،ودعا معى عدلي باشا وثروت باشا وقد كان التياترو على سعته، غاصاً بالمتفرجين، والألواج مملوءة جداً ولكن أغلبهم كانوا من الطبقة الوسطى والدنيا، ومنيرة المهدية فنانة فى الثلاثين من عمرها، خمرية اللون رشيقة القد مليحة الوجه،خفيفة الروح،رخيمة الصوت وطويلة النفس، وتمثيلها لا بأس به كما لا بأس ببعض أفراد الممثلين معها. وقد رأيت التمثيل تقدم عن ذى قبل كثيراً ولكن الشعب لم يتهذب بعد، ولم يترب فيه ذوق هذه المشاهد، فهو يصفق لما يجب السكوت عنده ويسكت لما يجب له التصفيق ويضحك عندما يلزم البكاء ويسكت بعضه بعضاً فيكون لا إسكات أدعى للجلبة من التشويش.وقد لبثت إلى ما قبل الفصل الأخير وانصرفت مع عدلي (يكن) وبقى صدقي وثروت ،بحجة أنهما يريدان السير على الأقدام، ولكن يظهر من حالتهما أنهما كانا يريدان أمراً آخر.

ولقد تحدث الناس بوليمة صنعها زوج (منيرة) المذكورة لثروت باشا، وبعض القضاة والمحامين،وانتقدوا الوزير انتقاداً مراً. ولقد قيل إلى ثروت : إن سري

FOR AUTHOR USE ONLY

باشا يقول أن منيرة هذه ليست حميدة السيرة فاكفهر وجهه واحتقن وعلاه الكدر وقال: على ذلك سيرفض الإذن فى التمثيل فى الأوبرا السلطانية..

ويحكى أنه عندما كانت (صفية زغلول) تستقبل فى بيتها صديقاتها والمقربات منها، لم يكن سعد زغلول يخرج لملاقاتهن ولاحظت إحدى صديقات صفية هذا الأمر، وتذكرت الشائعة التى انتشرت لفترة أن (سعد زغلول) تزوج من أخرى فسألت هذه السيدة صفية بفضول شديد: هل صحيح أن لزوجك سعد باشا بيت آخر وقرينة أخرى كما يقال؟!

وبكل جدية ترد صفية زغلول: نعم له زوجة أخرى ولكنها فى هذا البيت! أنظرن،سأريكن إياها وأسمعكن أسرار (سعد) معها فى هذه اللحظة!! وتزداد دهشة السيدة ويتملكها حب الفضول والاستطلاع من جواب (صفية) وتنهض الصديقات لرؤية (ضرة) صفية، وتكون المفاجأت فى جلوس (سعد) منكباً على مكتبه بين أوراقه وكتبه يقرأ بصوت جهير على عادة الأزهريين، وإلى جانبه سرير أعد للنوم إذا تأخر به الدرس إلى هزيع الليل الأخير.

وتسأل (صفية) صديقاتها:

- أسمعتن؟!
- نعم ولكن أين الزوجة؟!

وترد (صفية): الزوجة هى هذه الأوراق، وهى الضرة التى سمعتن بها؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

وفجأ وقبل انصرافهن يسمعن صوت جرمافون يصدر منه صوت يغنى (أسمر ملك روحى يا حبيبى..تعالى..بالعجل) ويضحك النساء ويلعب الفأر فى عب صفية زغلول..وبعد أن تنتهى الزيارة تذهب لزوجها بكوب حلبة باللبن.وتسأله من هذه المطرية ويجيب سعد زغلول:منيرة المهدية (سلطانة الطرب) وكانت هذه شهرتها.وتسأله صفية بتعجب وقد حدث لها تداعى من أقوال صديقاتها: لكنك لا تسمع إلا الشيخ رفعت أو عبده الحامولي أو سلامة حجازي.

ويجيب سعد: إن سلامة حجازي قد أعطى جوقته لمنيرة المهدية.

وفجأة فجرت صفية قنبلة: طلقنى يا سعد. أو طلق السهر والقمار، فأنت وعدتنى أكثر من مرة بأنك لن تبقى خارج المنزل بعد الساعة الثامنة ولكنك لا تحضر قبل الساعة الثانية عشر.

وانفجر سعد زغلول: ما علاقة القمار بمنيرة المهدية بالسهر.

وقالت صفية: كلها سكة واحدة منفده على بعض!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولم يكن سعد زغلول يعلم حتى هذه اللحظة أن زوج (منيرة المهدية) له بارتيته قمار خاصة يلعب معها!! وأن لمنيرة المهدية عوامة.. تغنى فيها ويلعب فيها زوجها القمار.

ويبدو أن سعد زغلول بالفعل حنث فى يمينه مع زوجته ففى مذكراته بتاريخ 5 يناير 1917يقول (سعد زغلول): قمت أمس باكراً، وأصبحت اليوم نشاطاً منتعشاً، ولقد تعهدت تعهداً وثيقاً بأن لا أبقى خارج المنزل إلا إلى

الساعة 8، وأنى أخذ نفسى بهذا التعهد، وملزمها الوفاء به لأن فيه راحتى،وراحة زوجتى التى تتألم كثيراً من سهرى!! وتكاد تموت إذا غبت عن العشاء ولذلك حرم على أن أعمل على أذاها، وأن أتلذذ بعذابها، على أنه لا لذة فى البقاء زمناً طويلاً خارج البيت خصوصاً لمن كان فى سنى وصحتى. فاللهم أعنى على العمل بما يضمن راحتى وأهلى، إنك سميع الدعاء..

وقبل حوالى أسبوع بالضبط من تسجيل هذه الخواطر، كان (سعد زغلول) قد عاد من مسجد وصيف عند الفجر فيقول: (ورأيت حرمى بعد عودتى فى الساعة 2 تنتظرنى، فقالت: خضيتنى وغضبت، وغضبت ثم اصطلح الحال..).

لقد كان حب (صفية زغلول) لزوجها سعد حباً لا حدود له، ولم تتزعزع مكانه هذا الحب أبداً، وعاشت (صفية) تتمنى من كل قلبها أن يكف (سعد) عن لعب القمار!!..

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن أطرف ما جرى فى أواخر يوليو 1918 عندما نشرت جريدة المقطم خبراً يقول إن حكمدار بوليس القاهرة أرسل منشوراً لرؤساء جميع النوادى يحرم عليها لعب الورق بجميع أنواعه كان هذا القرار مصدر فرح وسعادة لصفية زغلول،كما كان مصدر حزن وغضب لسعد زغلول وحرص (سعد) على تسجيل ذلك فى مذكراته (29 يوليو) فيقول: (ارتاحت حرمى لهذا المنع غاية الارتياح،ولكنى قرأت اليوم أن هذا المنع خاص بالنوادى

التى تأسست على اللعب وللعب،لا التى تأسست لأغراض أخرى فارتحت ولكن لم يسر ذلك حرمى).وهكذا لم تدم فرحة صفية زغلول!!

وفى أواخر 1918 أقلع سعد زغلول تماماً عن القمار وقرر أن يعيد ترتيب مكتبته واهتم بالجغرافيا واللغات والتاريخ القديم وأعطى أسطوانة (منيرة المهدية) لأخيه (سعيد زغلول) الذى كان يعتبر ابنه بالتبنى وكتب فى مذكراته يقول: أرى (حرمى) مسرورة من حالى وقد زادت ساعات المؤانسة والمجالسة فيما بيننا. لأنها إن كانت وحدها كانت مؤانستها ضرورية لازمة لإزالة الوحشة من نفسها، وإن كان معها غيرها كان ذلك على الأقل دفاعاً لما يتوهمه الأجنبى من وجود شئ من الجفاء بيننا. إذا كنت أظلم نفسى باللعب وأظلم من يحبنى بالإعراض عنه، فمن لا أظلم؟ ومن أخدم؟! اتق الله فى نفسك وأهلك، وقسم وقتك بين الأنس والعمل.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفى مذكرات ثروت باشا بضع سطور عنها: كانت منيرة المهدية صوتاً يطرب.لم تكن شخصيتها على مستوى صوتها، فهى مسيطرة،لحوحة فى طلباتها، لا تترك فرصة إلا وعاجلتها بالاقتناص.. وفى كل مرة أروح فيها بسماعها كانت تتحايل لألتقاط الصور معها لى ولمن معى. وكان زوجها مثلها إلا أنه أكثر ألحاحاً وفظاظة..ويفجر مفاجأة حين يذكر:

(توفى سيد درويش قبل عودة الزعيم سعد زغلول بخمسة عشر يوماً من منفاه وذهبت على رأس وفد من حزب الوفد للعزاء. بعد ما علمنا من أنه

يعد احتفالاً قضى فيه وقتاً طويلاً لهذا اليوم. وبالفعل وجدت هناك بالإسكندرية المنشدين والعزفين وقد استعدوا لحفل استقبال الزعيم، واقترح الشيخ ماضي الفقي أن يتحول المنشدين والجقه لأداء جماعى وغير فى بعض كلام النشيد فحول (كلنا جميعاً للوطن ضحية) إلى (كلنا فى حب الوطن ضحية) وحاولت أن أعارضه فى ذلك لاختلاف المعنى، ولكنه أوضح صعوبة ذلك فى الأداء الجماعى، وإذا بى أجد زوج (منيرة المهدية) الفظ اللحوح، يخبرنى أنه ومنيرة قد حضرا لواجب العزاء وأن منيرة المهدية تريد أن تحل محل سيد درويش فى استقبال الزعيم. ووجدت أن ذلك يجعل المنشدين والعازفين يعودون للسياق الذى وضعه سيد درويش،فوافقت مبدئياً إلا أن (عبد الرحمن فهمي) حضر للإسكندرية قبل موعد الزعيم بأسبوع.ولما علم الخبر ثار ثورة عارمة ورفض رفضاً باتاً. وقال فى ثورته: ما تجيبوا عوالم ورقصين!..ورفعت يدى عن الأمر. ووصل الأمر لحد رفض الاحتفال كله.)

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكن الإسكندرية خرجت كلها فى يوم 23 سبتمبر 1923 عند عودة سعد وقد حفظ الناس لحن سيد درويش واستقبلوه به.واختلط المنشدين بالبشر والعازفين والغريبة أنهم جميعاً أدوا اللحن صحيحاً وكما وضعه الشيخ سيد درويش!

مصرنا وطنا سعدنا أملنا كلنا جميعاً للوطن ضحية
أجمعت قلوبنا هلالنا وصليبنا أن تعيش مصر عيشة هنية

عزك حياتنا. زلك مماتنا يا مصر بعدك مالناش سعادة

أما الكاتب الصحفى حنفي المحلاوي فيذكر بديعة مصابنى فى كتابه (من قتل سيد درويش) فيقرر أنه كان فى حياة سيد درويش نساء كثيرات وليست فقط (جليلة) فهناك فتاة من طنطا اسمها (فردوس) قال فيها:

يا ناس أنا مت فى حبي وجم ملايكة يحاسبوني

قالوالى روح جنة رضوان اخترت أنا جنة فردوس

وأحب الفنانة حياة صبري ومن ضمن من احب سيد درويش وعمل معها منيرة المهدية!! ويذكر أن أوراق التحقيقات فى مقتل سيد درويش ورد فيها اسم (منيرة المهدية) قال عن ذلك الشيخ خاطر اقواله عن وفاة أو مقتل صديقه سيد درويش؟! قال الشاهد المهم فى هذه الأقوال المسجلة: (كان الشيخ سيد درويش قد وضع لحناً جديداً فى القاهرة لمنيرة المهدية، وفى خلال البروفات أختلف معها (عواد الفرقة)..الذى سافر إلى الاسكندرية وأعطى لحن الشيخ سيد درويش لمطربة اسمها (وداد) ..وعندما رجع الشيخ سيد إلى مدينة الاسكندرية فى آخر رحلاته لها،سمع المطربة(وداد) تتغنى باللحن وبطريقة خاطئة شوهت من اللحن فثار عليها وصعد إلى التخت وهجم على (العواد) ثم خطف منه العود وحطمه فوق رأسه..كما شتم المطربة وكاد بلطجية المسرح أن يفتكوا بسيد درويش لولا أنقذته شلة من الأصدقاء كانوا معه.ولكن المطرية تظاهرت بعد ذلك بأيام

FOR AUTHOR USE ONLY

بالتودد من جديد للشيخ سيد وطلبت منه أن يعلمها أصول الغناء،ولذلك دعته إلى منزلها ليقوم بتدريبها وبتحفيظها لحناً جديداً له. وكانت قد عرفت أنه أكول جداً، ولا يستغنى عن الكوكايين، فأعدت له كميات ضخمة منه؟! وسهر الشيخ سيد بالفعل عند (وداد) حتى مطلع الفجر،ثم عاد إلى منزله فى بيت شقيقته (فريدة) بمحرم بك..وكان متعباً وفى حالة إعياء شديد لدرجة أن شقيقته استدعتنى من منزلى بكوم الدكة لأجلس إلى جواره ولأعرف ماذا أصابه؟!

وفى الصباح كان الشيخ سيد درويش جثة هامدة. وعند عرضه على طبيب صحة محرم بك الدكتور محمد حسن..قال: إنه يشتبه فعلاً فى أن يكون الشيخ قد مات مسموماً!،، ووضعنا جميعاً أمام هذا السؤال: هل تريدون أن أحيل الموضوع إلى النيابة؟

وتسمرنا جميعاً،وأطبق علينا الصمت،لقد كنا نعرف أن معنى هذا البلاغ تشريح جثة سيد درويش.؟!

أما أوراق الفنانة (حياة صبري) فغريبة ترد فيها أنها كانت تعمل فى فرقة (منيرة المهدية)كمغنية وراها الشيخ سيد درويش فأعجب بها وزادت العلاقة بينهما ارتباطاً جينما علم أنها من الاسكندرية ومن عائلة (عبد العال) من محرم بك وأن اسمها الحقيقى (عائشة محمد ابراهيم عبد العال) وأنها هربت إلى القاهرة لتعمل كمطربة. ولاحظت (منيرة المهدية) العلاقة بينهما وأنه يقدمها فى الجوقة ويعطيها بعض الدخلات فى مسرحياتها فطردتها.فقد كانت منيرة المهدية تغير عليه.ولكنه لم يكن يبادلها ذلك إلا فى أوقات البروفات،فإذا انتهت المسرحية فض يده عنها!!وعندما طردتها

FOR AUTHOR USE ONLY

الست منيرة. ماذا فعل معها الشيخ سيد درويش؟! إنها تقول على لسانها:فأغرقنى فى الرفاهية واستأجر لى شقة مفروشة لنقيم بها.. وكان يتردد على فى هذه الشقة مع بعض الأصدقاء حيث كان يشعر بأننى مهبط الوحى الفنى.

وتتوالى الحكايات عن منيرة المهدية المرأة التى اختصها سعد زغلول ببضع سطور ضمن مذكراته التى لم يكتب فيها إلا عن سبعة نساء: أمه، وزوجته صفية،وابنته بالتبنى (رتيبة) أم علي ومصطفي أمين،وحماته، ومنيرة ثابت، الملكة نازلي، وسابعهم (منيرة المهدية)!!

مثلاً يكتب: (إنها رفضت بيع عوامتها الخاصة للملكة نازلي، رغم أن الملكة زارتها بنفسها فيها وحينما قالت لها نازلي: يظهر أنك ناسية أنى ملكة مصر.ردت عليها منيرة: أنت اللى ناسية يا مولاتى أنى سلطانة الطرب؟!)...

ومثل آخر ما سجله وراءه علامات تعجب واستفهام سعد زغلول فى مذكراته فبراير **1914** (من أن حسين رشدي باشا عقد جلسة مجلس الوزراء فى عوامة منيرة المهدية.وعلل ذلك بأنه وجد كل الوزراء هناك فى ندوتها التى تضم كبار رجالات البلد!!)

ولكنها باعت عوامتها واحتجبت عام **1942** ولمدة عشرة سنوات عادت بعدها للطرب فى أكبر سقطة لها حيث لم يتحملها الجمهور ونادور عليها:

شدوا الستارة منيرة دى ولا غارة!!

و.. والعوا النور منيرة بلعت وأبور؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

وقد انضمت (منيرة المهدية) لزميلتها فى الكار (فاطمة سري) فى قضيتها مع (محمد شعراوى وهدي شعراوي) وأرسلت فكري أباظة المحامي ليقف معها فى قضيتها فقد كانت لمنيرة قضية مشابهة، فقد غرر بها ابن أحد البشوات، وحملت منه، وخطف أهله بنتها التى أنجبتها منه، فهربت من اهلها، وبدأت حياتها كمطربة – متخفية فى ملابس الرجال حتى لا يعرف مكانها أهلها – ثم تزوجت من بطل المصارعة (حسن كمال) ليحميها وبدأت فى الظهور بجنسها الحقيقى!! ولذا شعرت أن قضية فاطمة سري قضيتها.. قضية الفن ضد البشوات. إلا أن أغرب حكايات (منيرة المهدية) كانت مع أم كلثوم حينما شعرت أن هذه الفتاة الصغيرة تهدد عرش سلطنته (سلطنة الطرب) وقد فعلت العجائب من أجل الحفاظ على اللقب للأبد ولكن كما يقولون (لو دامت لغيرك ما وصلت لك)!! لقد شعرت بأهمية سلاح (الصحافة) فى قضية (فاطمة سري) فأرادت أن تستعمله ضد أم كلثوم!! لم يسعفها سلاحها المعروف البشوات وغنوتها المشهورة (ما تخفش على أنا واحدة سجوريا.. فى العشق يا أنتا واخدة البكلوريا) وأشار عليها البعض إلى اثنين: فكري أباظمة وعبد المجيد حلمي..وسألت من أكثرهم استقامة وقلة خبرة وقلة شهرة وحاجة وتعجب الجميع ولكنهم قالوا لها: عبد المجيد حلمي رئيس تحرير مجلة (المسرح)،وقلمه عنيف وهو صعيدى وشاب لم يسبق له نزوات،ولم يعرف عنه مغامرات فى عالم العشق والهوى.وقررت منيرة المهدية أن تقع فى غرام الصحفى الشاب، ودعته إلى الغذاء فى عوامتها وبعد ساعة واحدة كان

FOR AUTHOR USE ONLY

يجلس تحت قدميها يبادلها عبارات الشوق وهى تلقى البترول على قلبه المشتعل فتندلع النيران! وخرج عبد المجيد الطيب من عند منيرة وهو مقتنع بأنه حبها الأول والأخير، واصبحت مجلة المسرح هى مجلة منيرة المهدية سلطانة الطرب فى مصر والشرق! وبدأت مجلة المسرح تهاجم أم كلثوم وقالت فى 17 يناير سنة 1927،أم كلثوم لها مئات العشاق ولا أدرى ماذا يحبون فيها، فهى ليست على شئ من الجمال ولا خفة الروح ولا سلامة الطبع.وفى13 يناير سنة 1927 كتبت مجلة المسرح تقول (إن أم كلثوم نجمها قد غرب) وفى 31 يناير أيضاً كتبت مجلة المسرح تقول (أم كلثوم قدمت وهى بنت صغيرة شكوى لمحكمة السنبلاوين بأن شاباً من القرية اغتصبها) ووعدت بنشر نص الحكم ولم تنشره أبداً لأنه كان خبراً مختلق،ولكن هذا الخبر كاد ينجح فى إعادة أم كلثوم إلى قريتها فقد قرأه والدهاالشيخ ابراهيم وأقسم ألا تبقى أم كلثوم بالقاهرة بعد أن بزغ نجمها ولكن الأب أصر لولا أن صديقاً للأسرة حضر فى تلك اللحظة واستطاع أن يقنع الشيخ ابراهيم بالبقاء.ولكن هذه الحملة العنيفة على المطربة الشابة أم كلثوم لم تصرف الناس وفجأة جاء أولاد الحلال وقالوا لها.. لنغير ونعدل..سنضرب أم كلثوم من المسرح وبسرعة اقنعت الست منيرة "عبد الوهاب"بأكمال لحن سيد درويش (كليوباترا).وكان الفضل لمسرح منيرة المهدية التى اكتشفت محمد عبد الوهاب والذى يكتب فى مذكراته عن ذلك الحدث: بأن هذه المرحلة جعلته يلمع كملحن بعد أن لمع كمطرب،ولكنه يذكر أيضاً ذلك المشهد الذى تلقى فيه (كليوباترا) بنفسها على صدره منتحرة بسم الثعبان– ويقول ولأن منيرة المهدية لا تقل

FOR AUTHOR USE ONLY

عن 150 كيلو شحم فإنها فى كل ليلة كانت تخرج روحه حينما تموت على صدره متوهمة بأنها كليوباترا!!

ونجحت الفكرة مرحلياً عندما نشر الأستاذ فكرى أباظة مقالاً فى الأهرام بعنوان (معجزة الموسم)قال فيه (منيرة وعبد الوهاب يغردان تغريد البلابل، والجمهور يضج ضجيج الإعجاب العنيف بعد أن أخذت منه الدهشة كل مأخذ، واستولى عليه ذهول الخاشع أمام السحر الحلال مجرم فى حق نفسه وحق الفن من لا يشهد رواية كليواترا فى الحال مجرم فى حق النبوغ والعبقرية من لا يبادر بإذاعة خبر هذا النصر الحاسم والنجاح البالغ عنان السماء!)وأبدت منيرة إعجابها الشديد بفكري أباظمة وغار عبد المجيد من فكري أباظة. وفى 7 مارس سنة 1927 كتب عبد المجيد حلمي إلى حبيبته يقول (كان الشرط ألا نتراسل، مهما جد فى غرامنا، ومهما وقع لنا، ولكنى أحب أن أقص فى غيبتى ما لا أستطيع ذكره أمامك)، نذالة فى الرجل يا سيدتى أن يغدر،ولكنها طهارة أيضاً ألا يكون مخادعاً ولا غشاشاً،وأنا اليوم أغدر بك، ولكنى لا أغشك ولا أخدعك.كنت أنت النار التى اشعلت؛ حسنى، ولا أقول قلبى– ولكن هذا القلب كان يدق حين يشعر بالالتهاب. فظننت أنى أحبك، وظننت أننى لا أستطيع أن أعيش إلا لك أو من أجلك وفى سبيلك وفى ذلك النهار الممطر الذى قضيناه معاً فى منزلى، فجأة دفعتك عنى كشئ قذر تمرغت فيه برهة ثم عافته نفى فتنصلت منه أصبحت (لا شئ) فى حين أنك منذ دقائق كنت (كل شئ)كنت أعتقد أننى أحبك وأننى لا أستطيع فراقك كنت أغار عليك

FOR AUTHOR USE ONLY

حين تمدين يدك بالسلام لمخلوق ما وكنت أحترق حين أراك تبتسمين لشخص آخر كنت لا أطيق مجرد التصور أن رجلاً غيرى نظر إليك وابتسم لك..أما الآن فلا أتمنى على الله إلا أن يبعدنى عنك إلا الأبد.

وقالت منيرة المهدية.. هذا الحشرة.. يتركنى أنا.. يترك ست الستات لست المرأة التى يتركها رجل أنا الذى أترك..وجن جنون برج الحمل برج منيرة المهدية آه من برج الحمل..وآن من امرأة يبدأ اسمها بحرم ميم إذا قررت الانتقام والثورة.وجاء أولاد الحلال..وقالوا لها: بشبشي له.. أسحرى له..وقالت آية الكلام الفارغ ده.. وقالوا لها وصفة معروفة بعض الآيات وبعض الطلاسم تكتب على ورق بالزعفران وتغسل بالماء ويشرب منها المحبوب!! أو شئ من أطره قطعة قماش منديل.وفى يوم 18 إبريل سنة 1928 كتب إليها عبد المجيد حلمي يقول (أصدقائي يصورنك لى بصورة بشعة،وما يزيدنى ذلك إلا حباً فيك، وشغفاً بك وحنيناً إلى لقياك، إن حديث السوء عنك يصيب جرحاً فى عاطفتى فيذيبها، المرأة التى أحببتها يحتقرها الناس؟!)..

وفى يوم 9 مايو سنة 1927 كتب عبد المجيد لها يقول (أنت طاغية فى حبك الأبله، طاغية فى تفكيرك الجنوبي، طاغية فى عبثك الأثيم، طاغية فى استهتارك السخيف، طاغية فى إحساسك وشعورك، ومصرع كل طاغية رهيب).

فهل هذا بسبب الحب.. أم بسبب السحر أم بسببهما معاً؟!

FOR AUTHOR USE ONLY

وسقط عبد المجيد حلمي صريع الحمى والحب، وارتفعت درجة حرارته، وأصبح يهذى ويذكر اسم منيرة..منيرة وحدها!وأفاق من غيبوبته ليكتب يوم 6 يونيو 1927:(الآن وقد مضت على الأيام الستة وأنا فريسة المرض، بدأت الخيالات تمر أمامى تباعاً، أعيد على ذكرياتى الماضى بعيدة وقريبة،فيشتد الألم وتزداد قواى انحلالاً، تألفت على عناصر الطبيعة تريد أن تصرعنى وتألبت لتغلبنى ووقفت لها احتمل ولا أدفع، وأصبر فلا أجزع، حتى ثقل الحمل ودنا المصرع!).

وهب العواصف من كل مكان تقتلع منيرة المهدية من عرشها، البعض لعنها،والبعض هاجمها والصحفيون أهملوا أخبارها،والجمهور قاطعها ومضت منيرة تقاو الصحف كلها والمجلات كلها والنقاد كلها،كل أصدقائها تخلو عنها حكموا عليها بغير محاكمة رفضوا أن يسمعوا شهودها أبوا أن يكون لها حق الدفاع عن نفسها!كان عبد المجيد معبوداً بين الشباب هقاطعوا مسرحها،وأطلقوا عليها اسم القاتلة،وذهب بعض الناس إلى الشوارع ينتزع إعلاناتها الملونة أو يعمى عينيها الجميلتين المطلتين من إعلانات الحائط.

ولكن منيرة المهدية بقيت تذكر شيئين: إنها وفدية سعدية، وفدية نحاسية، وفدية ولو على رأس الوفد غراب!!

أما الشئ الثانى تلك الصورة التى التقطت لحسين رشدى باشا رئيس مجلس الشيوخ!!ونشرتها الصحف وروز اليوسف،(أنها مدت يدها ليسلم عليها رئيس مجلس الشيوخ حسين رشدي باشا ووجد الرجل نفسه يقبل يدها

FOR AUTHOR USE ONLY

ليحدث أزمة برلمانية يقف فيها بسذاجة يقول: (ليس فى الدستور المصرى مادة تمنع رئيس مجلس الشيوخ من أن يقبل يد مطربة).

كانت منيرة المهدية تحب شيئاً واحداً..هو منيرة المهدية.. أن أى واحد أحبها قال هذه العبارة (أنا وهى نحب شخصاً واحد– هي!!).وإذا احتاجت لشئ لم تفصل بين الحب وما تحتاجه..وتفعل هذا قبل الحب تمسح وتنكس وتكوى وتهب كل شئ ولها صوت مؤثر وكلام مؤثر وخطاباتها قصيرة.وعن ذلك يحكى (مصطفي أمين):وفجأت سألتها:

– وآية حكاية عبد المجيد؟

قالت فى استغراب: عبد المجيد مين؟

قلت: عبد المجيد حلمي مجلة المسرح.

قالت ك آه.. آه.. عبد المجيد دي حكاية بسيطة، كان يحبنى حباً جنونياً وكنت أعطف عيه لطيبته وبراءته ولكنى لم أحبه لأن غيرته كانت كالإعصار تحطم كل شئ أمامها!

FOR AUTHOR USE ONLY

ومضت الأيام وانقطعت منيرة المهدية عن الغناء، وذات مساء اتصلت بى أم كلثوم تليفونياً وقالت لى: (إنى أدعوك معى فى حفل ساهر اشتريت بنوار فى صالة بديعة وستغنى منيرة المهدية، وأنا أريد أن أشجعها وأصفق لها وألحت إلحاحاً عجيباً أن أصاحبها) وذهبنا وغنت منيرة المهدية وياليتها ما غنت، كان صوتها أشبه بالأسطوانة المشروخة، فقد صوتها حلاوته وبحته ورخامته وجاذبيته، وكانت أقرب إلى ملكة محنطة فى تابوت ترى فيها

الماضى الخالد ولا تجد من أثر الحاضر سوى التراب، وكانت أم كلثوم تلهب يديها بالتصفيق وتزغدني فى كتفى لأشاركها فى التصفيق، وخيل إلى أننا وحدنا الذين كنا نصفق وأن الجالسين فى الصالة أنهمكا فى الحديث عن ذكريات سلطانة الطرب وبريقها الفتان.ولم تكن التى أمامنا: منيرة المهدية– بل شبح منيرة المهدية وشعرت أم كلثوم أن القصاص قد جاء وإن كان تأخير 40 سنة منذ أول مقالة كتبها الصحفى المتيم المسحور عبد المجيد حلمي– ضدها!!

FOR AUTHOR USE ONLY

لست ملكاً حتى يؤرقنى أمر الإنجاب!
1946-1878

روت صفية زغلول أنها فى يوم زفافها عام 1896 استدعتها أمها أصانيش هانم وقالت لها بعد الفرح: سيأخذك زوجك من بيت أبيك فى باب اللوق إلى بيت زوجك فى غمرة فى عربة حانطور، أجلسى صامتة طوال الطريق، عندما تصل العربة أمام بيت العريس سينزل سعد ويقول لك: تفضلي!.. إجلسي فى مكانك ولا تتحركى! ..سيقول لك المرة الثانية : تفضلي! اجلسى فى مكانك ولا تتحركى! ..سيقول لك فى المرة الثالثة: تفضلي! عندئذ تنزلين من العربة وتدخلين معه إلى البيت حتى يعرف من أنت؟

وقالت صفية أنها اتبعت تعليمات أمها فلما وقفت العربة نزل منها سعد وقال لها: تفضلي، فلم تنزل،وعندئذ فوجئت صفية زغلول بسعد زغلول يتركها ويدير ظهره ويمشى نحو باب البيت..وعندئذ وجدت نفسي أقفز من العربة وأجرى خلفه وما زلت منذ ذلك اليوم أجرى خلفه إلى الآن! وهكذا لم تشعر هذه العروس الصغيرة إلا أن هذا الرجل سيدها وإلهها الصغير لاتتحرك إلا بإذنه ولا تتكلم إلا همساً نسيت منذ تلك اللحظة أنها ابنة رئيس وزراء مصر الذى تولى حكم مصر 14 سنة بغير انقطاع ونسيت أنها ولدت وأبوها وزير،وأنها كانت طفلة أبيها المدللة.وأنها عاشت طفولتها فى قصر ابيها الحاكم بين الجوارى والأغوات. وقد كان لديها فى قصر أبيها أغا اسمه "فيروز" حملها وهى طفلة فلما تزوجت أهدتها أمها هذا الأغا وإذا

FOR AUTHOR USE ONLY

بعريسها يرفض هذه الهدية ويقول أنه يرفض أن يعيش فى بيته أغا لأن خصى الرجل وحرمانه من رجولته وبيعه كالرقيق عمل غير إنسانى. وهو لا يقبل أن تعيش فى بيته جريمة تمشى على قدمين! وهكذا كان سعد فى بيته يرتدى الجاكته والبنطلون فوق جلابية الفلاح الزرقاء!!

وروى (مصطفى أمين) فى مذكراته تلك الحكاية فكتب يقول: (استدعى الزعيم الولدين الصغيرين (علي ومصطفي) وقال لهما إننى سألكلفكما بمهمة سرية خطيرة لا أريد أن تعلم بها أمكما ولا ستكما)!! وفرح الولدان وتصورا أن جدهما سيكلفهما بمهمة سرية ثورية، وأحسا أن هذا شرف عظيم وقال لهما: تذهبان إلى محل شيكوريل وتشتريان قفازاً كهذا القفاز على ألا يزيد ثمنه على عشرة جنيهات.. غداً عيد مسلاد (ستكم صفية) وأريد أن أفاجئها وأقدم لها هدية بمناسبة هذا اليوم السعيد!! ثم أعطاهما عشرة جنيهاً وخمسة قروش مصاريف ركوبهما الترام وقفازاً قديماً من قفازات صفية زغلول حتى يحصلا على قفاز من نفس النوع.

وقام الولدان بالمهمة السرية فى كتمان شديد، واشتريا هذا القفاز وأخفياه ثم عادا إلى بيت الأمة وقابلا (سعد) فى مكبته بالسلاملك وقدما له القفاز،وفرحا عندما أثنى على ذوقهما فى اختيار القفاز وكان أسود اللون وخرج الولدان فى سعادة غامرة وهما يشعران أنهما أصبحا موضع ثقة زعيم الأمة ولهذا كلفهما بهذه المهمة السرية على الرغم من أن عمرهما كان يومئذ 11سنة،وكانت هذه أول مرة يحتفل بها سعد بعيد ميلاد زوجته، ولم يقم لها مأدبة أو حفلة عيد ميلاد ولم يأمر بعمل (تورته) يضع فيها شموعاً

FOR AUTHOR USE ONLY

بعدد سنوات حياتها!وكانت (صفية) سعيدة بهذه الهدية البسيطة التى يبلغ ثمنها عشرة جنيهات وكانت أكثر اهتماماً بكيف اشترى سعد هذا القفاز؟! فكان– سعد– يضحك ويرفض أن يخبرها بسر الولدين الصغيرين– وكان يقول إن الجهاز السرى للثورة هو الذى اشترى القفاز!! ..(وفى مذكرات (سعد زغلول) كتب فيقول:إن هذا اليوم **16** يونيو– ولادة قرينتى– وقد أهديتها قفازاً قيمته عشرة جنيهات.)

وفى بداية الزواج كانت صفية زغلول تذهب بكثرة لمنزل والدها وكان هذا الأمر لا يعجب سعد زغلول، وكان يعتقد أنه لا يعجب حماه أيضاً مصطفي فهمي باشا واعتقد أن الأمر يرجع لحماته (أصانيش هانم) وكان يبدى ضيقه بروح من السخرية المهذبة فيقول لصفية: كيف أحوال الباشا وقصاقيص هانم. بدلاً من أصانيش وتعرف صفية أنها تأخرت أو غالت فى الزيارات!! ولم يفقد (سعد زغلول) أبداً روحه الساخرة وقفشاته اللازغة،وهى حسب ما يقول العقاد: (حاضرة على البديهة يستعين بها على لطف مؤاخذة أو رد مكيدة أو إلزام حجة أو صرف حادثة مؤلمة بكلمة مضحكة، فهى تارة بلسم جراح وتارة عدة كفاح، وهى مؤنة تصلح حيناً لمساجلة الأصدقاء كما تصلح حيناً لمناجزة الأعداء) وقد حدث مرة فى الثالث عشر من نوفمبر سنة **1921**– أن أطباءه رأوا من حالة الصدر وضغط الدم خطراً على حياته إن هو أجهد نفسه أو خطب فى ذلك اليوم،ولكن اليوم يوم الذكرى الوطنية، وهو عائد من رحلة الصعيد وعنده كلام كثير يقوله ولا يؤديه عنه غيره! فليتكلم إذن وليبطل كلام الطب

FOR AUTHOR USE ONLY

ونصيحة الزوج الرؤوم ورجاء الأصدقاءوقد تكلم كما شاء وحى الطبيعة واعتلى المنبر أكثر من ثلاث ساعات فإذا الخطبة من أجود ما قال وأفعل ما ارتجل.وماذا حدث؟! ها تحقق الخطر؟! هل تعب! هل اقتصر الأمر على السلامة؟!الا عولج مما كان يشكوه وعاد كأقوى ما كان

وحسب ما يقول (مصطفي أمين) كان سعد زغلول إذا شعر بالإجهاد قال بسخرية: ربنا يرزقنا بأزمة مع الإنجليز حتى نجدد شبابنا!!

وكانت أسوأ أيامه هى الأيام التى يأمره الأطباء فيها بعدم مغادرة غرفة نومه وكان يسمى هذا (أمراً بالقبض عليه واعتقاله) وكان يناقش أمر الاعتقال ويعارضه ويحاول إقناع الأطباء بتخفيض مدة الحبس!! ويتذكر سعد زغلول فى مذكراته مسألة نسائية بحتة إنها يوم (التنفيض) وكان (سعد) يضيق بهذا اليوم،فالمطلوب منه أن يترك غرفته مبكراً حيث يبدأ التنظيف من الدور العلوى والبداية من غرفة نوم (سعد)، وهو يعرف أنه لابد وأن يتناول طعام الإفطار بسرعة، ولا يستقبل أى زوار فى ذلك اليوم، وعليه أن يتناول طعام غذائه فى نادى محمد علي!!فى يوم التنفيض كانت (صفية) تدخل غرفة (سعد) وتقف أمامه لا تتحرك ولا تتكلم، ويفهم (سعد)من هذه الحركة– كما يقول (مصطفي أمين)– أنها تدعوه إلى الجلاء إلى البيت بسرعة،وكان (سعد) يسمى (صفية) فى ذلك اليوم (مقلقة الراحات وهادمة اللذات)!!

وكان (سعد زغلول) يقول إن (صفية) مريضة بمرض اسمه (النظافة) وكانت صفية تضع منفضة من الحديد فى أدنى درجات السلم الخارجى ومنفضة من

FOR AUTHOR USE ONLY

سعف النخيل فى أعلى، الأولى ليسمح فيها الزائر قدميه من الطين والثانية ليسمح فيها الزائر حزاءه من التراب.فإذا وجدت– صفية– آثار أقدام على الرخام الأبيض فى سلم السلاملك، نادت (عبد الكريم) فراش السلاملك ليسارع إلى محو هذه الآثار حتى تبدو درجات السلم الرخامية ناصعة البياض تبرق وتلمح وتضئ، فقد كانت ترى آثر الأحذية على الرخام كأنها وصمة عار فى جبين البيت الأبيض النظيف!!

كان أغلب الكبار والوزراء والأسماء اللامعة فى ذلك الوقت يلعبون القمار قتلاً للوقت والتسلية ودفعاً للملل. وكانت الزوجات هن أول من يدفع الثمن:غضباً وقلقاً ومشاجرات وخسارة أيضاً!!وعندما أصبح (أحمد فؤاد) سلطاناً على مصر كان أول قرار أصده أن تتولى الدولة تسديد ديونه،وكانت (ديون القمار) على رأس هذه الديون!!وحاول (سعد زغلول) عشرات المرات أن يقلع عن عادة لعب القمار، حتى لا يغضب (صفية) التى كانت تكره وتمقت القمار، وحتى لا تتزايد خسائره وديونه!!كانت (صفية) غاضبة بلا حدود،وثائرة على تلك العادة التى تمكنت من سعد زغلول.ومن جانبه لم ينكر (سعد) أنه حاول مرات كثيرة الإقلاع عن اللعب لكنه كان يفشل.وفى 8 مايو 1917 يعترف فى مذكراته قائلاً: (لأنى أتردد هذه الأيام على النادى فأنا لا أريد أن أفكر فى عدم استطاعتى ترك اللعب،ولكن بما أنى ملتزم كان على أن أترك الرزيلة كيف أعرف كل عيوب القمار وأتمسك به؟!، إن زوجتى تعانى كثيراً من جراء ذلك حتى أنها لا تكاد تنام وهى دائماً غاضبة)..وكان مما يزيد الأمر على (صفية) أنها

FOR AUTHOR USE ONLY

شعرت بأن سهره فى القمار له أبعاد آخر. فقد طاف بها من قبل على الأطباء فى مصر وأوروبا، وعرضها على أكبر الأطباء، فأجمعا على أنها لا يمكن أن تلد!!..ولعب الفأر فى عب (صفية)!!

وكان سعد يطمئنها بأنه: ليس ملكاً ليهتم بأمر الإنجاب، وأنه عندما تزوجها كان يريدها لذاتها لا بسبب الأولاد. وأنه رجل يرضى بما يقسم به الله وفيما بعد أقلع سعد عن القمار عندما ازداد شك زوجته وحول النساء لها الشك إلى نار لا تنطفئ!!.. وكان (سعد زغلول) يعزى نفسه قائلاً:

– إن كثيراً من العظماء لم يرزقهم الله أولاداً لحكمة يعلمها!!

وبتاريخ 5 أغسطس سنة 1917 كتب (سعد زغلول) فى مذكراته يقول: (أتمنى الآن لو يكون لى ولد، وأن ابنى بواحدة (أى أتزوج واحدة) من الفلاحين أو غيرهم، ويشغل هذا الفكر بالى، ولكن تحقيق هذه الأمنية صعب، لأنى أريد أن يكون ذلك سراً..وذلك من المستحيل تقريباً..فالأفضل ترك هذا الفكر من أصله). لكن (سعد) انشغل بما هو أكثر خطورة من الزواج ثانية. وانشغلت صفية بهذه المصيبة؟!.. وحاول سعد أن يشغلها بتبنى أولاد أخته سعيد ورتيبة وفعلاً عاشوا فى بيته ولكنهم كبار وهى تريد ولد على الزيرو!!

وإذا بالصدفة تحدث يوم ولادة رتيبة: ووصل الدكتور ملتون، ودخل الحجرة فى الساعة الأولى بعد ظهر يوم السبت 21 فبراير سنة 1914 وبعد دقائق كان يحمل فى يده مولوداً أكبر من الحجم المعتاد وراح يضرب ظهره بيده فينطلق صراخه..وتتلق صفية زغلول الطفل وتدور به فى الغرفة

FOR AUTHORISED ONLY

وهى تصحيح فى فرح وزهو. ولد! ولد!.ومضت "صفية" تقول وهى تلف المولود باللفات والأربطة : معذورة رتيبة! إن ضخامة جسم المولود هى السبب فى صراخها وعويلها.. وإذا بالسيدة الحكيمة التى كانت تساعد الدكتور ملتون تصرخ فى فزع:

– الحقونى! الحقونى!

واتجهت صفية فى رعب إلى الفراش الذى ترقد فيه رتيبة وتصورت أنها ماتت فى أثناء الوضع.وقالت الحكيمة وهى لا تزال منحنية على جسم رتيبة: فيه واحد ثانى..

وأخرجت الحكيمة مولوداً هزيلاً ضعيفاً ضئيلاً، حجمه أقل من المعتاد ويدق قلبه كما تدق الساعات الرخيصة التى لا تنتظم خمس دقائق إلا لتتوقف خمس دقائق.وراح الدكتور ملتون يضرب بيده ظهر الطفل الهزيل فلا ينطق، واستمر يضربه حتى خرج من فمه صوت هزيل ضعيف أقرب إلى حشرجة عجائز يموتون. منه إلى صراخ أطفال يولدون!..وسلمت صفية المولود الأول إلى الحكيمة، وحملت المولود الثانى وصاحت فى دهشة:ولد كمان!؟.. ولد تان؟؟

FOR AUTHOR USE ONLY

وما كادت رتيبة تعلم أنها رزقت بولدين توأمين حتى أغمى عليها من الفزع وأسرع الطبيب يسعفها من أثر الصدمة الهائلة! لم تكن ولادة التوأمين منتشرة فى مصر فى تلك الأيام كما هى منتشرة الآن.كانت رتيبة تحمل هم تربية مولود واحد، فإذا بها تفاجأ بأنها رزقت بولدين معاً فى وقت

واحد.كيف تربيهما معاً؟ كيف تحملهما معاً؟ إن هذه أول مرة تلد فيها، وهى لا تعرف كيف تعنى بطفل واحد، لا بطفلين اثنين فى وقت واحد. وهى قد أعدت ملابس ولوازم طفل..فماذا تفعل بالطفلين! ومضت رتيبة تبكى وتندب سوء بختها. وقلة حظها، لماذا هى وحدها دون نساء العالم ترزق بمولودين معاً! وكانت رتيبة تشهق بالبكاء حزناً وأسى بسبب المصيبة الفادحة التى حلت بها. وتندب حظها لأنها رزقت وحدها دون جميع أمهات الأسرة بولدين فى وقت واحد وتركتها صفية وخرجت إلى الغرفة المجاورة التى كان يجلس فيها سعد زغلول ثم عادت مرة أخرى. وجلست بجوار رتيبة فى فراشها تهدئ روعها وتقول لها: إن سعد قال لى الآن أنه أسعد رجل فى العالم لأنك رزقت بولدين.

فقالت رتيبة ودموعها تنهمر من عينيها:ولكنى أتعس أم فى العالم؟!كيف يمكن أن أربى ولدين فى وقت واحد؟

قالت صفية: إن سعد حل هذه المشكلة.إنه يقول إن الله شاء بهذين الولدين أن يحل مشكلتنا. أنا وخالك نتمنى أن يكون لنا ولد.. هذه هى أمنيتنا الكبرى.وقد حقق الله أمنيتنا فرزقك بولدين،لنأخذ نحن إحدهما وتأخذى أنت الثانى..

قالت رتيبة فى سعادة:صحيح هل وافق خالى حقاً على أن يأخذ أحدهما خدى من تريدين منهما؟

قالت صفية: لقد اقترحت أن اسمى الأول على باسم عمى علي زكي واسمى الثانى مصطفي باسم والدى وقد وافق سعد على ذلك. وقال أنه يترك لك على المولود القوى الصحيح، وسيأخذ هو المولود الضعيف الهزيل مصطفي

FOR AUTHOR USE ONLY

وسوف نتبناه..وسوف يحمل اسم خالك سعد زغلول، وسيكون اسمه فى شهادة الميلاد مقروناً باسم والده سعد زغلول وأمه صفية زغلول.

وأجهشت رتيبة بالبكاء ،

وقالت صفية:وقد عرض على الفكر، فرحبت بها من كل قلبى. إنك تسعدين خالك إذا نزلت عن (مصطفي له).

قالت رتيبة إننى مدينة لخالى بحياتى إنه هو الذى ربانى وأنا طفلة يتيمةكما تبنانى مع أخى سعيد،ولو طلب حياتى لأعطيتها له. إننى لا أظن أن فى الدنيا أبا خيراً من خالى سعد ولا يوجد فى الدنيا أم خير منك.

قالت صفية: وهل سيوافق زوجك على أن نأخذ مصطفي؟

قالت رتيبة فى عتاب:يوافق؟ إنه سيرقص من الفرح والفخر..

وأبلغته رتيبة باقتراح سعد وصفية أن يسمى الولد الأول علي والولد الثانى مصطفى فرحب بالاقتراح.ولكن ما كادت رتيبة تخبر زوجها باقتراح سعد أن يتبنى مصطفي حتى غضب الأب وثار ورفض الاقتراح بعنف

وقال: لا يمكن أن أبيع ابنى!

قالت رتيبة:إن المسألة ليست مسألة بيع وشراء، إننا كنا نريد من الله ولداً واحداً وأعطانا ولدين،وقد صدمت أنت كما صدمت أنا بالنبأ.جاء خالى وطلب أن يتبنى مصطفي لأنه محروم من نعمة الأولاد. فلماذا لا نسعده بأن نعطيه الولد الضعيف الهزيل؟!

قال الأب:أنا لا يمكن أن أعطى ابنى لأحد!

قالت رتيبة:إنه ليس (أحد) إنه خالى وأبى الذى تبنانى وربانى أنا وأخى وأنا يتيمة الأبوين فأقل ما أفعله أن أرد له جميله

FOR AUTHOR USE ONLY

وبكت رتيبة على رفض زوجها أن يتبنى خالها مولودها الضعيف.ولم تمر هذه الأزمة ببساطة على بيت سعد زغلول. إنها جرحته. لقد عاش سعد بضع ساعات يتصور أنه أصبح أباً. وأن ولداً سيحمل اسمه. إنه سيحمله بين يديه. سيحبو فوق ركبتيه. سيسلى به شيخوخته. سيطريه صراخه. سيملأ صوته الصغير البيت الهادئ الساكن الوقور. وعندما تلقى سعد رفض أمين يوسف عبس وجهه وأكفهر. تحولت عيناه الضاحكتان إلى عينين جامدتين حزينتين..وهكذا خرج للحياة التوأمين (مصطفي وعلي يوسف أمين) ويقول رشاد كامل فى كتابه (الهانم والزعيم): وعاش (سعد زغلول) فى تلك الأيام لحظات قاسية من الحزن والهم والغم، وحاولت (رتيبة) و(صفية) أن تخففا وتسريا عنه وأن تزيلا كآبته، وجاء الأب (أمين يوسف) يعرض اقتراحاً على سعد زغلول،وهو أن يبقى الطفلان فى كتفه دائماً وإن حملا اسم أبيهما!! ورفض سعد زغلول هذا الاقتراح بشدة فى أول الأمر،ثم عاد وقبله ووافق عليه وفى أيام أخرى كان سعد يجد متعة فى ملاعبة الطفلين الصغيرين، يداعبهما ويحملهما ويدرس تصرفاتهما ويسأل عنهما إذا غابا ويبحث عنهما إذا اختفيا، وفى أحيان أخرى تعود إليه رغبته فى أن يكون (أباً) وضايقه بأنه حرم من أن يتبنى أحد الطفلين فيطلب إلى (صفية) أن تبعد الطفلين حتى لا يتذكر أنه فقد أحدهما ويفضل أن يعتكف وحيداً فى غرفته بمسجد وصيف (طوال الصيف) ويطلب إلى صفية أن تعطى رتيبة نفقات المصيف لتصحب الطفلين الصغيرين إلى أى مصيف بدلاً من أن يمضوا الصيف معه،حتى لا يتذكر فى كل يوم أنه حرم من أن يكون أباً لأحدهما،وتنفذ (صفية) أمر زوجها والذى لا يعرفه الكثيرون أن

FOR AUTHOR USE ONLY

(سعد زغلول) وقع فى يده كتابات رفاعه رافع الطهطاوى واندهش به ووجد عنده السلوى– فرفاعة عاش فى عصر الجوارى والرقيق،كان يمكن أن يتزوج أربع نساء ويعشق مائة جارية ولكنه لم يفعل ذلك..ليس فقط استقامة خلق، ولكن استقامة فكر، فالرجل لم يكن مثل غيره من ممتهنى الفكر فى مصر، فهو يقول ويفعل، ويؤمن فينفذ.قد تزوج رفاعة الطهطاوي من ابنة خاله.فماذا فعل معها؟ وعلى طريقة رجال عصرنا ماذا فعل بها؟ لنقرأ الآن– قبل أى شئ– رأيه فى (الحب) والحب الذى حلاوته (بالقنطار) لم يكن معروفاً فى زمن رجل عاش من (**1801** إلى **1873**) بكل ما يفرضه ذلك من حمق وجبروت فى التعامل مع النساء.قال رفاعة أيامها: (معرفة إرضاء أحد الزوجين للآخر فن نفيس، وإن كان صعباً فى حد ذاته، لأنه يستدعى كمال التربية والإنصاف بالعدل، وقوة العقل، وذكاء الفطنة،واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين أحوال المنزل المشترك بينهما، وتنظيمه وترتيبه وتنظيفه بقدر ما يمكن ومعرفة الاعتناء بالوساءل التى تستدعيها (الصداقة) بين الزوجين لاشتراكهما فى المنفعة العمومية)..فينبغى أن يكون (الحب) الموجود فى قلب المرأة والرجل بعضهما لبعض، عبارة عن وداد خالص وصفاء فؤاد خلى من تجربة الغرام، ومشوب بحرارة الشبوبية فى غالب الأحواد، فمتى تمكن (الحب) فى قلب كل منهما فجميع وسائل اللذة توجد فيها، (فالمحبة) هنا مشوبة (بالصداقة) الأكيدة.وقد أعجب سعد زغلول ما قدمه رفاعة الطهطاوي لزوجته فى عقد زواجهما،وقال سعد زغلول: ليقرأ نساء هذه الأيام كيف يستطيع رجل حر أن يعطيهم ما يقاتلوا من أجله؟لقد رأى أن (الحب) هو

FOR AUTHOR USE ONLY

الحزب النسائى الأول والأخير فى حياة النساء..؟؟؟ الذى تزوج 1829 فنصه:

(التزم أنا كاتب هذه .... كريمة بنت العلامة الشيخ محمد ... إلى المصونة الحاجة الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى، ولا جارية أياً كانت، وعلق ..؟؟ وحدها على غيرها من نساء أو تمتع بجارية أخرى، فإن تزوج بزوجة أياً كانت، كانت ؟؟؟؟ أخذ بمجرد العقد طالقة بالثلاث، وكذلك إذا تمتع بجارية ملك يمين، ولكنه وعدها وعداً صحيحاً لا ينتقص ولا يخل إنها ما دامت معه على المحبة المعهودة مقيمة على الأمانة والعهد لبيتها ولأولادها ولخدمها وجواريها، ساكنة معه فى محل سكناه لا يتزوج بغيرها أصلاً ولا يتمتع بجوار أصل ولا يخرجها من عصمته حتى يقضى الله لأحدهما بقضاه).

وفى مذكرات (سعد زغلول) بتاريخ سبتمبر 1916 كتب يقول ..... توأمين، أحدهما يدعى (مصطفي) والثانى (علي) ولا يتجاوز عمرهما الآن سنتين ونصفاً، وهما يحبان بعضهما، ويلعبان معاً، وإذا غاب الواحد بحث الآخر عنه! ومصطفي ضعيف البنية،ولكنه رقيق المزاج،وكل منهما سريع التأثر،ولكن مصطفي أسرع، وفيه حسن التفات، ورقة قلب وحنان.وقد ربتهما والدتهما على النظافة، ولكن لشدة حبها الأموى عدتهما أن تطيع شهواتهما إذا بكيا، فتجد الواحد منهما يطلب الشئ، فإذا منع بكى بكاء مراً، وإذا نهى عن أمر كان يميل إليه بكى أيضاً كذلك، ولكن بكاء

FOR AUTHOR USE ONLY

(مصطفي) يؤثر فيها أكثر لضعفه، فتسارع إليه.وربما أعود إلى الكلام عنهما بعد ذلك فى فرصة أخرى.

ويحرص (سعد زغلول) على تسجيل واقعة طريفة خاصة بالتوأمين، فيكتب فى مذكراته بتاريخ 31 أغسطس 1918:(غداً تأتى رتيبة مع أخيها ونجليها (علي ومصطفي أمين) وأظهرت للست عدم رغبتى فى طهارة (ختان) نجليها عندنا،ورأيت الأوفق أن يكون ذلك عندها،وقلت إنى مستعد لأن أساعدالأقارب من بعد، لا من قرب، فق؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ فوجدت فيه شقائى) ويعلق (مصطفي أمين) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ مذكرات (سعد زغلول) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ و(صفية) بسبب طهور الولدين، فقد كان مع ذلك انتصرت (صفية) ؟؟؟؟؟؟؟ ذلك بثلاثة أعوام وتم طهور الولدين فى الطابق الأعلى ببيت الأمة ورفض سعد أن يدخل غرفتهما التى لازماها بضعة أيام بعد الطهور)..لنقرأ الأن– قبل أى شئ– رأيه فى (الحب)؟؟؟؟؟؟ولم تصبح المشكلة كبيرة على (صفية زغلول) إن الصغار يتربيا فى كنفها ثم أنها أصبحت أم المصريين كلهم

ويعلق على ذلك مصطفي أمين فى كتابه (من واحد لعشرة) الذى كان ينادى (سعد زغلول) بـ(جدو): ويبدو أن ذلك هو حال العظماء فى الدنيا.فمصطفي كمال أتاتورك زعيم ثورة تركيا لم يرزق ولداً ولا بنتاً وقاسم أمين زعيم سفور المرأة الشرقية لم يرزق ولداً،وإنما رزق عدةبنات ومحمد عبده زعيم الإصلاح الدينى فى مصر لم يرزق ولداً وإنما رزق بنتاً، وطلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى لم يرزق ولداً ولكنه رزق ثلاث بنات.ورياض

FOR AUTHOR USE ONLY

الصلح أحد زعماء الحرية والقومية العربية لم يرزق ولداً وإنما رزق ولداً وإنما رزق بنتاً.وفتحي زغلول لم يرزق لا ولداً ولا بنتاً وكذلك عباس العقاد،ومصطفي النحاس،ومحمود مختار المثال المصرى وأم كلثوم ونجيب الريحاني ويوسف وهبي كل هؤلاء وغيرهم لم يرزقوا لا أولاداً ولا بنات.ولكن مع كل ما وصل إليه هؤلاء من مجد، كان الكثيرون منهم يشعرون بحسرة لأنهم لم يرزقوا ولداً يكون امتداداً لهم، كأن تاريخهم لا يكفيهم.أو كأنهم تصوروا أن الولد يمكن أن يعيش عمراً أطول من عمر التاريخ! أو أنهم خشوا أن يعجز التاريخ عن أن يحمل للغد صورهم على الورق،فتمنوا لو أن صورتهم رسمت باللحم والدم على أولادهم!ثم أن هناك جانب آخر فى القضية ماذا لو أصبح هؤلاء الأبناء أو الذكور طالحين وليسوا صالحين؟!!! وقد لا يعرف كثيرون أن سعد زغلول لم يطلب من زوجته أن تقود ثورة **1919** بعد نفيه، بل إنه لم يتوقع أنها تستطيع أن تقوم بهذا الدور كل ما فعله قبل قيام الثورة أنه قال لها: يا صفية: لقد قررت أن أضع رأسى على كفى اليمنى.

فقالت صفية:وضع يا سعد رأسى على كفك اليسري!

وفهم سعد من هذا الحديث أنها مستعدة لأن تتحمل ما يصيبها من تضحيته بنفسه فى الثورة.ولكنها فهمت فى الواقع أنها وقعت معه ميثاقاً مكتوباً بأن تقود الثورة.إذا غاب زوجها عن مكانه! وعندما قبض الإنجليز على سعد زغلول فى يوم 8 مارس سارع علي باشا شعراوي وكيل الوفد ودعا أعضاء الوفد الذين لم ينفوا مع سعد إلى اجتماع طارئ يعقد فى بيت علي شعراوي لبحث الموقف..

FOR AUTHOR USE ONLY

وسمعت صفية زغلول بأمر الدعوة فثأرت واتصلت بمنزل علي شعراوي باشا فردت زوجته هدي شعراوي. وطلبت صفية التحدث إلى علي شعراوي ودهشت هدي شعراوي. فلم تكن التقاليد أيامها تسمح لسيدة متزوجة بأن تطلب التحدث مع رجل متزوج فى التليفون.واستدعت زوجها فقالت لها صفية: سمعت أنك ستعقد اجتماعاً للوفد فى بيتك! هذا الاجتماع يجب أن يعقد فى بيت سعد.

قال علي باشا شعراوي:كيف نعقد الاجتماع فى بيت سعد باشا وهو غير موجود.

قالت صفية: إنه موجود! وسوف يكون موجوداً ولو قتله الإنجليز! إن هذا ليس بيت سعد. إنه بيت الأمة. إنه قلعة الثورة. كيف تستسلم القلعة لأن قائد الجيش أسره العدو. يجب أن تبقى القلعة وتقاوم

فقال لها علي شعراوي باشا: لك حق..سنجئ ونعقد الاجتماع فى بيت سعد باشا..ولكنى أحب أن أحذرك..فقد تتعرضين للمتاعب نتيجة لهذا

قالت صفية: بعد أن أخذوه لم تعد لحياتى قيمة! قيمة حياتى وهو هنا!

وأمرت صفية بفتح أبواب البيت، وتخصيص كل غرفة للثورة، واحتفظت بثلاث غرف.غرفة لها وغرفة لرتيبة وولديها وغرفة لسعد زغلول، وخصصت كل غرف الدار وصالوناتها وحديقتها لمكاتب الثوار!

وكتبت السيدة سيزا نبراوي التى عاصرت الثورة فى مذكراتها التى نشرتها فى مجلة المصور فى 7 مارس سنة 1969 تقول:

FOR AUTHOR USE ONLY

(لقد تعرف العالم على المرأة المصرية كإنسانة وكرائدة منذ ثورة 19 وأذكر موقف السيدة صفية زغلول زوجة سعد زغلول حينما نفى زوجها ومنعها الإنجليز من اصطحابه إلى المنفى. وكان لهذا المنع أثر فى تذكية الثورة فى النفوس المصرية.وهذه نبذة من بيانها الذى أذاعته على الشعب بعد نفى سعد).

أبناء وطني:

[لما رأيتهم يطوفون بالبيت، ويملأون الحديقة، وينتزعون سعداً، كان أول شعور قام فى نفسى أن اتبعه خطوة فخطوة، أينما شاءت القوة أن تذهب به.فلما رأيتكم تقتلون من أجله،تحول إليكم فجأة كل حبى. وإحساسى وشعرت من أعماق قلبى بأنى غير مستطيعة أن أترككم فى مثل هذا الوقت العصيب. وبأن واجبى أن أقاسمكم حظاً شاءته الأقدار لكم.ولئن كانت خدمتي لسعد لأزمة،وهو محتاج إليها الآن حاجة قصوى.فأنا أعلم أنه عن مسلكى راض.وبهذه التضحية مغتبط. لأنه ضحى من أجل الوطن بكل شئ. بسكينة وارتياح.أبنائي البررة! لقد أثبتكم أنكم مستعدون لبذل دمائكم فداء للوطن، حتى لو لم يكن فى ذلك البذل إلا أن تثبتوا للعدو أنكم بواسل تفضلون الموت على أن تعيشوا عبيداً أذلاء.]

وكان لهذا البيان فعل السحر فى الشعب المصرى.. فأرسل لورد اللنبى إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول: مدام زغلول باشا نشرت بياناً من نار هذه المرأة أقوى من ألف رجل. أرى أن وجودها فى مصر خطر. أرى السماح لها بالسفر مع زوجها.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولقد اعتقل زوجها (زغلول باشا) للمرة الثانية فى ديسمبر سنة 1921 بعدها رفض أن يعتكف فى عزبته وشهدت (صفية هانم) اعتقاله وظلت هادئة ساكنة حتى غادر زوجها البيت.وخيرت– أى صفية– بين أن تصحب زوجها أو أن تبقى،وكان عليها أن تحسم هذا السؤال الخطير ولكنها بعد تفكير عميق قررت أن تبقى وأن تتم الرسالة التى تركها زوجها، لأنه إذا كانت حاجة زوجها إليها شديدة فإن حاجة مصر أشد.
وكما قالت صفية: إن سعداً سجين فى (سيشل) ولكننى هنا، روحه الثانية وزوجته التى تصون مكانه.

ولقد كان ردها على دار المندوب السامى قاسياً تاريخياً،فقد أمسكت بالتليفون وقالت للمتحدث حينما أخبرها أنها تستطيع اصطحاب زوجها: أخبرسعادة المندوب السامى أننى سأظل فى القاهرة وسأعمل كل ما فى وسعى لأتم عمل زوجى،وأنتم تستطيعون أن تنفوا جسم سعد ولكنكم لا تستطيعون أن تنفوا روحه لأنها تعيش وستظل تعيش وفى بيته،وأنا سأكون (سعداً) حتى يعود،وهو سيعود لأن الشعب لن يسمح بغيابه ولن يمكنكم من إبعاده طويلاً.وحتى لو مات (سعد) فسيأتى كثيرون غيره وسيتقدمون الصفوف،وسأفعل كل ما استطيع لإشعال روح الثورة فى سبيل استقلال مصر.وبعد ساعات قليلة من اعتقال أعضاء الوفد، قام البوليس بتفتيش (بيت الأمة)!!كان سعد زغلول زعيم الوفد والأمة خارج بيت الأمة، كان خارج مصر كلها!!كان البوليس أول من يعلم أن صاحب البيت غائباً من البيت، ومع ذلك وصلت قوات البوليس إلى بيت سعد زغلول!!

FOR AUTHOR USE ONLY

لم تكن صفية زغلول وحدها فى بيت الأمة بل كان معها ويقف إلى جوارها زملاء وأصدقاء وخلصاء زوجها سعد زغلول باشا.كان واحداً من هؤلاء سعد فخري عبد النور الذى شاهد ما جرى ورواه فى مذكراته

يقول:كانت صاحبة العصمة أم المصريين موجودة وكنا بجوارها،فأراد الضابط أخذ أوراق من شكمجية كانت أم المصريين تحتفظ بها فمنعته من ذلك.

وقالت إن هذه الأوراق هى خطابات من والدى مصطفي فهمي باشا رئيس الوزراء ومن زوجى إلى، إلا أن الضابط أصر على أخذها!! فأصرت أم المصريين على منعه من ذلك!!

فأتصل الضابط تليفونياً بمستر(أبلت) مساعد الحكمدار وأبلغه ما حصل فطلب منه أن يتركها ما دامت أم المصريين تقول أنها خطابات من والدها ومن زوجها إليها!!

فخجل الضابط– وكان مأمور قسم السيدة زينب– من موقفه وانصرف.

ولم تكن صفية زغلول كاذبة فيما قالته للضابط الإنجليزى بشأن الخطابات الخاصة التى كانت تحتفظ بها!! كانت هذه الخطابات بالفعل هى خطابات غرامية وعاطفية كان يكتبها لها زوجها الزعيم سعد زغلول!!

لم يصدق أحد أن داخل هذا الصندوق تحتفظ السيدة صفية زغلول بأجمل وأعذب وأرق خطابات غرام كتبها سعد زعلول لها، واعتقد أن بداخله منشورات الثورة أو على الأقل اسماء لها علاقة بالثورة!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولكن صفية زغلول كانت صادقة وهى تحتضن هذا الصندوق وتصرخ فى وجه الضابط وكان الشر يتطاير من عينيها قائلة:
لن أدعكم تمسون هذا الصندوق!! لقد تركتكم تلوثون غرفة نومى بأقدامكم، لكنى لن أسمح لكم بأن تلوثوا بأيديكم هذا الصندوق، إن فيه خطابات زوجى لى، ولن أسمح ليد أن تمتد إليها وأنا على قيد الحياة..

ويعترف الكاتب الكبير مصطفي أمين بأن صفية زغلول كانت تقول إن زوجها تعود أن يكتب لها خطابات غرامية فى كل مرة يتناول فيها طعامه خارج البيت!!وكان يحرص دائماً على أن يعوضها عن غيابه عنها بكلمات رقيقة تنبض بالدفء والحب والحنان!!
واستمر سعد زغلول يكتب لـ صفية خطابات الغرام إلى ما بعد سن الستين،فقد كان يؤمن بأن العمر لا يمكن أن يطفئ الحب.ولم تلبث صفية زغلول أن اتخذت قراراً غريباً ومدهشاً ومحيراً بشأن كل هذه الخطابات العذبة الرقيقة!!
لقد قررت أن تحرقها وتتخلص منها إلى الأبد!! ويعترف جورج خياط بك وهو واحد من الأعضاء السبعة للوفد الذين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام وهو مسيحى، أنه بدأ ينهار بسبب حالته الصحية فى السجن. وأن محاميه زاره ونصحه بأن يكتب استرحاماً للقائد العام البريطانى يطلب العفو، وإذا بصفية زغلول تعلم بالأمر فتطلب من والد التوأمين (محمد أمين يوسف) أن يضع خطة للوصول إلى جورج خياط فى سجنه. وتضع فكرة أول علم من تصميمهما وتنفذه (الهلال والصليب متعانقان فوق علم مصر الأخضر)

FOR AUTHOR USE ONLY

وصنعته من الحرير وقالت لمحمد أمين: صنعه على صدر جورج خياط وبلغه منى سلامى!! ويصل العلم لجورج خياط فإذا بالرجل المريض.اليأس يصيح فى زنزانته قائداً لمظاهرة من داخل السجن! "نموت. نموت وتحيا مصر." وفى اليوم التالى رفض مقابلة محاميه!

ولم يلبث أن أصبح هذا العلم هو العلم الوحيد الذى ترفعه كل المظاهرات فى الثورة.

فى 23 أغسطس 1927.فتح (سعد) عينيه فأرادت صفية أن تطمئن عليه فقالت له: أنت أحسن الآن!!
قال سعد: لا.. ما فيش فايدة..!! وسلم روحه لبارئها.
وهكذا عرفت القاهرة نبأ وفاة (سعد)!!

FOR AUTHOR USE ONLY

وكانت (أم كلثوم) تغنى فى ملهى البوسفور أمام محطة مصر وفوجئت بالمتفرجين يتسللون واحداً وراء واحد،وتركوا الصالة خالية،وتلفتت حولها فوجدت الموسيقيين توقفوا عن العزف ولم يبق إلا الموسيقار (محمد القصبجي) بجوارها مستمراً فى العزف، وتوقفت (أم كلثوم) عن الغناء وسألته ماذا حدث؟! قال القصبجي: مات سعد؟! وماتت– كما يقول مصطفي أمين– الأغنية على شفتى أم كلثوم وانهارت على مقعد جالسة وبعد ذلك وضع لها الشاعر(أحمد رامي)أنشودة أنا انتهيت،فأبدأوا جميعاً وقد وزعت شركة جرامفون منها نصف مليون اسطوانة!! وبعد ظهر اليوم

التالى 24 أغسطس 1927 شيعت جنازة سعد زغلول فى موكب مهيب لم يحدث أن شاهدت مصر مثله فى تاريخها كله!!

وابتداء من ذلك التاريخ، وحسب ما يقول (هندرسون) القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى فقد طويت صفحة جديدة من تاريخ مصر لوفاة سعد زغلول!! مضى الرجل كشمعة احترقت،وليس هناك من يمكن أن يخلف (سعد زغلول) ويملأ مكانه فى زعامة حزب الوفد أو فى رئاسة مجلس النواب وسيظل الموقف السياسى يغلى فترة من الوقت!!كانت مصر كلها حزينة، لكن حزن (صفية زغلول) كان لا حدود ولا نهاية له!!

بعد سنوات طويلة روى (مصطفي أمين) فى كتابه (من عشرة لعشرين) قصة الرثاء الذى اعتبره (أول نص صحفى فى حياته)!! هذا النصر الذى قرأه كل مصري فى نفس يوم نشره ولم تقرأه (أم المصريين) إلا بعد حوالى أربعين يوماً من نشره!!

فى نفس يوم الوفاة دخل مصطفي وشقيقه التوأم على إلى غرفة نوم سعد وسمعاً صفية تبكى وتقول لجثمان سعد الراقد على السرير كلمات دامية، كل كلمة تنزف دموعاً!!وعندما سمع (مصطفي) هذا الكلمات أحس أن هذا الكلام يجب أن يسمعه الناس. وجلس وكتبه على شكل مقال قال فيه على لسان (صفية زغلول):

FOR AUTHOR USE ONLY

(ألومك وأعتب عليك!! كثيراً ما نهيتك عن العمل والكتابة إشفاقاً على نفسى وعليك، ولكنك كنت تكتب وتعمل وتجاهد وتكافح حتى آخر لحظة، وكنت تجيبنى: أنا مسئول ووراي ناس!!).

ألم يكتب لك وأنت فى مرضك الأخير صاحب حاجة فاضطررت أن تتحامل على نفسك وترد عليه؟! ما كان أغنانى وأغناك عن هذا الذى قضيت به على نفسك! وما أشد عتبى الآن عليك ووجيعتى لإصرارك على العمل رغم نصيحة الأطباء!!

يا لمصابى.. لقد قضينا ثلاثين سنة كنت فيها البر كله. لم أسمع خلالها منك كلمة سوء أذكرك بها اليوم. بلغ من برك بى أن كنت تكتم عنى ما يكدر حرصاً على إحساسى.. فلا أعرفه إلا بعد انقضاء أمره. ثم كان لى مجدك.. وكان لى عزل.. رفعنى الناس برفعتك وفضلك ومحبتهم إياك ومحبتك إياهم. وكم تمنيت أن يكون لنا ابن يطالعنا ونطالعه. فكان جوابك أنه ليس لك ابن ولكن لك أربعة عشر مليوناً من الأبناء. ولبكاء هؤلاء الأبناء اليوم عليك أنا أشد جزعاً وأحر بكاء.. ما أشد شفقتى عليهم وبلواى بحزنهم..

وها أنت تتركنى وتترك أبناءك ولا تترك من ورائك وصية لى ولا لهم، ولم تكلم فى شأننا أحداً.. فهل اعتب عليك لهذا أيضاً؟!

كنت تكره النحيب حتى منعته لما مات ابننا (بالتبنى) سعيد زغلول ولما تأثرت أخته قلت لها بلسانك: (إنى أتفقت وإياكى أينا سبق به الموت صاحبه أن يكظم حزنه لأن سعيد كان حاله كحال ابننا فإذا مات سعيد نفسه فلنكظم حزننا إبقاء على رضانا بحكمة الله فى ذلك). وأشد ما يحزننى

FOR AUTHOR USE ONLY

أن ألبس عليك السواد وقد كنت تكرهه ولكن مالى إلى ذلك من بد وليس أمره فى يدى..

إننى أعدك يا سعد أننى سأصنع ما بقيت أيامى ما صنعت أنت طوال أيامك، فلك منى آخر نقطة من دمي.

كان هذا هو المقال الذى كتبه (مصطفي أمين) على لسان (صفية زغلول) وعندما نزل إلى السلاملك رأى أمامه (محمد حسنين هيكل) رئيس تحرير جريدة السياسة فأعطاه المقال.

قرأ هيكل باشا المقال وأعجب به وقام بإجراء تصحيحات لبعض عباراته ثم قام بنشره فى جريدة السياسة فى 27 أغسطس 1927 بعنوان (فى غرفة الموت).

وعاشت صفية زغلول عشرين عاماً بعد وفاة سعد ودفن سعد فى أول الأمر فى قبر فى حى الإمام الشافعى، ومكثت صفية زغلول تقطع يومياً هذه المسافة لمدة تسع سنوات إلى أن قام برلمان منتخب انتخاباً حراً، وأصر على نقل جثمان سعد من قبره من الإمام الشافعى إلى ضريحه أمام بيت الأمة، وأقيمت له جنازة شعبية ثانية فى عام 1926 لا تقل روعة ولا ضخامة عن جنازته الأولى عام 1927.

FOR AUTHOR USE ONLY

واقترح أحد الوزراء تخليد ذكرى سعد باشا زغلول. وقرر المثال (محمود مختار) أن يتولى أمر هذا التخليد بصنع تمثالين لسعد باشا. وتحمست الأرملة الثكلى صفية زغلول لذلك فقد كانت غرفة نوم صفية تطل على الضريح وكانت إذا استيقظت من نومها اتجهت أول ما تفتح عينيها إلى

نافذتها التى تطل على الضريح، وتقرأ الفاتحة على روح الرجل الذى أحبته منذ رأته لأول مرة ليلة فرحها!

وبعد الظهر ترتدى ملابسها وتذهب إلى القبر وتنثر عليه الزهور والرياحين وتقف خاشعة أمام القبر عشر دقائق وكأنها تناجى رجلها بصوت لا يسمعه إلا هى وهو! وعندما أرسل القرار بتخليد سعد زغلول إى الملك فؤاد وكان وقتها فى أوربا ليوقعه هاج الملك وماج واستدعى رئيس الوزراء ثروت باشا إلى (فيشي) وقال له: كيف يقام لرجل من الرعية تمثالاً وأبى اسماعيل ليس له تمثال واحد؟! وبحث الملك عن اسم الوزير الذى اقترح ذلك التخليد وعلم أنه (أحمد زكي أبو السعود) وقرر الملك ألا يدخل الرجل الوزارة مرة أخرى. كما قرر أن يوضع تمثالاً سعد زغلول فى مخازن وزارة الأشغال.

FOR AUTHOR USE ONLY

وتوفى الملك فؤاد وفوجئت صفية زغلول بشابة متحجبة ترتدى ملابس سوداء عرفتها بنفسها أنها (فتحية أبو أصبع) وصيفة الملكة نازلي. وتذكرت صفية هذا الوجه الذى حضر لمقابلة زوجها سعد زغلول عقب قتل السردار الإنجليزى وكان معها رسالة وأيضاً من الملكة (نازلي).ولم يصدق (سعد) يومها رسالة الملكة ولم يتصور أن الملك فؤاد يمكن أن يتفق مع المندوب السامي البريطانى بالنيابة على قتله أدبياً، وعلى تلفيق التهم له وعلى تزوير الانتخابات!!

وفى ذلك الوقت تصور (سعد زغلول) أن الملكة نازلي تشاجرت مع الملك فؤاد لمسألة شخصية فأرادت أن تنتقم من زوجها بالاتصال بعدوه!!
وقال سعد لـ صفية إنه لا يتصور أن الملك يهدد نازلي بالطلاق لأنها نصحته نصيحة فى مصلحته، وكان رأيه أنها تتهم رئيس الديوان الملكى بالنيابة بتدبير المقابلات الغرامية للملك!!.. ولكن وقع كل ما قالته الملكة نازلى واضطر سعد للاستقالة من رئاسة الوزراء؟!

فلم يثق سعد فى نازلي بعد أن تركت ابن أخته (سعيد زغلول) وتزوجت الملك فؤاد!! ولكن صفية زغلول كانت تعذرها ولا تستطيع أن تنسى أنها ربتها ولها غلاوة عندها.. فهى بمثابة ابنتها وقالت (فتحية أبو اصبع): الملكة تبشرك سيفرج عن تمثالاً سعد قريباً. وسيقوم ابنها الملك فاروق بنفسه بإزاحة الستار عنهما!!
وسرحت صفية زغلول فى قصة (الملكة نازلي)..تلك الفتاة رشيقة القوام صاحبة البشرة البيضاء كاللبن الحليب والشعر الذى يسدل على الكتفين ويصل لخصرها أسود كالليل. وكيف أرسل الملك فؤاد إلى سعد زغلول يطلب إليه إرسال زوجته (صفية زغلول) إلى قصر عابدين كوصيفة بالقصر ذلك بعد طلاقه للأميرة شويكار، فثار سعد زغلول واشتاط غضباً وقال لرسول الملك: (قل للسلطان فؤاد إن سعداً ينصحك أن تتزوج فوراً) ههذة العبارة التى خرجت من فم سعد زغلول غيرت مجرى الأحداث وترتيبات زواج سعيد زغلول من نازلي!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ومما يؤسف له فى هذا الصدد أن فكرة وعبارة سعد زغلول لاقت استحساناً من جانب الملك فؤاد وبدأ البحث عن زوجة تنجب له ولى العهد خاصة أن ابن الملك فؤاد من الأميرة (شويكار) قد توفى بعد 7 شهور من ولادته وكان اسمه (اسماعيل) مما أضاع أمله فى أن يكون له وريث يرث العز والجاه والملك وسطوته! أما كيف تعرف عليها وكيف تم ترشيحها للزواج من الملك، فقد كانت– كما أسلفنا– جميلة الجميلات كأنها ملكة تنتظر الملك الفارس وكانت الـ(ليدي جراهام) زوجة السكرتير الأول للمقر البريطانى تعرفها جيداً وتعرف والدتها لكن نازلي رفضت الزواج فى البداية فأصر الملك على طلبه، وفى هذا الأثناء أراد (سعيد) الفوز بمحبوبته نازلي ففاتح زوجة أخيه (صفية زغلول) فى شأن تعجيل خطبته علي نازلي، الأمر الذي جعل سعد زغلول يتقدم لطلبها من والدها لخطبتها لأخيه سعيد زغلول لكن عبد الرحيم باشا صبري تلعثم وتردد وأجاب إجابة مبهمة!وحين يكون الصراع على قلب امرأة بين السلطان أحمد فؤاد وسعيد زغلول (موظف القصر الملكى) فالفائز بالطبع سيكون سلطان البلاد!!. المطلق البالغ من العمر 50 عاماً صاحب الأمر والنهى وصاحب الخليلات الإيطاليات واليهوديات!!

وفتحت صفية النافذة وأطلت على الضريح

وقالت: إن قلبى يصدق نازلى.. يا سعد!!

وبالفعل رأى الملك فاروق أن يصالح شعبه ويعتذر عن موقف ابيه من تخليد سعد زغلول ويزيح الستار بنفسه عن التمثال الأول لسعد زغلول فى الاسكندرية وكان ذلك عام 1938.

FOR AUTHOR USE ONLY

ودعا الملك صفية زغلول لحضور الاحتفال. وقبلت أم المصريين الدعوة ولكن قبل الحفل علمت أنها لن تجلس عن يمين الملك. كما جرت العادة فى أوروبا عند إزاحة الستار عن تماثيل العظماء.. بل إنه سيخصص مكان للحريم تجلس هى فيه!ورفضت صفية أن تجلس فى الحريم وقالت إن ثورة سعد قامت لإلغاء الحريم.. وجلوسها فى الحريم هو إهانة لمبادئ سعد الذى يحتفلون بإزاحة الستار عن تمثاله! وأبلغ محمد محمود باشا الملك أن صفية زغلول ترفض حضور هذا الاحتفال.

وأوفد الملك فاروق إلى رئيس الوزراء محمد محمود باشا، علي ماهر باشا رئيس الديوان الملكي يقول له أن الملك لا يستطيع أن يجلس بجواره سيدة فى احتفال رسمي لأن ذلك سيثير رجال الأزهر والبلاد الإسلامية!

وقالت صفية زغلول:

– قولوا لجلالة الملك.. إنه يشرفه كثيراً أن يجلس إلى جوارى، ولا يشرفنى كثيراً أن أجلس إلى جواره.

FOR AUTHOR USE ONLY

فقيل لصفية أن إصرارها على رفض حضور الاحتفال الملكي بإزاحة الستار عن تمثال سعد، قد يؤدى إلى غضب الملك، وعدوله عن حضور الاحتفال..

قالت صفية: إن سعد زغلول دخل التاريخ من باب الشعب، ولا يهمه أن يدخله من الباب الملكي..

وأخفى علي ماهر باشا رئيس الديوان الملكي عن الملك رسالة صفية زغلول العنيفة الموجهة إلى الملك، حتى لا يثير غضبة!

وحضر الملك فاروق الاحتفال، وراح يتلفت حوله، فوجد مقعدها خالياً فى المكان المخصص للحريم.

والتفت الملك إلى رئيس الوزراء وقال له:

إن رأس صفية هانم ناشق مثل رأس زوجها! كان أبى يقول إن رأس سعد كان (انشفت) رأس فى المملكة! ورفع الملك رأسه. ونظر إلى رأس التمثال المصنوع من الجرانيت!

وكأنه كان يقارن بين صلابة التمثال وصلابة الرجال! وسقطت حكومات، وتألفت حكومات، وقامت دول وهوت دول، وانهارت عروش وتوالى حكام. وبقى التمثالان. بضعة أحجار من الجرانيت صمدت لكل معاول الطغاة والمستبدين!

FOR AUTHOR USE ONLY

نازلي .. أو الرومانسية تخلع ملابسها!

وقالت الملكة نازلي: "عندما تزوجت كنت ألد فقط، كنت أمًا لأطفال فؤاد؟ ولم تدخل المشاعر هذا العقد الاجتماعي الذي ربطنا"

وضعت نازلي بعد فاروق في القفص الذهبي لدرجة أن وصيفات القصر "مدام قطاوي – ومس تايلور" كانت لهما كلمة عليا في القصر وعليها، وقد استطاعت الملكة نازلي في هذه العزلة أن تتجه إلى المنجم والسحر إن ذلك هو سلاحها الخفي الذي تستطيع أن تعيش به في قصر عابدين، فقد كانت تعتقد تمامًا في معرفة الغيب عن طريق أوراق الكوتشينة وأحشاء الحمام حتى أنه حينما تزوج ابنها فاروق فيما بعد بالملكة فريدة..كانت الملكة الصغيرة "فريدة" تستيقظ فتجد في فراشها عظامًا ملوثة بالدماء والشعر كانت الملكة نازلي تضعها لها كتعويذة لتأتي "بالولد" للملك فاروق.

وليس أمامنا _ للحديث _ إلا استرجاع الروايات المختلفة والموثقة عن الملكة نازلي في هذه المرحلة "مرحلة الحرملك والقيود والغيرة الملكية أسرار القصور"؛ فلقد قررت "آني نوير" وهي إحدى المربيات التي كان يدعوها فاروق بنليزي في مذكراتها "إن معرفتي بذكاء نازلي وقدرتها على السيطرة، جعلت الملك فؤاد يسحب منها حقوقها كأم، وإن كانت قد استطاعت أن تنفذ إلى بناتها فإنها لم تستطع ذلك بالنسبة لتنشئة فاروق، فقد كان الملك يعده إعدادًا خاصًا ليتولى العرش من بعده حتى أنه قد سلمه لي وقد لاحظت أنه كان يجري ليقبلني أولًا إذا ما كان له الخيار بيني وبين والدته، ولأن ذلك قد تكرر منه فقد سألته نازلي ذات مرة

FOR AUTHOR USE ONLY

: لماذا لا تقبلني أولًا .. أجاب الأمير أمه وهو محاط بيدى
: لأنك تضعين الكثير من طلاء الشفاء؟!

ولم يقتصر ما فعله الملك فؤاد مع نازلي على تحديد مدة ساعة واحدة لترى ابنها فيها مقسمة على فترتين، ولكنه كان يراقب مكالماتها التليفونية لشكه فيها، كما أسلفنا، وكثيرًا ما كشف تنصته بمحض الصدفة حتى ازداد ازدراء نازلي له وتحول فيما بعد _ وبخاصة حينما مات_ إلى حب السيطرة المبالغ فيه"! ولعل القارئ يلاحظ مكانة نازلي في هذا الوقت من استخدام المربية لاسم نازلي غير مسبوق "بالملكة" أو بأي احترام مع أنها لم تكن تستطيع أن تذكر اسم فؤاد إلا مسبوقًا بالملك واسم فاروق مسبوقًا بالأمير، ومن ملاحظة عبارة فاروق "لأنك تضعين الكثير من طلاء الشفاه" ما يوضح أن طبيعة نازلي الحقيقية ضد كل هذه القيود، وأن فاروق قد نشأ على شكل من التربية الإنجليزية الصارمة. أما ما سجلته "جيردا سجودبرج" وهي إحدى المربيات _ سويدية الأصل _ من انطباع في مذكراتها التي نشرت كسلسلة في الصحف السويدية بعد عام 1952، فقد قالت "إن الملكة نازلي في غاية الضيق والملل لأنها وحيدة مع خادمتها وحراسها، عدا الزيارات المختصرة الرسمية من أطفالها فلم يكن مسموحًا لها أن تجلس في الحديقة وتقريبًا لا ترى زوجها أبدًا!..

كل ما تفعله أن تبدل ثيابها حيث كان لديها كم هائل منها"!

وقد قررت "جيردا": "إن الحدث الرئيسي في حياتها أن تنتقل من قصر رأس التين إلى قصر المنتزه في الصيف أو أن تعود في القطار من

FOR AUTHOR USE ONLY

الإسكندرية إلى القاهرة !!"وتستغرب جيردا "إنه حتى عند عودتها إلى القاهرة من الإسكندرية في شهر أكتوبر كانت هي والملك يركبان قطارين منفصلين: قطار ملكي، وقطار للملكة، أما الأمير فاروق فله عربة خاصة في قطار نازلي إلا أنها لاحظت أنه على الرغم من أن نازلي تغطي وجهها بحجاب وتحميها مظلة قائد حراسها السوداء إلا أنك تدرك _حين تراها_ أنها غارقة في مجوهراتها وتشعر أنها تتباهى بذلك فإذا وصلت للمحطة وسمعت السلام الوطني ورأت الناس في هذه الحالة تعلو قامتها وتنتشي وكأنها تتنفس الصعداء! وكنت أدرك في هذه اللحظة فقط أنها ملكة"!

وتكرر "جيردا" أنها لم ترها تقف أمام الملك فؤاد بصلابة إلا حينما قرر الملك أن يرسل فاروق إلى الأكاديمية العسكرية ببريطانيا "بولويش" فقد كررت له أكثر من مرة أن ابنها ليس مستعدًا لأن يترك المنزل، ولكن _كالمعتاد_ لم يكن لاعتراض نازلي أي وزن!!

والذي لم تعرفه "جيردا" أن العرافين قد قرروا لها أن هذا السفر شؤم على القصر وأنه سيقلب كرسي الحكم رأسًا على عقب، ولم تكن تدري أن هذه النبؤة تعني موت فؤاد إنما اتجه كل تفكيرها كأم إلى سلامة ابنها فاروق.

ولما كان صيف **1936** كان هذا ميلادًا لامرأة أخرى اسمها نازلي ذات إرادة حديدية تجري وراء ما تريد دون أن تقهر، لقد ودعت شخصية ملكة البجع في القصص الخرافية!.. فبمجرد أن مات الملك فؤاد في أبريل من ذلك العام **1936** فَصلت "مس تايلور" فورًا، ورَحلت المربية اليهودية "مدام يوسف قطاوي" وبَدأت تعد العدة لأن يعود فاروق من دراسته

FOR AUTHOR USE ONLY

العسكرية بإنجلترا، وأظهرت وعيًا سياسيًا غريبًا حينما دعت وكيل وزارة الخارجية وشريف صبري باشا شقيقها إلى قصر الدوبارة وقالت عبارة مروعة: لقد بلغني أن الإنجليز يسعون لأن يضعوا رئيس مجلس الوصاية الأمير محمد علي، على العرش بدلًا من فاروق، وكان الأمير محمد علي في ذلك الوقت يبلغ التسعين وإن إنجلترا ترى أن رجلًا مسنًا هو أفضل للعرش. وكان شيئًا غريبًا أن تصل هذه المعلومة لنازلي ولا يعرفها وكيل وزارة الخارجية، بل إنها قررت إرسال برقية إلى فاروق للعودة إلى الوطن وأشارت إلى مجموعة من المعاني يجب أن تكون في البرقية منها: أن تطلب الحكومة المصرية رسميًا من السلطات البريطانية إعادة وريث العرش، وأن يكون ذلك بطريق الجو، إلا أن مدرسه في ذلك الوقت والذي كان يرافقه في رحلته الفريق عزيز المصري باشا وجد أنه من الأمن أن يكون حضور فاروق بالبحر. وأرسلت إنجلترا بارجة حربية لحمايته حتى وصل إلى المياه الإقليمية المصرية تأكيدًا لحسن نواياها، وقد يكون هذا الإجراء السريع هو السبب في تولي فاروق العرش.فقد كان هناك رأي بأن يترك لدراسته حتى ينضج كملك للبلاد ويترك الأمر للأمير محمد علي توفيق وبخاصة أنه كان وقتها يبلغ من العمر التسعين وبالتالي فمدة بقائه في الحكم قصيرة ولو حدث ذلك لما تولى فاروق الحكم أبدًا، فقد عاش محمد علي توفيق حتى قيام الثورة، وفر بعد ذلك إلى السويد مع زوجته الجميلة الراقصة الفرنسية إيليس إيموند عند قيامها!!

ثم استغلت نازلي بعد ذلك جهودها وصداقاتها في تثبيت ابنها على العرش حين أقنعت وزارة النحاس بالاستغناء عن مجلس الوصاية

FOR AUTHOR USE ONLY

وحساب عمر فاروق على أساس السنة الهجرية وليست الميلادية كي يصبح ملكًا دستوريًا! لقد خرجت نازلى من الحرملك بلا رجعة لأنها ببساطة فجرت خلفها الحرملك

ثم إنه فيما بعد حينما تعقدت الأمور بينها وبين الملكة فريدة استطاعت أن تستخدم كل أنواع الحيل لتحدث موقفًا غريبًا في الدستور المصري الذي لا يتضمن أي نص يتعلق بالملكة الأم بل ويعتبرها ملكة سابقة..وإذا كانت الملكات قبلها كن يشعرن بالسعادة باتخاذ مقعد خلفي في حياة ابنهن الملك، فإن هذالم يكن أسلوب نازلي حيث استطاعت أن تعدل الدستور المصري وسجلت فيه وجود ملكة ثانية بالإضافة إلى الملكة الزوجة، هي "الملكة الأم" التي احتفظت بكل الامتيازات الملكية وبدا أنها احتلت مركزًا مسيطرًا داخل الأسرة المالكة!.حتى إن الملكة نازلي كانت تقيم بقصر عابدين وفي جناح خاص وسيط بين جناح الملكة فريدة "الملكة الزوجة" وجناح الملك فاروق "الحاكم"؟!. وقد قال عن هذه المرحلة "عادل ثابت" في كتاب له "وهكذا فإن زوجة فاروق كان يجب بشكل طبيعي أن تأتي قبل أمه، غير أن قوة الملكة نازلي وشخصيتها جعلت _في الواقع– من المستحيل على الملكة فريدة أن تسيطر على أي مجتمع أو جماعة تكون حماتها موجودة فيها!! وكانت الملكة نازلي بالتأكيد هي أجمل الملكتين وكانت ترتدي عادة ثيابًا أفضل من فريدة، كما أنها أطول قامة وأكثر رشاقة، ومن ثم فإنها كانت قادرة بمجرد وجودها أن تظهر سيطرة كانت تثير استياء المرأة الأصغر سنًا.. فريدة"!!

FOR AUTHOR USE ONLY

أما ما يقوله البعض من أن نازلي _ بمجرد أن مات الملك فؤاد _ انغمست في مغامراتها الخاصة وشرب الشمبانيا وجعلت تضرب بكعوبها الأرض راقصة في البارات فهو أمر محل للنظر وبخاصة بعد أن أثبت التاريخ وجود ورقة بزواج عرفي في الخزانة الخاصة لرئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا بعد وفاته إثر حادث سيارة مشكوك في قدريته عند كوبري قصر النيل سنة 1946، حيث ورد في هذه الورقة صيغة زواج عرفي بينه وبين الملكة نازلي موقع بتاريخ 1938، أي في تاريخ مقارب لتولي فاروق الحكم. الأمر الذي يجعلنا نؤكد أن هناك فترتين في حياة الملكة نازلي الأولى من عام 1938 لعام 1946 وهذه الفترة استمتعت فيها بحريتها دون أن يكون لها علاقات خاصة، أما الفترة الثانية وهي من سنة 1946 وحتى وفاتها وقد فقدت فيها السيطرة على نفسها ودخلت في علاقات شائنة وغريبة يمكن أن تمتد إلى كل العلاقات الخاصة التي تحدث عنها كل الكتاب. والأمر الذي يجعلنا نؤكد ذلك ما قرره "إدوارد فورد" المعلم الذي اختارته إنجلترا في القصر حتى يستطيع فاروق أن يكمل تعليمه، وهو من خريجي جامعات أكسفورد حيث قرر أنه قد لاحظ أن أحمد حسنين يتبع الملكة حيثما ذهبت في القصر ككلبها الأليف، وأنه في لحظات مرحه جلس بجوار الملكة نازلي التي سألته سؤالًا مباغتًا:

– "سيد فورد، هل تعتقد أنني سأعرف كيف أحب أي رجل!؟

فأجاب فورد: أتمنى ذلك.. ثم عقب فورد في مذكراته:

"انسحبت سريعًا إلى غرفتي وكانت الإجابة الحقيقية لسؤال نازلي على لساني أن أقول لها هو حسنين! وليس كلام فورد بالكلام الهين فهو معلم

FOR AUTHOR USE ONLY

الملك والذي لم يستمتع بفترة وجوده في القصر والذي كرر لفاروق "أن النقطة الرئيسية في فشله هي عدم محافظته على الوقت ومحاولاته للبلف والفهلوة وهي تعتبر حماقة لا يجوز التسلح بها أثناء التعليم". وهو الذي كتب في تقريره للامبسون الإنجليزي والمندوب السامي وقتها "إن فاروق لم ينجح معي إلا في اللغات!!"

المتتبع لسيرة الملكة نازلي في الفترة السابقة على عام 1946 يجد أن هناك صراعًا كان يدور بينها وبين كل امرأة تقترب من أحمد حسنين، أي أنها كانت تحبه ومشغولة به واستخدمت كل قوتها في ذلك، فهناك مغامراتها ضد أسمهان حينما أرادت أن تستخدم نفوذ أحمد حسنين حتى تستطيع الاستمرار في الحياة في مصر، بل إنها ذهبت وراءها إلى القدس وكانت بينهما فضيحة في فندق الملك داوود، وقد دبرت لها أسمهان مكيدة حينما صورتها ترقص مع الجنرالات الإنجليز وهي شبه سكرانة. بل إن الكوميديان الكبير "نجيب الريحاني" قرر في مذكراته: "أن الملكة نازلي قد زارته في المسرح وقالت وقتها ميمي شكيب لأحمد حسنين: "أنت رجل لا تقاوم ولكن الملكة نازلي امرأة لا تعرف المستحيل" ولم يكن أحمد حسنين عنيدًا في نزواته فما أن تفضح نازلي مغامراته مع واحدة حتى ينتقل إلى أخرى، وكانت آخر هذه المغامرات الإنجليزية التي دعاها إلى القاهرة فاستطاعت نازلي أن تطردها من الفندق وترحلها قبل أن تصل حقائبها إلى مصر!.ومما أثار الشائعات والشكوك حول علاقة نازلي بأحمد حسنين ملازمة

FOR AUTHOR USE ONLY

كل منهما للآخرخلال الرحلة الملكية لأوروبا في فبراير 1937، خاصة أن أحمد حسنين رفض طلب زوجته "لطيفة" بمصاحبته أثناء هذه الرحلة بحجة أن فاروق يرفض ذلك!!. وقد صممت نازلي أن تغترف السعادة التي حرمت منها في حياة الملك فؤاد الذي توفي في صيف عام 1936. وقد تمادت أثناء تلك الرحلة في اللهو، ولو أنه كان لهوًا ملتزمًا بعض الشيء وكانت تتأبط ذراع حسنين وذراع مدربيها في التزحلق على الجليد في السويد!!.وفي إحدى المرات التي التقطت لها صورة في صالة التدريب على التزحلق في مدخل فندق "سوفريتا" وهي تتثنى وتتمايل وتضع يدها على كتف المدرب وهو يضع يده على خصرها، ونشرت هذه الصورة في مصر مما أثار الشعب المصري وخرج الشعب في مظاهرات تهتف بسقوط الملك والملكة، ومما قاله الشعب "من لا يحكم أمه لا يحكم أمة "وعندما وصل الملكة نازلي ما حدث بمصر ثارت ثورة عارمة قائلة "كفاية حرام كفاية ذل كفاية ظلم.. ألا يكفي الشعب ما عشت فيه ذل وظلم مدة 17 عامًا متواصلة من الكبت والإذلال، حرام أن يظلمني الشعب فقد ظلمني الملك فؤاد كثيرًا" لكن علاقتها بأحمد حسنين وجدت ما يبررها حين رحل حسنين في حادث سيارة قيل أنه مدبر من قبل الحرس الحديدي سنة 1946، وقيل قتله الانجليز؟ ولعل ما حدث للملكة نازلي بعد وفاة أحمد حسنين سنة 1946 يمثل صدمة ارتدادية قلبتها تمامًا ونقلت تصرفاتها التي تتسم بالكبرياء والشموخ مائة وثمانين درجة،

FOR AUTHOR USE ONLY

لقد فقدت حبيبها في نفس الوقت الذي تخلى عنها فاروق تمامًا وأنكر كل تصرفاتها فشعرت أنها قد فقدت كل من تحب "الابن والحبيب"، وإن كانت قد ظلت على تأثيرها واتصالها ببناتها؛ ففاروق – بعد ذلك – اتهم أمه كثيرًا ، ويذكر أنه وهو ملك قد دخل إليها في الحرملك فوجد عندها أحمد حسنين ممسكًا بالمصحف ويعلمه لها ولم يستطيع أن يواجه معلمه أحمد حسنين ولكنه قال لأمه إن المصحف إذا دخل مع الرجال الحرملك فهذا يجعلني أشك، ولكن فاروق بكى بعد ذلك كثيرًا عند حصوله على ورقة الزواج العرفي من خزانة أحمد حسنين، فقد فقد _ دون مبرر _ ثقته في أقرب الناس إليه، من أوجدته على العرش ومن حافظ له عليه حتى مات وقد أوضح ذلك مصطفى أمين في كتابه "شخصيات لا تنسى" كيف أن أحمد حسنين يسب الملك ويوجهه فإذا خرج من عنده ادعى أن الملك هو الذي يسبه ويوجهه، وكيف أن معظم الإصلاحات كانت من بنات أفكاره ولكنه نسبها لفاروق!! فكم كان هذا الرجل مضحيًا وفدائيًا وقد وجد فاروق في خزانة أحمد حسنين _كما يقول مصطفى أمين _ خطابًا موجهًا إليه بمجموعة من النصائح ويبدأها بعبارة "ولدي" كان المكتوب ترجمة لبعض أشعار الشاعر الإنجليزي كبلنج كينج ويبدأ بعبارة :(إذا وثقت في نفسك حين يشك فيك الجميع، ومع ذلك سامحتهم لأنهم شكوا فيك إذا استطعت أن تنتظر ولا تمل الانتظار ولم تقابل أكاذيب الناس بالأكاذيب.إذا كرهك الناس فلم

FOR AUTHOR USE ONLY

تكرههم – وإذا تظاهرت بأنك لست أحن الناس ولا أحكم الناس – إذا استطعت أن تحكم دون أن تسيطر عليك أحلامك، وأن تفكر ولا تجعل التفكير هو كل أهدافك.إذا استطعت أن تتحدث إلى الشعب بغير أن تفقد فضائلك، وأن تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب).والقصيدة طويلة جدًا..وفيها كل الفضائل وفي نهايتها هذه العبارة: إذا استطعت أن تفعل ذلك كله ملكت الأرض ومن عليها وأصبحت أكثر من ذلك..أصبحت رجلاً يا ولدي!..ولم يكن لأحمد حسنين ولد، حتى يتمنى أن يصبح رجلاً، ولكنه تمنى ذلك لفاروق الذي رباه..واعتبره ابنه!! ولكن كثيرًا من الكتابات شوهته واعتبرت أن هناك علاقة آثمة كانت بين حسنين ونازلي حينما كان أحمد حسنين في بلاط الملك فؤاد. ليضيفوا إلى نازلي شائعة أخرى وإن كان يكفيها ما حدث لها بعد عام 1946 حينما دخلت في أكثر من علاقة كان أشدها ما أشيع عن علاقتها بالشاب الأفندي القبطي "رياض غالي" الذي زوجته فيما بعد لابنتها "فتحية" وظهرت صورة لها في أمريكا ترتدي فستانًا مفتوح الظهر وتتدلى فيها ماسات، بينما الشاب غالي يحيط خصرها بذراعه وفي يده الأخرى ابنتها "فتحية" وهويعلن بوقاحة الأثنين لى نازلى وابنتها؟!.

FOR AUTHOR USE ONLY

كانت "مارسيليا" هي محطة بداية تلك النهاية، ليس فقط بوصفها أول ميناء أوروبي يرسو عليه يخت يقل الملكة الأم، وإنما لأنها كانت المدينة التي

شهدت أول لقاء يجمع بين "نازلي" وبين "رياض غالي" السكرتير الثالث بالقنصلية المصرية في مارسيليا!. ولم يكن "رياض" سوى شاب مصري من أسيوط، علمه والده "بشاي غالي" – المدرس بإحدى المدارس الثانوية – حتى أكمل تعليمه والتحق بالسلك الدبلوماسي.. ولم يكن الشاب المصري يتوقع مطلقًا أن يغدو الرجل الثالث في حياة نازلي بعد جلالة "الملك فؤاد" وفخامة "أحمد باشا حسنين"، لكن هذا هو ما حدث بالفعل!!

وأصبح "رياض غالي" هو أهم شخصية في حياة الملكة، هو الذي يتلقى مكالماتها التليفونية، هو الذي يحدد مواعيدها، هو الذي يستقبل زوارها، هو الذي يكتب رسائلها، هو الذي يدبر أمورها المالية، هو الذي كانت تصحبه معها الملكة إلى المطاعم والشوارع والمحلات تستشيره أولًا في كل ما تأكل وكل ما ترتديه من ثياب!! وهو أيضًا الإنسان الوحيد الذي يبقى ساهرًا مع الملكة بعد أن ينام الجميع ليراقصها، أو يحاورها، أو يصغي إليها!! ثم أصبحت هناك ضرورة لأن تكون غرفة "رياض غالي" هي الغرفة الملاصقة لغرفة "نازلي" في كل فندق تنزل فيه الملكة!!.. لقد أصبح كل شيء تقريبًا في حياة الملكة "نازلي"*!

كانت تلك هي "الرحلة" التي أدت إلى ظهور "رياض أفندي غالي" ليكون أحد "الكومبارس" الذي يقتحم التاريخ ليهدم سمعة ملكة مصر ويغير حياة الملك فاروق، ومع أن اسمه لم ينشر في أي كتاب أو يرد في أي صحيفة إلا أنه منذ ربيع عام **1950**، تناقلت وكالات الأنباء كل حركاته وسكناته وهمساته وأصبح اسمه ورسمه يحتلان الصفحات الأولى لكل الصحف الأجنبية قبل الصحف العربية.

FOR AUTHOR USE ONLY

نعم كانت رحلة الملكة "نازلي" وبصحبتها الأميرتان "فوقية وفتحية" في يونيو عام 1946 هي النهاية، نهاية العلاقة بين فاروق وأمه، ونهاية التوازن الذي كان يحمي جزئيات الأسرة الملكية ليحولها إلى فتات، فقد أعلنت الملكة "نازلي" _في أعقاب مشاجرة عنيفة بينها وبين ابنها فاروق_ مغادرتها مصر إلى أوروبا ومعها الأميرتان. وكان سبب هذه المشاجرة إصرار نازلي على إعلان الحداد رسميًا على وفاة "أحمد حسنين باشا"_زوجها عرفيًا في السر_ والذي مات في حادث سيارة ليظهر وكأنه حداد على وفاة زوجها الثاني إلا أن "فاروق" قد أصر على تمزيق صوره والسخرية من ذكراه ودفن كل ماض كان يجمع بين "أحمد حسنين وأمه" وخلال هذه الرحلة ظهر هذا الكومبارس "رياض أفندي" ليجعل الهوة تتسع بين فاروق وأمه ويوصل علاقتهما إلى مرحلة "اللا عودة"!! فمنذ أن قام هذا "الأفندي" بمرافقة الملكة _كأحد مهامه الدبلوماسية _ حيث كان يعمل بالقنصلية المصرية بباريس _ والتصق بها وكأنه قد جاءته الفرصة فاقتنصها،وفي ظل هذه العلاقة كان هناك بالطبع أصدقاء "فاروق" الذين كانوا دائمًا على استعداد لنشر بعض الشائعات وقد أرسلوا إليه ليقولوا أنهم رأوا "نازلي والأفندي" يرقصان معًا، وقد استفزت فاروق هذه الأخبار، وكالعادة وثب إلى أسوأ النهايات المحتملة فأرسل أوامره بنقل "رياض غالي" إلى أبعد مكان في الأرض، وحينما رفض الأفندي طاعة الملك أصدر فاروق قرارًا نهائيًا بفصله، وهكذا أصبح "الأفندي" موضوعًا للصراع بين ملك عنيد، يخاف أمه ويكرهها، وملكة عنيدة تحب ابنها وتحتقره دون أن يبذل كل منهما أدنى جهد خارق لاحتواء الموقف!

FOR AUTHOR USE ONLY

أما الأفندي فقد فعل ما يفعله كل مسوخ التاريخ ومستلقي الموائد، فقد استفاد من خبرته في التعامل مع الدبلوماسية والنساء وأدرك أن صاحبة الجلالة "الملكة نازلي" ليست أكثر من امرأة وحيدة، تمتلئ مرارة بسبب عقوق ابنها، وترتعب من برودة الشتاء الزاحف على شبابها، وتعلم أنها بدون ابنها لا وفر للثروة ولا سطوة للجاه وأنها تحركها غريزتها التي انطلقت من قمقم "الحرملك" وأنها مستعدة أن تخسر كل شيء إلا ما بقى من العمر!! وبسبب شخصية "الملكة الهستيرية" وشخصية "فاروق الغاضبة" أدرك "رياض غالي" أنه لا حياة له بدون الملكة فأعطاها ما تريد: طاعة الابن.. إخلاص الصديق.. تهذيب التابع. ولو أن الملك فاروق لم يخطئ في فهم هذه العلاقة ولو كان على علم بشخصية أمه لخسر هذا "الأفندي" الحرب من أول جولة ولطرد من فردوس "الحياة الملكية"!!

ولكن فاروق كأنه أخطأ عن عمد، ولقد قالت الملكة نازلي "لمصطفى أمين" فيما بعد: "لو جاءني فاروق وقال لي أنه لا يثق برياض غالي وطلب مني أن أطرده لفعلت ولكن أن يرسل لي من يقول أن "رياض عشيقك"، فهذا يجعلني أتمسك وأصر على بقائه معي!! إن هذا الابن العاق لا يفهمني... لو كان فهم لماذا طردت المربية "قطاوي" لعرف لماذا أتمسك بصداقة رياض غالي!!"

وقد قصدت الملكة أنها تنشد الإخلاص في تابعيها لا أكثر! وهكذا عينت "نازلي"، "الأفندي" سكرتيرًا خاصًا لها وبمرتب يتجاوز بكثير ما كان يتقاضاه في وظيفته بالحكومة، واستمرت الرحلة بين "الملكة والأفندي" ولم تعد ولم يعد إلى مصر ثانية!!

FOR AUTHOR USE ONLY

ولابد أن الملكة "نازلي" كانت تفرك كفيها سرورًا لأنها استطاعت خلال هذه الرحلة أن تجذب اهتمام فاروق ومستشاريه تثأر من إهمال ابنها لها؛ فإنها ما تكاد تعلن الانتقال من مكان إلى آخر حتى يخلق ذلك أزمه دبلوماسية ويستأنف وسطاء القاهرة السفر إليها لكنها لم تستجب أبدًا!! حدث ذلك في رحلتها من باريس إلى جينيف ثم إلى لندن وزادت الأزمة حينما قررت السفر إلى أمريكا في ذلك الوقت الذي كانت قضية فلسطين معروضة أمام هيئة الأمم المتحدة، والحقيقة أن الملكة "نازلي" كانت تملك حجتين: حجة قوية ظاهرة وهي أنها كانت تعاني من آلام المغص الكلوي بشكل حرج وتوقفت بالفعل إحدى الكليتين عن العمل تقريبًا وحذرها الأطباء من أنها لن تعيش لأكثر من عامين إذا لم تجر جراحة عاجلة وكانت عيناها على "مستشفى مايو" بأمريكا، لعلها توهمت أن الخطر الذي يحيط بحياتها سوف يدفع ابنها لان يطير إليها وينهار جبل الثلج القائم في علاقتهما..

أما الحجة الداخلية فهي أنها قد قررت ألا تترك مصير زواج الأميرتين الباقيتين للملك "فاروق"! فهي تريد لبناتها زواجًا عاطفيًا لا دبلوماسيًا، فما فعله معها الملك "فؤاد" قد أدى إلى تخريب توازنها النفسي والجسدي كامرأة، واعتقدت أن هذا يحدث داخل جدار كل القصور، فلقد رأت في حياتها كيف يعاملها الرجل العادي وكيف يعاملها الملك وهي لا تنسى اليوم الذي صرخت فيه في رئيس ديوان الملك "أحمد حسنين" قائلة له: "عاملني كامرأة"، فقال لها أحمد حسنين "إنني أعاملك كملكة". فعادت نازلي لتقول

FOR AUTHOR USE ONLY

له "طظ في الملكة!! إنني أتنازل عن كل شيء لمن يعاملني كامرأة" فقال لها أحمد حسنين "ولكنك ستطردينني إذا نسيت أنك الملكة"!!

ولكل هذه الأسباب غامرت _ ولأول مرة في حياتها _ بركوب الطائرة، وفي منتصف ليلة العاشر من مايو عام 1947 هبطت في مطار "هيوستون" وبصحبتها "الأميرتان فوقية وفتحية"، والأفندي!! ومع أن الأنباء كانت تتوالى على القاهرة بأن الملكة الأم سوف تجرى لها جراحة خطيرة إلا أن الملك "فاروق" واصل إهماله المتعمد وشاركت في هذا الإهمال ابنتها الكبرى الإمبراطورة "فوزية" فاضطرت الأميرتان "فوقية وفتحية" للاتصال بالقاهرة لتقديم تقرير عن الحالة الصحية للملكة الأم حيث اشتدت عليها آلام الكلى ولم تعد المسكنات التي تتعاطاها كافية لتسكين الألم، ولكن الملك "فاروق" وصله تقرير ثان مفاده "أن الأفندي "رياض غالي" الذي يجلس بجوار الملكة الوالدة قد انتهز فرصة آلامها العنيفة ونصحها باستعمال مسكنات حقن "المورفين" ويسر لها سبل الحصول عليها ويخشى عليها من الإدمان"

وتوجه بعد ذلك "محمود فهمي النقراشي باشا" رئيس وزراء مصر _الذي كان وقتها يتابع دورة أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في أمريكا_ وتقدم للمستشفى بإعطاء تصريح ملكي بإجراء الجراحة وقال لها "النقراشي": "إن حضور الملك لك أثناء نظر القضية أمام مجلس الأمن سوف يسحب الأضواء عن القضية"، وبالطبع كان "النقراشي" يعتذر عن عقوق الملك "فاروق" لأمه بدبلوماسية، فقد تبين فيما بعد أن "ناهد رشاد" في نفس الوقت الذي كانت فيه الملكة "نازلي" في أمريكا وفي نفس

FOR AUTHOR USE ONLY

المستشفى كانت موجودة وفي جناح لصيق بالجناح الذي تقيم فيه الملكة الأم وفي غرفة لا تبعد عنها كثيرًا وكانت تجري عملية جراحية لإزالة بعض خلايا السرطان من جلد وجهها، وكان في كل يوم تتصل بها القاهرة ويكون المتحدث الملك "فاروق" ليطمئن على صحة وصيفة أخته، في الوقت الذي لم يسأل عن نتيجة العملية التي أجريت لأمه والتي انتهت بإخراج عشرين "20" حصوة من إحدى كليتيها ونقل عدة لترات من الدم إلى الملكة الأم..وكان من الواضح أن الملك "فاروق" لا يهمل أمه فقط ولكن يتعمد إهانتها، وكان "فاروق" خشي أن تظن أمه أنه مشغول عنها بسبب أعماله فأراد أن يؤكد لها أنه قد خلعها من اهتمامه وكان على الملكة الأم أن تتجرع هذه الإهانة التليفونية اليومية أمام الأطباء والممرضات حينما يدق ترانك القاهرة في جناح الملكة فيسأل المتحدث هل هذا الجناح وعندما يعرف أنه جناح الملكة يقول أنه لا يريده بل يريد جناح الوصيفة "ناهد رشاد".

وقد لاحظت الملكة "نازلي" أن كل الذين جاءوا إليها يسألون في حديثهم سطرًا عن صحتها ثم يحدثونها طويلًا عن عودة الأميرتين "فوقية وفتحية" إلى مصر لأنهما أصبحتا في سن الزواج، فعل ذلك حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكي، وشريف صبري باشا شقيق الملكة "نازلي"، ولكن الملكة بذكائها شعرت أن "فوقية وفتحية" هما مجدافاها في بحر حياتها المقبلة، وبسرعة قدمت تقارير تفيد أنها لا بد أن تجري عملية جراحية في الكلية الأخرى بعد عدة شهور، ولذلك رفضت العودة للقاهرة إلا بعد تمام الشفاء، وأظهرت القاهرة نيتها الحقيقة باستمرار وجود حسن يوسف باشا

FOR AUTHOR USE ONLY

بجوار الملكة نازلي حتى تنتهي فترة النقاهة وأنها يمكن أن تبقى بمفردها في رعاية السفارة المصرية على أن تتم عودة الأميرتين "فوقية وفتحية" إلى مصر لأن التفكير في أمر زواجهما وهما يقيمان في الخارج أمر مستحيل ورفضت الملكة "نازلي" ذلك بحسم وشعرت بأن "فاروق" يريد أن يبقيها وحيدة كشجرة عجوز بلا ورقة خضراء، وهنا صممت على أن تكون حجتها الخفية حجة تدافع عنها حتى الموت، وذلك بأن يتم زواج الأميرتين الباقيتين بمعرفتها وأن يكون ذلك بالخارج ومن رجلين "طوع أمرها" ورهن إشارتها..

وبسرعة أصبح الأفندي "رياض غالي" أكثر قربًا منها وانتهز فرصة إيمانها بالسحر والشعوذة ومواظبتها على استطلاع المستقبل بقراءة الكف وفتح الفنجان فأصبح مسئولًا عن قسم "الشعوذة" بالحاشية! وتبحرت الملكة "نازلي" في هذه العلوم الخفية، وقادت حياتها بطريقة الملك "فؤاد" العراف قبل كل شيء، وعرفت في هذه الفترة مشعوذاً جزائرياً اسمه "الشيخ سالم التلمساني" وآخر أرمني الأصل اسمه "طاهر بك" وقد استنفد ذلك مبالغ طائلة بالطبع!. وهكذا أصبحت الصورة المعتمدة لـ "رياض أفندي غالي" في مخيلة الملكة أقرب ما تكون إلى صورة "راسبوتين الصغير"، وتحولت "نازلي" إلى صورة طبق الأصل للقيصرة الروسية "كاترين الثانية"، إلا أنه يبدو أن "الأفندي" لم يكن مجرد عفريت يسكن جسد الملكة "نازلي" بل إنه كان من عتاة الجن، فقد تسلل إلى قلب الأميرة "فتحية"!! ولسوء الحظ والدين أيضاً فقد جعلها تخرج من الإسلام إلى المسيحية من أجل زواجهما!

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

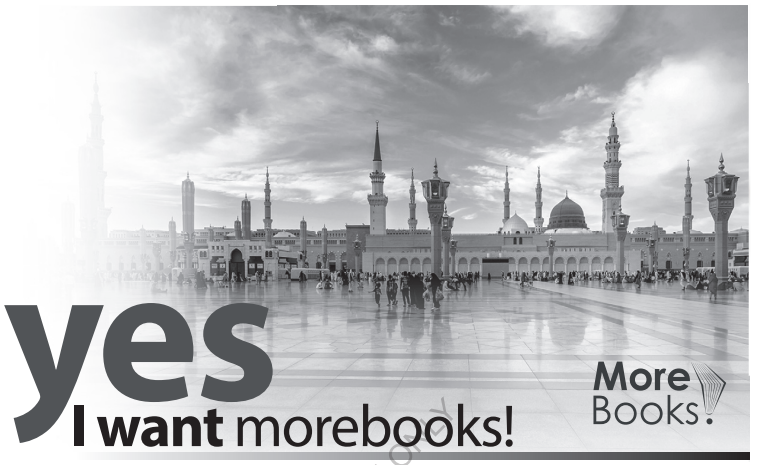

Buy your books fast and straightforward online - at one of world's fastest growing online book stores! Environmentally sound due to Print-on-Demand technologies.

Buy your books online at
www.morebooks.shop

FÜR AUTHOR USE ONLY

Kaufen Sie Ihre Bücher schnell und unkompliziert online – auf einer der am schnellsten wachsenden Buchhandelsplattformen weltweit! Dank Print-On-Demand umwelt- und ressourcenschonend produziert.

Bücher schneller online kaufen
www.morebooks.shop

KS OmniScriptum Publishing
Brivibas gatve 197
LV-1039 Riga, Latvia
Telefax: +371 686 204 55

info@omniscriptum.com
www.omniscriptum.com

OMNIScriptum

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY